نيللي آلار

ترجمة: بدر الدين عرودكي

لا مزاح مع الحب

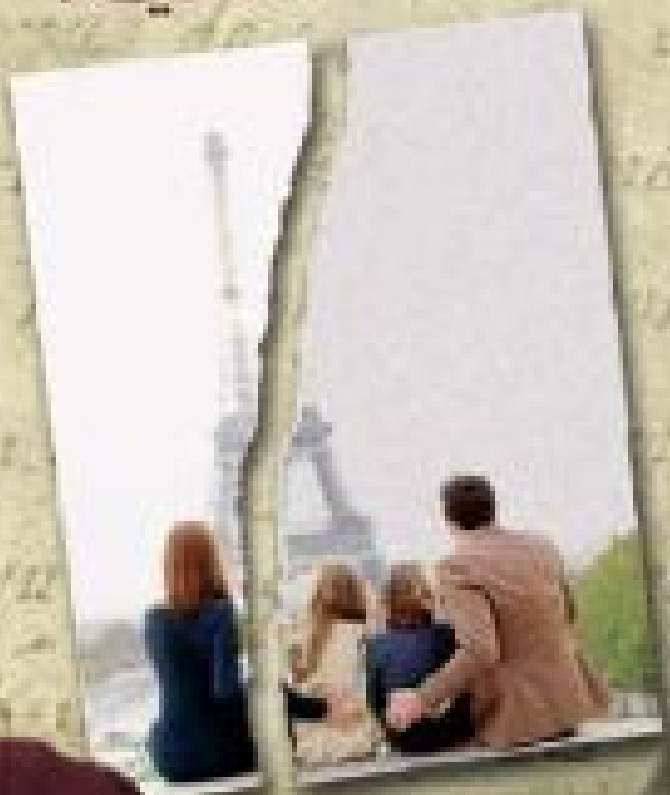

رواية

نيللي آلار

لا مزاح مع الحب

دار التنوير

جميع الحقوق محفوظة ©

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر – 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com

لبنان: بيروت – الجناح – مقابل السلطان ابراهيم
ستو حيدر التجاري – الطابق الثاني - هاتف وفاكس: 009611843340
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
مصر: القاهرة–وسط البلد –19 عبد السلام عارف (البستان سابقًا)–الدور 8–شقة 82
هاتف: 0020223921332 فاكس: 0020227738932
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تابعونا على

Daraltanweer@

Dar Altanweer

daraltanweer

إلى آلان

إلى مارتين، مرة أخرى.

«جميع الرجال كذابون، متقلبون، مزيفون، ثرثارون، منافقون، متكبرون وجبناء، بؤساء وشهوانيون؛ جميع النساء ماكرات، خداعات، متباهيات، فضوليات وفاسدات؛ ليس العالم إلا بالوعة بلا قاع تدب فيها أبشع الفقمات وتتلوى على جبال من الوحل؛غير أن في العالم شيء مقدس ورفيع، هو اتحاد اثنين من هذه الكائنات الناقصة والشنيعة.»

لا مزاح مع الحب

ألفريد دو موسيه

الجزء الأول

١

كان ذلك عند نهاية بعد ظهيرة يوم ٢٩ أيار/مايو ٢٠٠٢. يوم الصعود. في فصل الربيع، إذن، لكن الجو كان شديد الحرارة. لم تكن مروج حديقة بوت شومون سوداء من كثرة الناس، بل ملونة بصورة مرحة، بأسر صاخبة ومضطربة. كانت هناك كرات، ومناشف الشاطئ، وصرخات، وضحكات، وسراويل صغيرة كانت تجفف على العشب، وأطفال عراة تمامًا أو مع سروال قصير. مشهد من زمن الجبهة الشعبية، عند أول إجازة مدفوعة. كانت جولييت قد وصلت باكرًا. وكانت جالسة بالقرب من فلورنس، إحدى صديقاتها في الحي، في واحد من أكثر الأمكنة المرغوبة، على المرج الكبير المنحدر نحو النهر في الأسفل. كلاهما كانتا تنظران إلى أطفالهما الذين كانوا يتسلون مع الآخرين في الساقية، حين رنّ هاتف جولييت النقال.

صرخت جولييت لتوها بابنها ذي الأربعة أعوام، يوهان، أن يحتفظ بصندليه كي يمشي في مياه الساقية. ليس فقط بسبب الحصى التي تغطي قاعها والتي هي في بعض الأماكن حادة أو زلقة فحسب، بل لأن من الممكن السقوط على قطع زجاجية، أو واقيات مستخدمة أو سدادات زجاجات بيرة. من الممكن السقوط على أي شيء تقريبًا، في الواقع، رغم إغلاق الحديقة ليلًا ودوريات الحراس المنتظمة.

ذات يوم، عثرت إيما على عصا تزحلق على الثلج، في القاع. هل تصدق هذا؟ من يمكنه أن يتسلى بإلقاء عصا تزحلق على الثلج في نهر بوت شومون؟

وهي تفتح سماعة الهاتف، كانت جولييت لا تزال تحتفظ بابتسامتها على شفتيها.

كان زوجها، أوليفييه. كان صوته متغيرًا، كما لو أنه لاهثًا، أو مختنقًا.

أين أنت؟ في البوت هل أنت وحدك؟ لا، أنا مع فلو والأطفال. هل يمكنك أن تبتعدي قليلًا، عندي ما أقوله لك.

كانت ابتسامة جولييت قد اختفت. ألقت نظرة نحو فلورنس، نهضت ثم صعدت المرج مبتعدة عشرة أمتار. على الطرف الآخر من الخط، كان أوليفييه يبدو منتحبًا. سألت. ماذا هناك؟ قبل أن تسمع الجواب، أحست بما يشبه لدغة في قعر البطن. خطرت لها فكرة أن ماريا كانت ميتة.

هذا هو الأمر. عندي قصة مع فتاة، عضوة في الحزب الاشتراكي ومنتخبة. قصة مستمرة منذ ثلاثة أسابيع، والآن تريد أن أتركك. وهنا، وكنا نتكلم على الهاتف، قلت لها إنني سأذهب معك إلى السينما. انتابتها

أزمة صرع، وتركت التليفون، وهي تصرخ، لا أدري ماذا بها، لا أدري ما العمل، يجب أن أذهب لأراها.

استعاد هدوءه، وأضاف.

لن يمكنني الذهاب إلى السينما.

كانت جولييت تستمع، بلا حراك. ومن حيث كانت تتواجد، في الأعلى، كانت تلمح القفص الكبير والجسر المعلق، وعشاقًا يتبادلون القبل. كانت الشمس تبدأ في الهبوط على الأشجار. وباستثناء هذه الحشرة التي تضطرب في قعر بطنها، كل شيء كان يبدو أليفًا، وطبيعيًا.

أين تسكن؟

بانتان.

حسنًا، إذهب إليها، إذن.

ضغت. لم يكن يجيب. مع أنه لم يكن قد أغلق الهاتف.

ضايقها ذلك. كررت «إذهب إليها»، تقول «ألو» عدة مرات، بصوت يزداد ارتفاعًا، وسخطًا. أغلقت الهاتف بعد ذلك وعادت بخطى بطيئة لتجلس بالقرب من فلورنس، التي كانت تنظر إليها بفضول.

ما الذي يجري؟

هزت كتفيها، وحركت رأسها. لم تلح فلو. كانت ساعة العودة على كل حال قد حانت. نادتا الأطفال، وألبستاهم من جديد، ثم نزلتا جادة سيكريتان صامتتين، ممسكتين بيد أصغر أطفالهما في حين كان البكران يجريان أمامهما صاخبين.

ما إن وصلتا إلى تقاطع شارع باست، حيث تسكن فلورنس، حتى افترقتا. تابعت جولييت طريقها، ناظرة أمامها، محركة يدها في الوقت نفسه. كانت تحس نظرة الحيرة لدى صديقتها تثقل عليها، لكنها لم تقلق منها. فيما بعد، ستشرح لها. فيما بعد، حين تكون قد تمكنت من استعادة القدرة على الكلام، حين يتمكن هذا الحدث الذي لا يزال غامضًا حتى الآن من أن يبلغ المنطقة المختصة من دماغها. وكما هو شأنها دومًا، ستفهم فلورنس.

فلورنس تفهم كل شيء.

كانت جولييت تعرفها منذ المراهقة، منذ سانت أوفيرت. فقد كانتا جارتين في نهاية سنوات التسعينيات حين كانتا، كل واحدة منهما من ناحيتها، بصحبة رفيقها، قد قررتا شراء شقة. كان غلاء أسعار البيوت الباريسية قد جعل من منطقة الدائرة ١٩ الحي الوحيد ضمن حدود باريس الذي كان لا يزال مناسبًا بالنسبة إلى ثلاثينيين يستهلكون للمرة الأولى كما

كان حالهم. حقًا إن القرب من ميدان ستالينغراد ومن باعته، وشبه الجيتو الذي يمتد من حول شارع المغرب، وكثافة وضخامة حواجز المساكن الشعبية في جادة لافييت، عدا الكلام عن السمعة السيئة للمدارس الإعدادية المحيطة، كانت كلها عوامل رادعة بشدة في نظر مشترين محتملين، ولاسيما إن كانوا أزواجًا على وشك تأسيس أسرة، كما كانت حالتهم. في مواجهة هذا الوضع، انقسمت عصبة أصدقائهم آنئذ، والمؤلفة في قسم كبير منها من صحفيين وممثلين مسرحيين، إلى جماعتين. كان بعضهم قد اختار الضاحية، الشرقية عمومًا، وكانوا سعداء بخيارهم. أما بالنسبة إلى الآخرين، ومعظمهم من أصل ريفي بما فيهم جولييت وفلورنس، فقد كان اجتياز الطريق الدائري المحيط بباريس أسوأ من الجحود، نوعًا من الإدانة. هذا الانقسام بين سكان الضواحي الجدد والباريسيين بأي ثمن صار موضوع نقاشات حامية خلال شهور. كانت بعد ذلك كلُّ واحدة من دعوات العشاء لدى هؤلاء أو أولئك تثير النقاش من جديد، والجميع متمسكون بمواقفهم، سكان الضواحي يعرضون بفخر حديقتهم الصغيرة الحافلة بالعث في أمسيات الصيف، في حين كان الباريسيون يتنشون بلباقة وهم يرثون حالة أصدقائهم بصوت خافت، مستمتعين بتفضيلهم سهولة الانتقال ومقاهي قناة سان مارتان على الهدوء الوهمي وعلى المستودعات الموشومة بضاحية مونتروي.

والحقيقة أن الحي كان لطيفًا جدًا. فسوق شارع سيكريتان نشيط، وبوت بيرجيير مزهرة، والاعتداءات بالسلاح الأبيض فيه لا تكاد تكون أكثر وقوعًا من أي مكان بباريس، وكانت العصبة كلها، وهي يسارية بإخلاص، تحمد فضائل هذا الاختلاط الاجتماعي المفروض بفعل الضغوط الاقتصادية لكنه يتكشف في الممارسة ثروة ثمينة، وعاملًا لاجدال فيه في تكامل شخصية أولادهم. كان حضور الجبهة الوطنية السنة الماضية، يوم ٢١ نيسان/أبريل ٢٠٠٢، في الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية قد دوّى بالنسبة إليهم جميعًا مثل قصف الرعد. كانت جولييت التي صوّتت لجوسبان منذ الدورة الأولى مرتاحة الضمير. لكن الذين استسلموا مثل أوليفييه للافتتان بالخضر أو باليسار المتطرف كانوا يحاولون الآن أن يكفّروا عن خطيئتهم بأخذ بطاقتهم من الحزب الاشتراكي، وبانخراطهم في النضال دفاعًا عن الأجانب المقيمين بلا أوراق رسمية أو ضمن جمعيات محو الأمية.

بالطبع، لم يكونوا يتصرفون كالملائكة: فالوضع في الحي كان أبعد من أن يكون مريحًا. ذات يوم، اجتمعت أمهات مذعورات أمام مدخل حضانة

الأطفال. إذ عثرت ممرضة مواليد على غلام يلعب في الباحة مع محفظة رماها مدمن مخدرات من فوق الجدار العالي. ومن المدهش أن نتائج اختبارات فيروس نقص المناعة التي أجريت على وجه السرعة جاءت سلبية. على الصعيد المدرسي، بالنسبة لمن كان منهم يسكن في الجهة الأخرى من ميدان ستالينغراد، نحو شارعي المغرب وطنجه، كان الوضع يزداد تعقيدا. فقد انهار عدد منهم لما اكتشفوا أن طفلهم كان الطفل الوحيد من أصل أوروبي في فصله. كانوا قد فضلوا التخلي عن الشقق الكبيرة مع سطح ومنظر على القنال، التي كانت بلدية باريس تؤجرهم إياها بسعر متهاود لكي يتراجعوا إلى مساحات صغرى في قلب أحياء أقل شعبية. كان ذلك حقهم بكل معنى الكلمة. كان الآخرون يأسفون على رحيلهم دون أن ينتقدوهم بسبب ذلك. لا أحد يمكنه أن يقول بعد كل شيء، ما الذي ينطوي عليه المستقبل. ليس من الممكن استبعاد أن ينتهي القلق الأبوي المشروع، مع مرور السنوات، وعند لحظة الدخول إلى المدرسة الإعدادية، إلى جعل القناعات المواطنية تهتز. لا يمكن استبعاد أن يتكشف البعض مستعدا لأسوأ الحقارات للالتفاف على الخارطة المدرسية. وأن آخرين سيقررون أخيرا اختيار المدارس الخاصة. لكن في اللحظة التي تحدث فيها هذه الحكاية، كان كل ذلك بعيدا عن عقولهن بما أن إيما وجان، بكري جولييت وفلورنس، لم يكونا قد بلغا من العمر إلا ست سنوات.

حين وصلت شقتها، ترددت جولييت. لم تعد لديها الرغبة في الذهاب إلى السينما. لكنها كانت قد أوصت من أجل هذا المساء على جليسة أطفال. وكان من المحرج، حتى لا نقول من غير اللائق، الرجوع عن طلب مجهولة عند آخر دقيقة. وضع صوت جرس باب المدخل حدا لمعضلتها. كانت فتاة سنغالية ذات مظهر عذب ولطيف. حصرت جولييت تفكيرها بالتعليمات الواجب إعطاؤها، والتعليمات واجبة التنفيذ، ثم الخروج بعد تقبيل أولادها. ما إن صارت خارجا، في ميدان ستالينغراد، حتى جعلتها الحركة من حولها أفضل حالا. سارت حتى سينما رصيف السين، ونظرت إلى الملصقات. كان أوليفييه وهي قد أرادا الذهاب لرؤية فيلم رجل، رجل حقيقي، الذي كان النقاد يتحدثون عنه بإطراء شديد. «تعزجات حياة رجل وامرأة» حسب ملخص الفيلم. فكرت: لا، شكرا. في القاعة المجاورة، يعرض فيلم سويمينغ بول، لفرنسوا أوزون. «قلق ينتظر، ترقب على ترقب، خطر جاثم»، كما تقول مجلة تيليراما. اشترت بطاقتها ودخلت القاعة.

قبيل نهاية العرض، اهتز هاتفها الجوال، الذي عملت على وضعه في

حالة صمت، مرتين في حقيبتها، في هدير نحيبي لكلب مكمم يشد قيده. أووووه أوه. أووووه أوه. تكوّرت على نفسها، ورأت على الشاشة مصدر النداءات من دون أن تنبر جيرانها كثيرًا، وتأكدت من أنها ليست جليسة الأطفال من كان يحاول الاتصال بها. كان النداء من جوال أوليفييه. انفرزت من جديد في مقعدها. بعد عدة ثوان، سمعت النباح الخفيض المخنوق الذي يشير إلى وصول رسالة. بعد عشر دقائق، مرة أخرى. ثم أيضًا بعد خمس دقائق. انتهت إلى أن تركل حقيبتها بقدمها. على الشاشة، كانت هناك لوديفين سانييه عارية وشارلوت رامبلينغ تبكي، ثم العكس، أوراق مبتة على مسبح، لوديفين سانييه التي كانت تقتل شارلوت رامبلينغ. أو العكس. لم تكن تحاول أن تفهم. قُبيل نهاية الفيلم، أزعجت جيرانها جميعًا كي تذهب إلى المغاسل، واستغلت الفرصة لتسمع الرسائل الثلاث التي تركها لها أوليفييه. كان أمام السينما، يبحث عنها. عادت إلى القاعة وبقيت واقفة في خلفيتها لمشاهدة آخر دقائق الفيلم حتى قائمة الأسماء، ثم اتجهت قبل الجميع نحو الخارج.

٢

في حياة الفتيات، الأب هو من يشير إلى الاتجاه.
كان أب جولييت قد ترك أمها حين كان لها من العمر خمس سنوات.
بالطبع، كانت قد قالت لنفسها إنه خطؤها.

ذهب
بكت أمها
كانت خائفة.

تلك كانت أولى ذكرياتها.

بعد أن بكت كثيرًا، أوت أمها إلى النوم. كان أب جولييت قد أعاد تنظيم حياته بعيدًا، بعيدًا جدًا. لم تعد جولييت إلى رؤيته إن صح القول إلا عندما بلغت سن الرشد. كانت أمها، خلال إقاماتها الطويلة في دار النقاهة تعهد بها إلى عناية جدتيها اللذين كانت صحتهما تتدهور حتى لم يعودا قادرين على تحمل هذا العبء.

كانت أمها، وهي حبيسة الكآبة، عاجزة عن الاهتمام بابنتها. فتبنت عندئذ الخيار الذي كان يفرض نفسه.

قررت جعل جولييت حبيسة بدورها.

سجلتها في مدرسة سانت أوفريت الداخلية.

كانت سانت أوفريت مدرسة داخلية ممتازة للفتيات الكاثوليكيات. وكانت أفضل منشأة بمنطقة ليموج. قضت فيها جولييت سنواتها الدراسية كلها من الفصل السادس وحتى السنة الأخيرة من الدراسة الثانوية.

ومن المؤسف أنها لم تلتق فيها بالإيمان.

مؤسف، لأن الحب الإلهي وحده هو الذي كان بوسعه أن يشبع حاجتها إلى الحنان العميق التي كانت جولييت تراكمها في أعماقها خلال سنوات المراهقة تلك.

كان الحنان غذاءً تجهله الراهبات الدومينيكيات.

وفي سانت أوفريت، كانت الفتيات يُقدن بيد من حديد في قفاز من شعر.

وفي سانت أوفريت، نشأت جولييت بقوة غريزة البقاء ضمن بيئة معادية. فيها تعلمت الظلم، والإذلال، والرياء.

من وجهة نظر مدرسية دقيقة، لم تكن سمعة الامتياز التي اشتهرت بها مدرسة سانت أوفريت سمعة مغتصبة، وكانت جولييت فيها تلميذة لامعة.

أما بالنسبة إلى ما تبقى، فكان كل شيء يتوقف ولا شك على التربية الأصلية.

فعلى أجزاء منها مصونة جيدًا أحسنت رعايتها، والمقصود بذلك الأسر الرجعية والغنية والكاثوليكية التي كانت تشكل زبائنها العاديين، كانت سانت أوفريت تعرف تنمية البذور الشابة التي يعهد بها إليها على أفضل وجه وتفخر بأنها تخرّج من صفوفها أفضل زوجات وأمهات المستقبل، المكرّسات كي يصنّ زهرة البورجوازية الكبيرة الليموجية.

أما عن التربية العضوية لأسرة أتت جولييت من تحللها، فتلك حكاية أخرى. كان محتومًا ولا شك أن الراهبات، على الرغم من جهدهن، لم يستطعن أن يحملن على النمو إلا ما كانت قد صارت عليه حين غادرتهن، بعد السنة الأخيرة، وفي جيبها شهادة الثانوية العامة بدرجة جيدة: رأس مليء جيدًا، حسن التكوين، مغامرٌ على نحو كامل، ثوّاقٌ للحرية، وللتمرّد، متقلّبٌ على استعداد للدوران حسب اتجاهات رياح الاحتجاج كلها التي كانت تهب في تلك السنوات والتي راحت تتلاقى في جنون حماسي في ميدان الباستيل، ذات مساء من أيار/مايو عام ١٩٨١ (التمرد ضد سواسون عام ١٩٧٨، حركة دعم الثانويات المهنية عام ١٩٧٩، إلخ)، كل هذه الحركات التي لم تستطع لا هي ولا زملاؤها المشاركة بها، لكن صداها وصل إليهم مع ذلك عبر جدران سانت أوفريت السميكة،

متلهفة،

خصوصًا،

للذهاب من أجل اكتشاف القارة الذكورية، التي لم تكوّن عنها إلا فكرة شديدة الغموض، وعلى قدر من الإثارة بحيث كانت تجهل تقريبًا كل شيء عنها.

ليلًا، كان مهجع سانت أوفريت مكان تجارب كثيفة. كانت كتب ومجلات نسوية تنتقل تحت المعطف، تشجع فيها الممارسات السحاقية بهذا القدر أو ذاك من الصراحة. لم تكن فتيات سانت أوفريت يحتجن لتكرار ذلك مرتين. اكتشفت جولييت في ليل سانت أوفريت، كفغامرةٍ، جسدها والعذوبة المقززة لجسد أخرى، والدفء الرطب لعضو جنسي أنثوي. تحت الشراشف، كانت تفرز في نفسها أشياء ذات أشكال منوعة، محاولة إدراك سرّ لذة الإيلاج. ولكن رغم الإثارة الحارة لهذه اللحظات، كانت تشعر تمامًا أنها لا تتكيف، إلا كتعويض، مع هذه الرطوبة الحارة الأشد سيولة والأشد

حلاوة، وأنها كي تبلغ تمالة قمم اللذة، كان كل ذلك يفتقر إلى الجوهري.
وحين اكتشفت بعد شهر تقريبًا من مغادرتها سانت أوفريت، على سريرها الضيق كطالبة، صلابة عضو رجل منتصب، ممسوك بملء اليد، ناعم وقاس مثل عصا خشبية مصقولة، عرفت أنها عثرت على طريقها، وأن حبّ الرجل سيكون قضية حياتها الكبرى.

كيف حال المصروعة؟ سألت جولييت بلهجة خفيفة وهي تجلس.

كانت عند خروجها من السينما قد لمحت على الفور أوليفييه، من ظهره، واقفًا، على حافة بركة لافييت. كان ينظر إلى الضفة الأخرى. وكان الليل قد هبط، ونوافذ العمارات المواجهة تضيء أنوارها واحدة بعد أخرى. منذ افتتاح هذه السينما في المستودعات القديمة، بعيد انتقالهما إلى الحي، تغير منظر ميدان ستالينغراد كثيرًا. كانت المقاهي والمطاعم قد ظهرت في حين كان رصيف اللوار من الجانب الآخر من البركة قد أعد كمتنزه. وقد دفعت جولييت فيه، كلًا بدوره وفي عربة الأطفال ذاتها، إيما ثم يوهان خلال ساعات وساعات. فيما بعد، حين بدأ بالسير، كانت تحمل العربة على متن القارب الذي كان يقوم بالنقل ذهابًا وإيابًا إلى المتنزه، كي تأخذهما ليلعبا في حديقة ديفان.

رغم الظلمة، تعرفت عليه، من ظله العالي، وطريقته في الوقوف، عاقدًا ذراعيه خلف ظهره، رافعًا ذقنه بخفة قليلًا. اقتربت، وتوقفت على مسافة متر منه. استدار، وابتسم طلق المحيا، وسأل إن كان الفيلم قد أعجبها. لم تجب، أشارت إلى مقهى، يبعد قليلًا.

من حولهما يصخب الرصيف بجمهور فرح يستغلُّ حرارة المساء. كان هناك بشر قد تجمعوا في رتل عند مدخل السينما من أجل عرض الساعة العاشرة ليلًا في حين كان آخرون يخرجون من القاعات جماعات صغيرة متماسكة. كان النور ينعكس في الماء، وقارب يفز، ويخيّم جوّ الغطل. وبما أنه لم يكن هناك أي مكان على رصيف المقهى المجاور، فقد استقرا إلى مائدة صغيرة في الداخل.

سألت: كيف حال المصروعة؟

اكفهرّ وجه أوليفييه.

هذا ليس مزاحًا.

تجهم صوته أكثر قليلًا، وأضاف: لا بل إنه وضع مأساوي بما فيه الكفاية.

قالت: آه.

يبدو أنها مريضة فعلًا. لم أكن أعرف ذلك، لقد عرفت ذلك لتوي. كان أحد أصدقائها هنا حين وصلت. وهو الذي شرح لي. إنها حكاية اغتصاب، إذا كنت قد فهمت جيدًا.

قالت: كفى، لا يهمني.

وهو ما يمكن أن يبدو فجًا، لكنه يُفهم على نحو أفضل إن عرفنا أن

جولييت أيضًا، كانت قد اغتصبت، وأن من المفترض أنّ أوليفييه كان بالطبع على علم بذلك. هذا إلا إذا نسيه كان أحيانًا يتعرض لضروب من النسيان غريبة. أو أنه افترض على العكس أن اكتشاف هذه النقطة المشتركة الإضافية يملأ جولييت بشفقة فورية إزاء تلك التي كانت تضاجع زوجها. في هذه الحالة، كان ذلك يعني خطأ هائلًا في التحليل. سواء أكانت مغتصبة أم لا، فإن احتمال تعرّف جولييت على هذه الإنسانة التي اكتشفت وجودها لتوّها كان في أدنى حالاته بل وكي يُقال كل شيء، كان هذا الاحتمال قريبًا بقدر كافٍ من الصفر.

كفى، قالت. لا يهمني. لا وجود إلا لأمرين يهمانني، أولًا: هل تريد أن تهجرنا أنا والأولاد؟

لا ، أجاب على الفور، بلا تردد ظاهر. لا، ليس هذا ما أريده.

لم تعمل على إخفاء ارتياحها.

حسنًا. ثانيًا، هل أنت عاشق؟

تردّد. دمدم شيئًا لم يكن نعم ولا لا لكنه كان ينتهي ب: شعور قوي، نعم.

تنهدت جولييت، أوه، اللعنة، اللعنة اللعنة!

وضعت وجهها بين كفيها، وأخفت عينيها، و تمتمت: لا أرغب إلى هذا الحد أن أعيش هذا.

لا أرغب لا أرغب. بهذا الابتذال. بهذه الرداءة. الشعور بعيش هذا من قبل ألف مرة، بواسطة الكتب، بواسطة أشخاص وسطاء. ليس نحن، ليس لنا نحن. كنا على ثقة من أنه لا يمكن لهذا أن يحدث لنا، لنا نحن الاثنين، أنت وأنا.

أما هو فكان من ناحيته يحاول أن يجعلها تفهم، على العكس، الطابع الاستثنائي لهذه الحكاية، غير العادية على الإطلاق، عادية لا، ليس بالنسبة إليه على كل حال. استثنائية، على العكس.

لكن هذا يبدو على الدوام استثنائيًا لأولئك الذين يعيشونه، قاطعته مرهقة، خافضة يديها، محدّقة في عينيه، أنت تعلم ذلك، بالضبط، هذا هو، ما هو عادي جدًا.

إذن ماذا تريد أن تفعل؟

استسلم أوليفييه إلى مسند كرسيه، تردد قليلًا، وتأوه.

أرى أنه سيتوجب علي أن أخرج من هذه الحكاية. لكن ذلك سيأخذ قليلًا من الوقت.

التفتت جولييت، لوّحت بذراعها في الهواء كما لو أنها تغرق. حاولت جذب انتباه نادلة. كانت بحاجة إلى قدح ويسكي. لكن المكان كان

مزدحمًا، عابقًا بالدخان، وكان كلّ الخدم مرهقين. لم يكن أحد ينتبه إليها.

استأنف أوليفييه: لابد لك أن تفهمي أنني لم أرِد ذلك. عدّل جلسته وبحث عن نظرتها. حدث هذا لي، هذا كل شيء، عندها فكرت أن ذلك لن يغير شيئًا بيننا. لا بل عليّ أن أقول إنني كنت أفكر أنّ ذلك لن يهمك في شيء. لكن لابدّ لي كي أشرح لك، أن أحكي لك كل شيء منذ البداية. كيف حدث ذلك.

بالتأكيد لا، أجابت وهي تخفض يدها، فاقدة صبرها، وهي تعود للالتفات إليه. لا أريد أن أعرف شيئًا. لا أين ولا كيف. لا أريد أن أعرف حتى اسمها.

بدا أوليفييه خائبًا. كان واضحًا أنه يود أن يروي الحكاية.

ألح: سوف نعود إلى ذلك يومًا ما، لابد من ذلك. منذ البداية، فكرت في زاوية من رأسي أن بالوسع فيما بعد الحديث عن ذلك. وأستمر في الظن أن ذلك سيكون ذات يوم ممكنًا.

أجابت: لامجال أبدًا. لا الآن ولا فيما بعد. ثم، لماذا قلته لي؟

لا يمكنني أن أتصرف على غير هذا النحو، كان يجب أن أشرح لك. لم يكن بوسعي المجيء إلى السينما.

رفعت كتفيها. فكّرت، عذرٌ سيء. كان بوسعه الاستمرار في الكذب. ابتكار مشكلة في المجلة، مقالٌ يجب إنهاؤه على عجل. كانت على قدرٍ من الثقة بحيث لم تكن تطرح الأسئلة، ولم يكن ذلك صعبًا.

قال، ربما. لكنه عزاء أيضًا. أشعر بنفسي أحسن حالًا، الآن.

هزّت رأسها.

نعم ما حدث لك. أنا، كما ترى، عجيب، أشعر بنفسي أسوأ حالًا بكثير.

لم يُستجب حتى الآن لطلبهما، وبدوره بدأ أوليفييه يغضب. الأمور دائما على هذا النحو، هنا. لا بدّ من التوسل كي يتنازل نادل مرهق ويأتي ليأخذ الطلب الذي لن يصل قبل ساعات، أو الذي بنسبة خمسين بالمائة من الحالات لن يصل.

قال: إنه فعلًا مكان مجانين.

انتهى إلى النهوض، واتجه نحو البار. حين حمل لهما طلبهما، تناولت قدحها من الويسكي وطلبت على الفور قدحًا ثانيًا، متحدية اعتراض زوجها الظاهر. هذا المساء، لم يكن لديها ما تأبه له.

لو كان الأمر على الأقل شيئًا مرحًا، شيئًا بهيجًا. أترى ذلك. ولكن هنا، تبدأ الأمور بعنف، ها، النوبة العصبية، الدراما النفسية...إذا كانت تضع نفسها في هذه الحالة فقط لأننا كنا سنذهب إلى السينما معًا، صدقني، أعرف هذا النوع من الفتيات، خلال عشرة أيام ستكون جاهزة لسيارة

الإسعاف.

ضحك: إنها ليست حقيقة من هذا النوع. فعلًا لا. لا أستطيع أن أشرح لك بما أنك لا تريدين أن أتحدث عنها لكنها امرأة منتخبة وفوق ذلك فهي خريجة دار المعلمين العليا.

سخرت جولييت بهدوء: خريجة دار المعلمين العليا. أتظن أن ذلك يؤثر علي..

من المهم أن نسجل أنهما فيما بعد، عندما سيستعيدان معًا هذه المحادثة، سينكر أوليفييه بصورة قاطعة أنه قال هذه الكلمات، "وفوق ذلك فهي خريجة دار المعلمين العليا". سيقول إنها الكلمات التي كان يمكن أن يستخدمها أبوه وأنه لو تكلم كأبيه، في مثل هذه الظروف، لكان أمرًا مثيرًا للشفقة.

ومع ذلك فقد قالها، هذه الكلمات، كانت جولييت من ناحيتها مقتنعة بذلك. لكن لا يهم.

بدأ الكحول يعمل عمله، لم تكن معتادة على أن تشرب على هذا النحو قدحين من الويسكي واحدًا تلو الآخر. استرخت شيئًا فشيئًا، وصار كل شيء لا واقعيًا. زوجها هنا، جالسًا في مواجهتها، لاشيء تغير بينهما، ولا شيء يبدو أنه يجب أن يتغير. أكد ذلك، عما قريب كلُّ ذلك سيكون من الماضي. إلا إذا. ما لم.

فكرت بصوت عال، ونظرت إليه بانتباه.

هل تود متابعة هذه القصة مع بقائك معي، لم أقل إنني مستعدة لقبول ذلك، وللوهلة الأولى لن تقبل هي الأخرى، ولكن لو كان ذلك ممكنًا، هل هذا هو أساسًا ما تريده أنت؟

لا. ما دمت على غير علم بذلك، لا شك، أما وقد علمت الآن، لا.

حسنًا. إذن، نهاية الحكاية، فكرت جولييت، التي تستمر وعكتها بصورة لا تفسير لها. إحساس غريب بفيلم تسبق نهايته العقدة، وغمغمت بكرات شريطه.

أنهيا قدحيهما بصمت. حان الوقت للعودة. اجتازا ميدان ستالينغراد وهما يمشيان جنبًا إلى جنب، مع الاحتفاظ بمسافة بسيطة، دون أن يخاطرا أقل مخاطرة، ولو سهوًا، في أن يتلامسا.

في حكايتها مع أوليفييه، كان لدى جولييت غالبًا انطباع بأن البكرات قد خلطت. منذ اليوم الأول، لم يكن لقصتهما لا رأس ولا ذنب.

هناك قبلتهما الأولى، وبعد أسبوعين، ليلتهما الأولى معًا.

بين هاتين اللحظتين، التقى أوليفييه ماريا، وخانها معها آنئذ.

نتيجة ذلك ينفصلان ثم يلتقيان بعد ثلاث سنوات ويتزوجان في اندفاعتهما.

وأخيرًا، بعد شهر، يسكنان معًا ويقدم كلٌ منهما للآخر أسرته.

لقاء ثم خيانة ثم حبّ ثم قطيعة ثم زواج ثم حياة مشتركة.

هذا شيء لا يوصف.

منذ ولادة الطفلين، كانت الأشياء تبدو وقد اتخذت أخيرًا مجراها الطبيعي.

لكن الذي يعرض الأفلام يستمر بالإفراط في الكحول.

حين وصلا بيتهما، دفعا أتعاب جليسة الأطفال، ثم اتجها نحو غرفة النوم. سألته في أي ساعة سيذهب إلى روما، يوم السبت التالي.

لن أذهب، كما أظن.

تعجّبتْ، آه، نعم، بل ستذهب. أنا أريد أن تذهب، سوف يريحني ألا أراك خلال عدة أيام.

داعبت وجهه. وأنت أيضًا سوف يفيدك أن تذهب هناك. سوف تغير أفكارك.

لم يجب أوليفييه.

أضافت: أمر واحد فقط. إذا كان عليك أن تتركني، فاتركني الآن. لا عندما يصير عمري خمسين سنة. هذا أمر قذر حقًا.

ابتسم.

أنا موافق. فهمت. موافق.

وحدها في قاعة الحمام، بحثت، وعثرت في قعر علبة على حبوب منومة على وشك انتهاء صلاحيتها. ابتلعت واحدة، وذهبت تتمدد قرب أوليفييه ونامت على الفور وهي تدبر ظهرها له.

بعد ساعتين، استيقظت وقلبها يخفق، وهي تنضح عرقًا. كان يوهان، طفلها الصغير، ينام في حضنها. لم تسمعه يدخل، وينزلق في سريرهما. كانت وهي محصورة الآن بينه وبين أبيه، تكاد تختنق من الحرارة ولم تعد تستطيع النوم. نهضت بحذر، أخذت ابنها بين ذراعيها، وجهدت في ألا تقطع عليه نومه. ذهبت لتنيفة من جديد في سريره ثم عادت إلى الغرفة وأيقظت أوليفييه بلا تحفظ. كانت تبكي. أما هو، فكان حائرًا، مذهولًا، أشعث، لا يعرف إلا أن يكرر: عودي للنوم، أرجوك، حاولي أن ترتاحي. لا تبكي. سوف نتخلص من كل ذلك.

أحتاج فقط إلى قليل من الوقت.

كانت تلك هي الجملة المعترضة المسحورة.

لن تدوم وقتا طويلا.

عام ١٩٧٥، صوت البرلمان تحت وطأة صيحات الاعتراض على قانون فين، الذي سمح بوضع حدّ إراديّ للحمل وذلك لمدة تجريبية قدرها خمس سنوات.

عام ١٩٧٩، صدر قانون جديد يجعل هذه الترتيبات نهائية.

كانت حبة منع الحمل متاحة ومدفوعة من الضمان الاجتماعي، بما في ذلك للقاصرات، منذ عام ١٩٧٤.

كانت السماء صافية وكان الطريق يبدو سالكا.

لن يدوم ذلك زمنا طويلا لكن أحدا لم يكن بعدُ يتوقع ذلك. منذ منتصف سنوات ١٩٨٠، سيمد مرض نقص المناعة ظله، ويثقل على الشباب بغطائه الرصاصي. ولكن بانتظار ذلك، وفي تمام نهاية سنوات السبيعينيات، حين غادرت جولييت سانت أوفريت من أجل التحضير العلمي لمسابقة دخول المدارس العليا وسكنت في سكن جامعي بمدينة ليموج، كان العالم لها وكانت الحرية تفتح لها ذراعيها. رغم بعض التحفظات التي لا مفرّ منها بعد عدة سنوات قضتها في مدرسة داخلية للفتيات بالنسبة إلى الطبيعة الطيبة ضمنيا للمرأة، فقد انضمت إلى «جماعة النساء» واشتركت بمجلة نسوية حافلة بالأحرف الكبيرة التي تضخم كلمات أحسن اختيارها («أب أبو الصحافة»، «فرعون سلطة السلطات»)، ومزروعة أيضا بالتوريات مثل «اللعن ات». كانت جولييت نادرًا ما تقرأ عددًا منها حتى نهايته، لكنها تستسلم للمداعبة من قبل «الأحرف المتعددة للكلمات»، التي كانت «مثل نساء مغا في مكان نسائي: حارّ وبسيط، غني وموجز، بليغ وصادق». نوعٌ من حجرة فاصلة لتخفيف الضغط بعد سانت أوفريت، نوعًا ما.

هل سمعت جولييت للمرة الأولى في مجلة نساء يتحزكن بالحديث عن منهج حساب أيام الخصوبة الشهرية؟ لا، بلا شك، لأنها كانت مجلة أكثر جدية من أن تقوم بالدعاية لمنهج منحرر بهذا القدر. من المؤكد بالمقابل أن حبة منع الحمل كان لها في نساء يتحزكن سمعة سيئة. فمنتج كيميائي يغير الدورة الشهرية للنساء لا يمكنه إلا أن يكون غير مقبول. كانت جولييت تستخدم اللولب إذن كوسيلة لمنع الحمل مع مرهم فطهر، وهي تقنية يرهنت عن فعاليتها بنسبة ٩٧٪.

قبل كل علاقة جنسية، كانت تعتزل بعض اللحظات كي تخرج ذلك

الشيء من علبته، وتفتح أنبوب المرهم وتضع على الحلقة المطاطية التي تشكل المحيط خيطًا دقيقًا من المرهم. وكي تنتهي، كانت تضيف ما يساوي لوزة كبيرة في قعر الغشاء. ثم وهي تضغط الحلقة بين إصبعيها حتى تجعلها بيضوية مسطحة، كانت تضع الآلة في مكانها وتتأكد من أنها تغطي عنق رحمها بطريقة عازلة.، قبل أن تستدير لتلقي بنفسها بين ذراعي حبيبها العابر. حقًا، لم يكن دومًا من السهولة، في أوج الفعل، التقيد بهذا الانضباط، لكنها مع ذلك كانت تلتزم به. لم يكن وارذا وهي لا تزال طالبة، عند فجر مسار مهني كانت تتخيله لامعًا، أن تصير حبلى وكانت على قدر من المسؤولية كي لا تنوي الإجهاض إلا كحلٍّ أخير لا بد منه. أما بالنسبة إلى الواقي، فلم تكن قد رأته أبدًا. كان الشيء يبدو منتميًا إلى عصر بربري انقضى منذ زمن طويل، ولو أن رجلًا اقترح عليها أن يستخدمه، لكان احتمال أن ترضى به قليلًا، طالما كان منع الحمل يبدو لها منتميًا حصرًا إلى مجال خاص بالنساء. جسدي هو لي ويقع تحت مسؤوليتي الحصرية، كانت قد حفظت الدرس جيدًا.

من أجل مزيد من الأمان، كانت تضيف إلى منهج اللولب مقدارًا من منهج حساب أيام الخصوبة الشهرية، فحفقة جسدها العاري في أشعة القمر كل مرة تتاح لها الفرصة (أي قليلًا للأسف) كي تزامن دورتها الشهرية مع دورة الكوكب المؤنث[1]. بدقة كانت تتلافى ممارسة الحب حين لا تكون أزمنته ملائمة لذلك. كانت تفكر على هذا النحو أنها تخفض احتمالات الفشل في منع الحمل من ٣ إلى ١ أو ٢٪، لكن إما أنها لم تعرض ولا شك بما فيه الكفاية جسدها على القمر، أو أن الإحصاءات كانت تسيء تقدير خصوبة الفتيات في عمرها، أو كلاهما. أيًا كان الأمر، كانت جولييت قد حملت وهي تبلغ تمامًا الثامنة عشر عامًا من عمرها.

---

1 الكوكب المؤنث هو القمر بما أنه في اللغة الفرنسية مؤنث. (ه. م)

جمعة الصعود كان يوم إجازة إضافية. فلا جولييت ولا أوليفييه كانا يعملان. ولم يكن على الصغار كذلك الذهاب إلى المدرسة. نظرت جولييت إلى السماء وفكرت أنه كان بوسعهم الذهاب إلى الريف. لكن أوليفييه كان قد قرر قبل ثلاثة أسابيع الذهاب لقضاء يومين في روما، وبالضبط، ذلك السبت. قبل ثلاثة أسابيع. بينما كانوا ينهون تناول الغذاء، أرسلت الأطفال يلعبون في غرفتهم وسألته دون ظن منها بالأمر، ولمجرد تخليص الذمة:

طمئني. إجازة نهاية الأسبوع في روما لا علاقة لها بهذه الحكاية؟

رفع كتفيه.

مضت شهور وأنا أتكلم عن ذلك.

مضت شهور وأنت تتكلم عنها، لكنك قررت قبل ثلاثة أسابيع. وأمس، قلت لي إن هذه الحكاية بدأت منذ ثلاثة أسابيع، على وجه الدقة.

كانت نظرته هاربة. نظرت إليه، غير مصدقة.

هل كنت قد نويت الذهاب إلى روما معها؟

دمدم: سوف ألغي. قلت لك ذلك أمس. لن أذهب إلى هناك.

كررت: كنت قد نويت الذهاب إلى روما معها.

شعرت بنفسها فجأة مرهقة. ففي روما إنما كانت قصة حبها مع أوليفييه قد بدأت. تخيلته يركب الطائرة في الغد مع الأخرى، ونداءات الهاتف خلال الأيام التي سوف تلي، وهي هنا تفكر بهما معًا تحت الشمس، هناك، يتنزهان في الشوارع، يتوثبان على أرصفة المقاهي. مستحيل.

كنت تنوي النوم معها أين؟ في بيت ماريا؟

قبل عدة أشهر من ذلك، كانت رفيقة أوليفييه السابقة قد علمت أنها مصابة بسرطان الثدي. كان ذلك أحد الأسباب التي حملت أوليفييه، حسب زعمه، على الذهاب لزيارتها.

أجاب جولييت، بتعبير مُوَجِّه بوضوح كي يجعلها تشعر بقلة مشاعرها القلبية:

ماريا لديها هموم أخطر من ذلك. لن أذهب لأجعلها تتدخل في مشكلاتنا.

بعد وقفة، أضاف:

بالمقابل، كاترينا على علم. فقد عاشت لتوها حكاية، هي الأخرى. حكاية انتهت على نحو سيء، على كل حال. كانت قد باحت لي بأسرارها خلال واحدة من زياراتها لباريس. حدثتها بدوري وعرضت علي استضافتي. إنها الوحيدة التي تعلم بالأمر.

مقرف. كان ذلك مقرفًا. كانت كاترينا قد جاءت إلى بيتهما في العام الماضي مع زوجها وابنتها الصغيرة. الآن تستقبل أوليفييه في بيتها مع «عشيقته»، كما يقال في المسرح الشعبي. شعرت جولييت بيديها تصيران رطبتين.

لا أرى أين الفرق بين الأمرين، تابع أوليفييه، عنيدًا. أكنتِ تفضّلين أن أصرف النقود في الفندق؟

رفعت جولييت كتفيها.

على كل حال، الجواب لا. إن كنتَ ستذهب إلى روما معها، أحذرك، عند عودتك ستجد حقائبك على سلّم البيت.

قال:سوف ألغي.

بعد فترة، أضاف: كنت قد اشتريت تذكرة لا يمكن تعويضها. إنه مال مُبعثرٌ في الهواء، ولكن، حسنًا.

لم تجب جولييت بشيء، كان من الممكن قراءة ما تفكر فيه على وجهها لأنه لم يلحّ.

قال: يجب أن أذهب لإخطارها. فقد سبق وأعدّت حقائبها. سوف أذهب فورًا.

قالت له: إهتف لها.

أجاب، لا أستطيع أن أقول لها هذا هاتفيًا. سيكون ذلك جبنًا.

ضحكت جولييت بعذوبة.

في حين تعلن لزوجتك عبر هاتف جوّال أنك تخونها، وتتركها تتدبر نفسها مع الطفلين تذهب في الوقت نفسه لمواساة رفيقتك، ألم يسبّب ذلك مشكلة لك ؟

كان يبدو منطويًا على نفسه.

كرر: لا أستطيع. يجب حقًا أن أذهب إليها.

قالت: حسنًا، مع انطباع غامض بأنها تعيد تمثيل دور مألوف من قبل. إذن إذهب إليها.

حين أغلق أوليفييه الباب وراءه، كانت الساعة الثانية بعد الظهر.

أخلت جولييت المائدة وجلست لحظة كي تفكر. رغم أنها في إجازة هذا اليوم، كانت قد طلبت إلى يولاند، جليسة الأطفال الآتية[2]، أن تأتي للاهتمام بالأطفال في الساعة المعتادة، كي تتمكن من الذهاب إلى الحلاق. كانت لديها عاداتها في صالون حلاقة مرتفع الأسعار يقع بالقرب من مكتبها في الدائرة الثامنة وكان ذلك واحدًا من ضروب البذخ النادرة التي اختصت بها نفسها. كان أوليفييه قد حاول إقناعها بجدارة حلاقي الحي،

لكنها قاومت دلالًا بقدر ما قاومت إظهارًا لاستقلالها. كانت تشعر بنفسها هذا اليوم أقل استعدادًا من قبل للتنازلات بالمعنى الاقتصادي الخاص بزوجها. بعد كل شيء، كانت مواردها أفضل من موارده، وكانت مستقلة ماليًا ولم يكن عليها أن تقدم حسابًا لأحد.

وهي تستقر مرتدية المئزر قرب الحاجز الزجاجي، وكومة من المجلات النسائية موضوعة أمامها، منتظرة أن يهتم فابريس بها، حاولت أن تتسلى وهي تراقب باب المدخل، كوكبة السائقين الذين يودعون الزبائن، وفتيات حجرة الثياب اللواتي كنّ ينهمكن في عملهن، وفتيات التطريف يقترحن خدماتهن. كانت بالقرب منها تمامًا امرأة أنيقة سمراء تحكي بصوت مرتفع رحلتها الأخيرة إلى سانت بارت. فكرت جولييت: كانت كلمة الخيانة الزوجية قد ابتكرت من أجل هذا النوع من النساء. هبط الحزن من جديد عليها فجأة، وتأملت انعكاس صورتها في المرآة.

مثل كل نساء جيلها، أو أكثرهن، لم تكن تظن نفسها تبدو في عمرها، ومثل كل نساء جيلها، أو أكثرهن، كانت على حق، وإن كان مفهوم «في عمرها» صعب التحديد بدقة. ما كان ذلك يعنيه، بغموض كثير أو قليل، في نظر جولييت كما في نظر معظم الناس، هو أنها تظهر أكثر شبابًا بكثير من أمها عندما كان لها العمر نفسه. هذه الواقعة، الموضوعية، المسلَّم بها، لم تكن ترتد فقط إلى المرض ولا إلى الإفراط في الأدوية التي استنفذت هذه الأخيرة مبكرًا. يبدو جيل جولييت الذي كان قد شهد النساء يتحررن على نحو جذري وكأنه اكتسب عشر سنوات إضافية من الشباب. كان قد اعترف لهنّ منذئذ بحق الإغراء، وبحياة جنسية نشطة إجمالًا حتى سن اليأس، ورغم الحساب، كانت جولييت التي لم تكن تملك عن مرور الزمن إلا مفهومًا شديد التجريد تشعر نفسها أكثر قربًا إلى طفولتها منها إلى هذه اللحظة من العمر. كانت تشعر بنفسها عمومًا شديدة القرب من كل نسخ جولييت التي كانتها وتقيم حوارًا مستمرًا وحنونًا مع هذه النسخ السابقة عنها التي كانت تكوّنها، مع استثناء مهم يطال بعض السنوات التي تلت اغتصابها، سنوات كانت مثل فجوة سوداء فقدت فيها جولييت أثرها الخاص بها، بعد أن اختفى من شاشات راداراتها الداخلية.

عند هذه اللحظة، كانت جولييت ذات الخمسة عشر سنة، هي التي كانت تنظر إلى نفسها في المرآة، عاملة على أن تجعل من صورتها تتزامن مع الصورة التي كوّنتها لنفسها دومًا عن امرأة مخدوعة.

لم تكن تتوصل إلى ذلك.

لاشيء يمكن عمله.

لم تكن تستطيع قبول أن يحدث ذلك لها اليوم. لها. الخيانة الزوجية. لاشيء سوى الكلمة التي كانت تستدعيها الدراما البورجوازية أو المسرح الشعبي العتيق. في الكلمة (الفرنسية) أدولتير (خيانة زوجية) هناك كلمة أدولت (راشد)، لم يكن ذلك صدفة. كان لديها الانطباع أن اعتراف أوليفييه دفعها بقسوة إلى عمرٍ جديد من حياتها. كان نهاية الأحلام، والشباب، والمثل الأعلى. الطريقة التي كان قد عثر عليها ليقول لها إنها لم تكن في نظره إلا امرأة طيبة كالأخريات. أمس، كان يبدو دهشًا من أنها لم تكن مقتنعة بحجته بأنه إذا كان قد شعر أن من المسموح له خيانتها، فلأن "كل الناس يفعلون ذلك". كان يبدو عليه أنه وجد في ذلك حجة صلبة، حجة صالحة، لا يمكن مواجهتها بشيء. وكان ذلك ولا شك هو أكثر ما تأخذه عليه، كونه اعتبر حبهما حبًا عاديًا، حبًا مبتذلًا، وبين المبتذل والرديء لا وجود لفرق كبير. كانت المجلات الشعبية التي طفقت تقلب صفحاتها كي تغيرمسار أفكارها تقدم عناوين كبيرة حول أناس لم تكن قد سمعت بهم أبدًا. كانت قد بلغت بالكاد سنّ الأربعين عامًا. وها هي، فجأة، تشعر نفسها عجوزًا.

استسلمت لإلهام مفاجئ، حين تساءل الحلاق عما كانت ترغبه، فطلبت إليه أن يقصه. قصيرًا. منذ الطفولة وهي تحمل شعرًا طويلًا أو نصف طويل، دون أن تملك الشجاعة على تقصيره أكثر من التربيع على مستوى الذقن. كانت تلك هي اللحظة المواتية أو أنها لن تكون أبدًا، فأوليفييه يخونها. كانت هناك صفحة قد طويت. وكانت تلك طريقة كغيرها من الطرق في تسجيل ذلك.

بعد ذلك، ذهبت لزيارة الطبيب الذي ضربت موعدًا معه صباح اليوم ذاته. كانت عيادته هي الأخرى في الدائرة الثامنة، على مسافة خطوتين من مكتب جولييت، وهو ما كان يسمح لها بالذهاب إليه حين تصاب بالرشح أو بالتهاب اللوزات دون أن تتعدى على يوم عملها. الواقع أنهما كانتا طبيبتين، أختين، إحداهما تدعى آدو، والأخرى آدو دوفال، ولم تكن جولييت تعرف أبدًا أيًا منهما تقابل قبل أن تمسك بالوصفة الطبية التي شطب عليها اسم إحداهما. توأمان حقيقيان ولا شك. دخلت مباشرة قاعة الانتظار الكبيرة الكابية والخالية، لم تكن هناك سكرتاريا. كانت قاعة عتيقة ونظافتها مريبة، وهو ما كان مدهشًا بما فيه الكفاية في حيّ مماثل. في نهاية ربع ساعة طويلة قضتها بلا حركة تتأمل البقع المبعثرة على الموكيت، انفتح الباب. امرأة متوسطة العمر، بقميص أبيض، بدينة قليلًا وبلا أناقة، لفظت اسمها قبل أن تبتعد كي تجعلها تدخل.

سألتها، ماذا حدث لك؟

تحججت جولييت بوجع في ظهرها واستسلمت لفحص سريع. انتظرت أن تكون الطبيبة جالسة من جديد إلى مكتبها وأن تبدأ في تحرير الوصفة الطبية كي تضيف بصورة طبيعية وهي تلبس ملابسها:

ثم إني أود لو أنك تصفين لي حبوب ليكسوميل.

رفعت الدكتورة هادو (دوفال؟) حاجبها وهي توجه عينيها لتراها.

ألديك هموم؟

سمعت جولييت نفسها تجيب بحبور مازوشي: أخبرني زوجي لتوه أنه يعيش علاقة مع إحداهن.

هزت الطبيبة العامة رأسها دون أن تظهر شعورًا بالمفاجأة أو بالتعاطف، أو أيّ اهتمام خاص. عادت إلى وصفتها وسألت وهي تتابع الكتابة: علبة واحدة تكفي أم أنك تريدين اثنتين؟

فكرت جولييت وهي تخرج من عيادتها: بعد كل شيء، ربما هذه هي الحياة اليومية لطبيب في الدائرة الثامنة. وربما كانت الدكتورة هادو (أو دوفال؟) تقضي في هذا الحي المفرط في بورجوازيته معظم وقتها في وصف الأدوية المضادة للقلق والإحباط لزوجات تربات، عاطلات عن العمل، مخدوعات. نظرت في ورقة الوصفة الطبية التي كانت تحملها في يدها. دوفال.

وهي تعود إلى مدخل المترو، سارت رافعة رأسها نحو العمارات الباريسية في شارع مالزيرب، محاولة تصور الشقق التي تنفتح عليها نوافذها العالية. كانت تساوي ثروة حسب سعر المتر المربع في هذا الحي. من يملك اليوم إذن، القدرة على الحصول على مثل هذه الشقق؟ لا أحد ممن يحيط بها على كل حال. ولم يسبق لها أبدًا طوال حياتها، كما يبدو لها، أنها تكلمت مع واحد منهم، أوأنها فعلت دون أن تعلم ذلك. من هم إذن سكان الدائرة الثامنة الغامضين هؤلاء الذين لا تلتقيهم في أي مكان، لا في العمل، ولا في الإجازات، ولا في أي مكان تجري فيه حياتها الاجتماعية؟ وماكان لأوليفييه ولها، حتى في حيهما الشعبي، أن يتمكنا من السماح لأنفسهما بالشراء اليوم. ففي سبع سنوات تضاعفت الأسعار تقريبًا. وأولئك الذين فاتهم الأمر من أصدقائهم في تلك الحقبة اضطروا إلى البقاء مستأجرين، وربما طوال حياتهم، بل وحتى الاستئجار صار يزداد صعوبة. قالت لنفسها فجأة إن باريس كانت مسكونة من الورثة أو من أصحاب المليارات الذين كانت تصادفهم على الطرقات دون أن تشك في ذلك أو أنها لم تكن قادرة إلا على أن تحزر، مختفين في سياراتهم ذات الزجاج

الكتيم، لأنه كان من غير المحتمل أبدًا أن يستخدم هؤلاء الناس المترو. فاجأت نفسها وهي تحلم بهذا العالم الذي لمحته لدى حلاقها والذي كانت فيه نساء يلبسن ألبسة فاخرة وجواهر باهظة الأسعار يشربن الكوكتيلات وهن يبحن بمصائبهن الزوجية، قبل أن يذهبن من أجل التسلية لإفراغ حساب أزواجهن المصرفي الهائل. لابد أن يؤلف ذلك عزاء ذا أهمية كبرى، مهما قيل.

عادت إلى بيتها، وأعدت العشاء للطفلين، وأنامتهما، ثم جلست تشاهد فيلمًا تسجيليًا على القناة السابعة (آرتيه). عند الساعة ٢٢، نظرت في ساعتها. مضت ثمانية ساعات على ذهاب أوليفييه.

رفعت سماعة الهاتف.

أجاب من فوره. كان يخرج من المترو، ويسير بسرعة، لاهثًا. قال، لقد وصلت.

وصل. ترك نفسه يسقط على الكنبة، وقد بدا عليه الإرهاق. ينظر إليها.

قال، قصصت شعرك.

تلك ملاحظة لا تستدعي أي تعليق.

سألت جولييت: إذن؟

إذن، قلت لها. كان ذلك رهيبًا. فتحت حقائبها. صرخت. بكت.

خلال ثمانية ساعات؟

بدا مفاجأ.

ثماني ساعات؟

منذ ذهابك. دون رغبة مني أن أكون حقيرة، يدهشني بعض التفاوت في النسب: خمس دقائق كي تقول على الهاتف للمرأة التي تعيش معها منذ عشر سنوات إنك تعيش قصة مع امرأة أخرى، وثمانية ساعات كي تعلن للفتاة التي تعرفها منذ ثلاثة أسابيع إنك لن تذهب معها لقضاء إجازة نهاية الأسبوع.

صمت.

قالت: ليكن. والآن؟

الآن ماذا؟

ماذا قلتما لبعضكما، من أجل التتمة؟

قلت لها إنني أحتاج للتفكير، وإنني لا أريد أن نرى بعضنا ولا أن نتكلم مع بعضنا خلال عشرة أيام. على كل حال، لدي أيام إجازات تعويض يجب أن أستخدمها قبل منتصف حزيران/يونيو، وأفكر في الذهاب إلى أوبينيي مع الطفلين. وانتهاز هذه الفرصة للبت في الأمر.

تنظر إليه جولييت مذهولة.

لم تقل لها إن الأمر انتهى؟

أجاب أوليفييه متيقظًا: لا، قلت لها إننا لن نذهب إلى روما، لم أقل لها إن الأمر انتهى. لم أقل إنني سأفعل ذلك.

همهمت جولييت: يصعب علي أن أفهم.

ابتسمت بوهن. إذا كان لابد لك من ثمانية ساعات فقط من أجل إلغاء إجازة نهاية الأسبوع، فتوقع أسبوعًا على الأقل كي تقول لها إن الأمر انتهى.

هدأ قليلًا. يجب أن تتركي لي قليلًا من الوقت ياجولييت. يجب أن أقوم بالأمر بهدوء. صدقيني، ليس الأمر سهلًا.

---

2 من جزر الآنتيل (Antilles) جزر الهند الغربية الواقعة في البحر الكاريبي.

كان ذلك خطؤها.

لقد حملها على أن تشعر بذلك تمامًا.

خطؤها، خطؤها، خطؤها.

وكان على حق، لابد من أن تكون غبية، فقصص منهج حساب أيام الخصوبة الشهرية، كل الناس قالوا لها عنها.

لكن للدفاع عنها، كانت تستخدم أيضًا اللولب الحاجب، سبعة وتسعون بالمائة، للدقة.

بحاجب أو بلا حاجب، خطؤها مع ذلك، غبية، غبية، غبية.

الطبيب، رجل مسن في الخمسين من عمره، بعد أن حملها على أن تشعر أنه خطؤها، كان لطيفًا. كانت قد سألته ما العمل، فقد كانت لحسن الحظ قد بلغت لتوها سن الرشد، و كيف تأخذ موعدًا وأي مستشفى، كيف سيتم كل ذلك. كان قد وضع يده على كتفها، لطيف.

هل أنت على يقين من أنك لا تريدين الاحتفاظ به؟

آه، أهي على يقين، كانت على يقين، يقين تام. كان عليها إعداد المسابقة، والأب، الأب القادم، أي، أخيرًا، الأب القادم السابق، الأب القادم السابق عما قريب، الصبي أعني، لم يكن حتى على علم بالموضوع.

أنت حامل منذ ثلاثة أسابيع لا أكثر، أستطيع أن أقوم بذلك هنا.

جحظت عيناها، دهشة.

متى ذلك؟

فورًا، إن شئت.

كان ذلك أجمل من أن يكون حقيقيًا، كادت أن تقبله لو جرؤت.

لطيف جدًا، فعلًا.

بعد ساعة من ذلك، خرجت من العيادة مطوية نصفين دامعة العينين القذر اللعين، إبرة الخياطة التي كان قد أدخلها فيها يجب أن تعرفي ما تريدين يا فتاة ومثلما في زمن الإجهاض السري قدماها في الركابين تصرخ ألمًا هكذا، لا يوصف، من التعذيب نقطة انتهى، وهذا القذر الذي يتكلم ويتكلم بينما يحفر هناك في الداخل هبا هبا ليس مؤلمًا إلى هذا الحد استرخي كان عليك أن تفكري بذلك من قبل. بالكاد لم يكن يصفها بالفاسدة بالعاهرة الصغيرة كيف أتوقف هكذا لكن انظري لم أنته بعد خسارة لو ذهبت الآن فستظلين حاملة كما أنت حسنًا كما تريدين لكن الآن أنصحك فعلًا بالذهاب لإجهاض نفسك إذا لم تكوني تريدين أن تضعي

مسخًا هه هه لأنني لابد وقد لطمتها مع ذلك قليلًا الهيولى الصغيرة هه هه هذا يكلفك مائة وعشرين فرنكًا، القذر كما لو أنه كان يستمتع بجعلي أصرخ، غبية مسكينة على غبية مسكينة على غبية مسكينة على غبية مسكينة.

بعد خمسة عشر يومًا، أجهضت جولييت في المستشفى تحت التخدير الموضعي في حين كانت الممرضات، اللطيفات أيضًا، يمزحن فيما بينهن وهن يحكين إجازة نهاية أسبوعهن، هنا لاشيء يقال لا لأنها كانت تجد ذلك مثيرًا للضحك بل لأنها لم تكن تشعر بشيء وهذا هو المهم.

خرجت من المستشفى مع وصفة طبية بحبوب منع الحمل، أيها أعطيك كان الطبيب قد قال ، امرأة بعد هذا الحادث، يوصف لها حبوب بعيار صغير بل وحتى بمعيار ضئيل الآن من الأفضل تعلمين في عمرك، لا شكرًا لا الصغير ولا الضئيل شكرًا أفضل العادي كانت جولييت قد قالت، أؤكد لك السرطان فيما بعد، لا يهمني أريد الأكثر تعبيرًا أريد أكبر عيار لا أريد.

أبدًا.

لن أعيش هذا.

سأل ستيفان: قل لي، ألم تكن على سفر إلى روما، أنت؟

لم تكن نهاية أسبوع عيد الصعود لتنتهي. فصباح السبت، كانوا قد التقوا كل جماعة حي بوت دو شومون للذهاب في نزهة . كان أوليفييه واقفًا بالقرب من ستيفان يمزح ويتحدث وهو يؤشر حاملًا سندويتشة بيده. وكانت جولييت وقد جلست تراقبه بعيدًا بالقرب من سيلفيا على غطاء مائدة ذي مربعات ممدود على العشب.

منذ شهر أبريل، كانت الإضرابات تتعاقب في وزارة التربية الوطنية. وكان الكثير من المعلمين في المدرسة العامة التي يرتادها طفلاهما مضربين. كان لابد من التغلب على ذلك وتدبر الأمور بين حاضنة الأطفال المؤقتة، وإجازات التعويض عن أيام العمل الإضافي، والرفيقات اللواتي يمكنهن، كل واحدة بدورها، أخذ إجازة يوم واحد وتنظيم حراسة الأطفال في البيت.

ولكن منذ عشية الأمس، أعلن عن حركات إضراب يمكن أن تمتد لتشمل وسائل النقل.

لا يستطيع أوليفييه، كما شرح، ضمن هذه الشروط، أن يترك جولييت وحدها مع الأطفال، بل وأن يخاطر بالبقاء في روما حبيسًا لأمد غير محدود.

كان ستيفان وبول والآخرون من رجال المجموعة يوافقون مجاملين.

فكرت جولييت: المنافقون.

وهي التي كانت تظن دومًا أن أوليفييه يكذب على نحو سيئ.

في اليوم التالي تناولوا الغذاء لدى أصدقاء في الريف، في المنطقة الباريسية. كان أوليفييه يتابع الطريق بالسيارة نحو النورماندي. كان قد ألح من أجل اصطحاب الطفلين معه إلى أوبينيي، لكن جولييت كانت قد رفضت أن تتغيب إيما، التي كانت في الفصل الأول، عن المدرسة. سيذهب إذن وحده مع يوهان، وستعود بالقطار مع ابنتها إلى باريس.

قبيل المضي إلى مائدة الطعام، جرّته إلى زاوية في الحديقة.

أمر واحد فقط. ألم تضاجعها، أمس؟

من جديد هذه النظرة الهاربة. من جديد شعرت جولييت بمعدتها تتشنج.

أجاب: ظننتُ أنك كنت قد أدركت ذلك.

قالت: لا. لا، إنه أمر لا يصدق ولاشك، لكني لم أكن حتى أتصوره.

نظرت إليه ببرود، كأنه أجنبي، مع بداية قرف.

انتبه. آمل أن تكون على وعي بأن المشكلة لن تكون عما قريب قطع العلاقة معها، بل ستكون ألا تفقدني.

ظهرت إيما عند النافذة المفتوحة. كانت تراقبهما.

ماما، لماذا تنهرين أبي؟

تنهدت جولييت: لا أنهره حبيبتي. نحن نتحدث. هذا كل شيء.

انتظرت أن تعود ابنتها إلى ألعابها كي تتابع.

وأوبينيي؟ ألن تذهب إليها معها مثلًا؟

ألقى عليها نظرة عدائية، مصدومًا.

شرحتُ لك أنني أذهب كي أفكر. ومع يوهان، فوق ذلك. من تظنيني؟

أجابت: لا أدري. لم أعد أدري.

عادت لتساعد في المطبخ وأخذت على عاتقها أن تقطع الشمام. بعد رحيل أوليفييه ويوهان، رافقتهما صديقتها، إيما وهي، إلى محطة مانت لا جولي.

كانت جولييت تكره قطارات الضواحي. كان هذا مؤلمًا من عربات بطابقين. سألت إيما إن كانت تفضل الجلوس في الأعلى أو في الأسفل.

قالت إيما: في الأعلى.

قالت جولييت: هيا بنا.

ولكن في منتصف الطريق، لمحت أن مسافرًا وحيدًا كان يجلس في المقصورة العليا، واستولى عليها القلق المألوف.

لا تركب أبدًا قطارات الضواحي، خصوصًا يوم الأحد وفي المساء.

لكن ساعات البطالة هي الأسوأ.

لا تأخذ أيضًا مترو الضواحي القريبة، خاصة خط ت، عند منتصف بعد الظهيرة.

ولكننا لا نستطيع القول كذلك إن المترو أمن.

ولا حتى أي شارع، بعد مضي ساعة معينة.

في المدينة الكبيرة، المرأة فريسة. لكن ليس المرأة فقط، ولا المدينة وحدها.

طرق الريف الصغيرة ليست كذلك آمنة.

بالطبع، بمثل هذا الحساب لن يخرج أحدنا من بيته.

دون حسبان أن من الممكن أن يكون أحدنا في البيت ضحية عنف زوجي.

حتى في البيت، لابد من الاحتراس.

كان ذلك بعد سنوات عدة من اغتصابها.

كانت قد أخذت قطار الضواحي فهملة كل قاعدة في الحذر. كانت قد صعدت إلى القطار دون أن تنظر إلى ما حولها.

كان عليها أن تحذر، فالدهاليز والرصيف كانت خالية. كان عليها أن تحذر، حتى ولو كانت الساعة الثالثة بعد الظهر، حتى ولو كنا في قلب باريس، حتى ولو كانت الشمس مشرقة كليا.

كانت قد صعدت في محطة جافيل.

كانت تقرأ.

ماذا كانت تقرأ، عندئذ؟ لم تعد تتذكر ذلك. كلّ ما حدث تمامًا قبل هذه اللحظة فمحي من ذاكرتها. تعلم أنها لم تنه هذا الكتاب أبدًا. لقد بقي في القطار.

كانت تقرأ من قبل على الرصيف، صعدت دون أن ترفع عينيها عن الصفحة. جلست على أول مقعد متحرك بالقرب من الباب.

أغلقت الأبواب. وانطلق قطار الضواحي. بعد عدة ثوان، كان ثمة صخب وحركة سريعة. شعرت بشيء بارد وقاطع وراء رقبتها، تحت شعرها، رفعت رأسها ورأت عضوًا بشريًا خارجًا من بنطال ثم إنزاله، منتصبًا أمامها على مستوى عينيها. سمعت صوتًا كان يقول بوضوح: مصيني أو أقتلك.

شعرت برعشة تسري في ظهرها وهدوءًا غريبًا، مخيفًا، يجتاحها. ولكي تتدارك الأهم، قبضت على القبضة التي كانت تمسك اليد التي تمسك النصل كي تثبتها بأفضل ما تستطيع. ثم رفعت عينيها ورأت وجه الرجل الذي يعود إليه هذا الصوت، وهذه القبضة، وهذا النصل وهذا العضو. رأت فمًا مفتوحًا وعينين جاحظتين. فهمت دون أي ظلّ من شك، أن هذا الرجل كان مخدرًا كليًا.

قالت لنفسها: أخيرًا، يحدث لي ذلك. نظريًا، في تلك اللحظة، كان عليها أن ترى حياتها تتوالى أمام عينيها. جدها، بيت طفولتها بمصاريعه الزرقاء، سانت أوفريت. لكن لاشيء من ذلك. تخيلت المستقبل، وأمها، والعالم بدونها. رأت عناوين الصحف في الغداة، رأت نفسها على الصفحة الأولى من صحيفتي ليبراسيون واللوموند وهو أمر غير طبيعي يقينًا، وهو ولاشك مرض فريد، يجب أن يكون له اسم، شكل من النرجسية الحادة أو من جنون العظمة الشامل أو ما لا أدريه. أيًا كان الأمر، كان ذلك شديد التفاوت، لأن مثل هذه الأشياء مبتذلة في ليبراسيون، وفي اللوموند، سيكون في أفضل الأحوال ثمة مقطع، تحت باب المجتمع في الصفحة ٨. ربما نصف صفحة، إذا استشرس الرجل خصوصًا بعد موتها. بقدر ما يزداد عدد ضربات السكين، وبقدر ما يكون العنف الذي يجعلها تعانيه قبل أن

يقتلها فظيعًا، بقدر ما يزيد من حظوظها في أن تكون موضوع نشرة أخبار الساعة الثامنة مساء على التلفزيون. كان لديها الوقت لأن ترى نفسها معروضة وراء بوافر دارفور[3] صورة فوتوجرافيه ضخمة مغرية بالأحرى، حين أظهر الرجل الذي لم يكن لديه كما هو واضح سوى ذلك ليفعله علامات فراغ الصبر، ورغم أن هذا العرض الصحفي الذهني لم يدم على الأكثر نصف ربع ثانية، حرك القبضة حركة خفيفة، بحيث أحست حد النصل على جلدها، وأعاد القول بصوت أعلى، كما لو أنه كان يظن بصورة جدية أنها لم تسمع تمامًا في المرة الأولى: مضيتي، أقول لك.

ضغطت بصورة أقوى على القبضة محاولة إبعادها قليلًا عن رقبتها، وهبطت بعينيها نحو العضو وحاولت المحاججة، كما قرأت في مكان ما ما ينصح عمله في مثل هذه الظروف وعلى الرغم من أنه بدا غريبًا الدخول في محادثة مع عضو منتصب. لكن ذلك لم يدم طويلًا لأن الرجل غرز على الفور قليلًا رأس سكينه، جاعلًا إياها تعلم على هذا النحو أن الأمر ملح وأنه لا هو ولا عضوه في وضع يتحملان معه المناقشة. هذه المرة أحست الجلد يستسلم بمقدار ميليمتر أو ميليمترين، والدم يتلألأ في رقبتها.

أغلقت عينيها.

لم تكن المشكلة، بالطبع، مض العضو التناسلي في حد ذاته. فالمض في حد ذاته، مارسته جولييت عفو الخاطر، وإن كانت تفضل ممارسته مع أناس تعرفهم، بل وتشعر نحوهم إن أمكن ببعض الجاذبية. وبالنظر إلى ذلك، لم يكن في العضو المنتصب أمامها أي شيء لطيف. كانت تفوح منه فوق ذلك رائحة مرحاض نفاذة، وهو ما كان يضايقها كثيرًا، لأنها ورثت للأسف عن جدتها قدرة على الشم دقيقة هي، كما يعلم كل إنسان، مصدر إزعاج أكثر منها مصدر مسرة.

لكن ذلك لم يكن الأكثر خطرًا.

الأكثر خطرًا كان أن هذا المشهد يجري في نهاية سنوات الثمانينيات وأن كلّ تساهل جنسي مع مدمن مخدرات أو مفترض كذلك ينطوي على عدد من المخاطر كانت جولييت على علم تام بها.

أحدث القطار جلبة هائلة، لابد وأنه كان يحاذي السين، كان يسير بسرعة كبيرة، وخلال دقائق، سيصل إلى محطة شان دو مارس تور إيفل.

صار من الملح الحسم. وعلى جولييت أن تجيب عن السؤال الشكسبيري الذي يطرح نفسه على كل كائن بشري في لحظة ما من حياته، والذي يطرح نفسه عليها على كل حال، في قطار الضاحية هذا، خلال بعد الظهر الصيفي هذا، بكل بساطته الفجة.

.To be, or not to be

أن تكون، أو لا تكون

أن تعيش، أو تموت.

أن تمض، أو لا تمض.

تقول جولييت: لنبق بالأحرى في الأسفل، يا قلبي.

أجابت إيما مطيعة: حسنًا، يا أمي.

بعد عدة محطات، دلف ثلاثة رجال في القاطرة قبيل إغلاق الأبواب وتسلقوا درجات السلم باتجاه الطابق الأعلى. سُمعت صرخات، وجلبة صراع. ضمت جولييت ابنتها إليها. لم يتحرك أحدٌ في الأسفل، كما لو كان كلّ المسافرين مُسقرين. دام ذلك عدة دقائق. ثم، نزل الرجال في المحطة التالية، وهربوا راكضين على الرصيف، يتبعهم المسافر بوجهه الفدمي. حينئذ فقط، شدّ أحدهم جرس الإنذار.

ظل القطار ساكنًا وقتًا طويلًا. وصل رجالٌ بلباس رسمي، وتحركوا على الرصيف. لم تكن جولييت تتمكن من معرفة إن كان الفتوة قد أدركوا.

قال أحدهم: لقد تلقى ضربة سكين.

تنهدت امرأة جالسة إلى جانبها: كل هذا ليسرقوا منه جواله.

سألت إيما: ماذا حدث يا أمي؟

حاولت أن تشرح لها الوضع، من دون أن تكذب عليها، ومن دون أن ترعبها أيضًا. لن تتعرضي لأي خطر، أنا هنا لأحميك، يا قطتي.

وهي تلفظ هذه الكلمات، أحسّت بمرارة وضعهما المضحك ومدى عجزها عن حماية أحد، كائنًا من كان. عندئذ أخفت وجهها في شعر ابنتها وهي تضمها إليها.

ما إن وصلتا إلى البيت حتى رنّ الهاتف. قال أوليفييه: ابنك يريد أن يقول لك مساء الخير. حاولت جولييت وهي لا تزال مهتزة أن تحكي له حكاية القطار، لكنها عدلت عن ذلك بسرعة. كانت بالكاد تسمع.

سوف أنيم يوهان، الآن. لكن اهتفي لي بعد قليل أرجوك، أود أن نتحدث.

حوالي الساعة العاشرة مساء، حين نامت إيما أخيرًا، هتفت إلى أوبينيي. رنّ الهاتف كثيرًا قبل أن يقوم أوليفييه برفع السماعة. كان لاهثًا. قال: كنت في الحديقة.

تبادلا بعض الكلمات العادية، لكن أوليفييه لم يكن شديد الهذر.

أكنت تريد أن تقول لي شيئًا ما؟

أجاب: لاشي بالتحديد.

ألحت: كيف تشعر بنفسك؟

تلافى الجواب: لا أعرف كثيرًا، لابد من مرور الوقت. وأنت؟

ترددت.

قالت: لا أرغب في صياغة جمل كبيرة، لكنك كسرت شيئًا ما، كما أظن.

وجدت نفسها ثانية على الرصيف، حية.

كانت قد قدرت ضربتها بدقة. فقد حركته بأفضل ما تستطيع، محاولة أن يبلغ لذته تمامًا عند اللحظة التي يدخل فيها القطار إلى محطة موزيه دورسي.

في اللحظة التي توقفت فيها الحافلة، حين كان نظام إغلاق الباب الغازي قد أصدر صوت ال»تشوف» المميز الذي يشير إلى فتح المغلاق، كان الرجل لاهثًا، على وشك القذف. دفعته بكل قواها وهي تبعد في الوقت نفسه السكين، ففقد توازنه وسقط على الأرض. هرعت إلى الباب، رفعت القبضة ووجدت نفسها على الرصيف في اللحظة التي كانت تدوّي فيها إشارة إغلاق الأبواب الفوري.

كانت الأبواب تنغلق، والترام ينطلق، ولم يكن الرجل قد تحرك.

كانت قد نظرت إلى يدها التي كانت ترتعش قليلًا، ولم تجد عليها أي نقطة من السائل المنوي.

دخلت صيدلية لتشتري زجاجة مطهر أفرغتها كلها على يديها.

في هذه المرة أيضًا لم تتقدم بشكوى.

على كل حال، لم تفعل أكثر من لمح وجه المعتدي عليها، وستعجز عن رسم لوحة تشبهه، أو أنها ستفعل لعضوه، ما كان ذلك يكفي، سيكون الأمر بالتأكيد معقدًا، من أجل التحقيق.

---

3 باتريك بوافر دارفور(Patrick Poivre d'Arvor) أحد كبار نجوم التلفزيون الفرنسي.

٨

تمشي جولييت في الطريق. كان ذلك غداة رحيل أوليفييه إلى أوبينيي، نحن إذن يوم الاثنين. يجب استئناف العمل. لم تكن تملك رصيدًا من أيام العمل التعويضية كي تستهلكه، من ناحيتها. أخذت كل أيامها جمعًا خلال الإجازات المدرسية القصيرة، حسب الاتفاق الذي أبرمته مع شركتها. هذا الصباح، أخرجها المنبه من حلم منهك وغريب، كانت في ناد للإجازات في تونس أو في مكان مشابه، كانت تريد العودة للسباحة في البحر الدافئ، لكنها أرغمت تحت شمس لاهبة، دون أن يترك لها الخيار، على الاشتراك بصحبة مجهولين في لعبة لم تكن تعرف قواعدها. نهضت بمشقة، منهكة، برأس ثقيل وجسم مكسّر كما لو أنها تملت عشية الأمس. لاشك أن ذلك خطأ الليكسوميل، إذ لم تكن معتادة على تناول الأدوية كي تنام. أودعت إيما في المدرسة ثم اتجهت، بلا حماسة، نحو المترو كي تذهب إلى العمل.

خرجت من محطة فيلييه وهي الآن تسير في الطريق، أنيقة، ببنطال الجينز والسترة، وقد علقت حقيبتها على كتفها. الرجال ينظرون إليها وهي تلاحظ هذه المرة ذلك. عمومًا، حين تسير جولييت في الطريق، ينظر الرجال إليها وجولييت، من ناحيتها، تنظر إلى قدميها. غالبًا ما أُنبهت إلى ذلك. تنظر إلى قدميها، أو إلى شيء آخر، إلى السماء، أو واجهة دكان ما، أو شخص يتسول أو طفل يلعب. اعتادت أن تشعر بنظرات الرجال الذين تصادفهم في طريقها تُلقى عليها إلى درجة كفت معها عن الانتباه إليها. أما هذا الصباح فالأمر مختلف، هناك هذا التيار الهوائي غير المعتاد على رقبتها الذي يجعلها ترتعش قليلًا، كان عليها أن تضع وشاحًا، ولكن لا، سيكون ذلك مسخرة، في هذا الطقس، فقد أعلن عن أن الحرارة ستتجاوز ٢٥ درجة، وإنما فقط لأن شعرها قصير، حاليًا، ولأن الوقت لا يزال صباحًا باكرًا. وإنما خصوصًا لأن ثمة فيها هذه الهشاشة الجديدة، مثل مش يحملها اليوم على البحث عن نظرات مجهولين تتلافاهم عادة بعناية كي لا تعتبر مثيرة، أو كي لا تشجع الغزل ، تعمل على اللقاء بعينين كي تتعلق بهما، أن تقرأ فيهما أنها لا تزال الأجمل على الدوام، لا تزال شابة ومرغوبة، رغم التعب، ورغم الخيانة.

دخلت الدار الخاصة المبنية في القرن الثامن عشر التي تؤوي مكاتب شركة غالاتيا نيتووورك، وحيت عاملة الهاتف ثم تناولت القهوة أمام بار الكافيتريا. في الباحة المشجرة التي تراها عبر الفرجة الزجاجية، زملاء يتناقشون بنشاط، جالسين على طاولة صغيرة خشبية. إنه ديكور مرهف،

مترف بلا فخفخة، يمكن أن يظن أنه أكثر ملاءمة لدار أزياء أو لدار نشر منه لمنشأة مختصة بالتكنولوجيات الجديدة. لكن صاحب ومؤسس غالاتيا نيتوورك، دني ماديتييه، خمسيني نابغة وعجيب، ذواقة فن وهاو للعمارة القروسطية وللرسم الباروكي. اشترى لنفسه بثروته المكتسبة حديثًا، قصرًا مانويًا عمل على تجديده حجرًا حجرًا، وحتى لو لم تكن ورشة البناء مماثلة في أي شيء فقد تابع عن كثب شديد آنئذ تنظيم الدار الخاصة التي اختار أن يؤوي فيها منشأته حين بدأت في الانطلاق. السلّم الذي ينتصب في ردهة غالاتيا ضخم، مع درابزون فخم من السنديان الخام والمنقوش. كلّ صباح، تترك جولييت يدها تنسحب عليه وهي ذاهبة إلى مكتبها في الطابق الثاني. لم تكن تستخدم المصعد أبدًا.

حين تُسأل جولييت عن مهنتها، تجيب إنها «رئيسة مشروع تقني»، الأمر الذي لا يستثير شيئًا لدى أي شخص. فإن ألحّ عليها، تضيف أنها تعمل برفقة «رئيس مشروع تجاري»، هو في الوقت نفسه رئيسها في العمل رغم أنه أصغر سنًا وأقل تحصيلًا علميًا منها. وذلك عائد جزئيًا إلى حقيقة أنها «تقنية»، وبالتالي تتلقى أجرًا أقل مما لو كانت «مسؤولة تجارية». (عند هذا الحد، بصورة عامة، تكون حيرة مخاطبها كلية. فبأي معادلة غامضة اقتصادية تكون قيمة من يبيع نسقًا معلوماتيًا متطورًا جدًا أعلى في نظر منشأة ما من قيمة الذي عرف أو التي عرفت تصميم وإنجاز هذا النسق، ذلك يتحدى أكثر ضروب المنطق بدائية. لكن ذلك كما يبدو واقعة مقبولة من قبل الجميع، والأمر على كل حال هو هكذا.) هذا الفرق في الأجور يعود أيضًا، بالطبع، إلى واقعة كون جولييت امرأة، كما أنّ إجازتي الأمومة اللتين أخذتهما، دون الحديث عن أربعة أخماس وقت العمل التي حصلت عليها بعد ولادة إيما، لم تكن في صالح صعودها المهني، ولا مشكلة في قول ذلك.

من ناحية أخرى، تتقاسم جولييت فضاء عملها مع «رؤساء مشروعات تقنية» آخرين، فهي تعمل في «فضاء مفتوح» كما يقال. ولذلك أهميته بالنسبة لما سيلي.

في هذه الأيام، كان الجو في غالاتيا نيتوورك مكهربًا. شائعة حول عرض عام عدائي بالشراء من قبل شركة منافسة استنفرت الجميع للقتال. البعض يشك في أن الرئيس والمؤسس ماديتييه، في الوقت الذي صارت فيه شركته ذات سعر في السوق الجديد وبعد أن تلقى الجائزة الكبرى، ليس لديه ما هو أكثر استعجالًا من بيع شركته لأفضل مشتر ومن الذهاب بعد ذلك كي يستريح في قصره الذي يعود إلى القرن الثالث عشر. حول هذا

بالتأكيد إنما كان زملاؤها يتناقشون في الباحة. هذه الشائعات، المبررة، على كل حال، تمامًا، سيظهرها المستقبل. لكن جوليت في الوقت الحاضر لا يهمها الأمر. ظلت واقفة، وحيدة، أمام البار. ثم، ما إن انتهت من شرب قهوتها، حتى صعدت إلى مكتبها لجمع ملفاتها قبل أن تهرع إلى القبو للمشاركة في اجتماع التنسيق الذي يعقد كل يوم اثنين صباحًا.

لم يكن في القاعة بعدُ إلا المدير العام، شاتيل، وقد انخرط في مناقشة حامية مع بيسينياك، رئيس المشروع التجاري. كانا واقفين ويبدو كل منهما قهوته؛ ألقيا عليها نظرة سريعة شاردة، وحييا بهزة من الرأس بصورة غامضة. لا يبدو أن أحدهما أو الآخر قد انتبه إلى أنها قصت شعرها. لا يدهشها ذلك. فالإدارة لا تمزح حول موضوع التحرش الجنسي. لا يخاطر أي موظف في الشركة بتهنئة زميلة له على تغيير قصة شعرها. وفي حين ذهبت للجلوس وأخرجت ملفاتها مع انطباع غريب بكونها شفافة، كان شاتيل يفحص كخبير طقم بيسينياك الجديد، المفضل على مقاسه من قبل خياط نصحه به. اتخذ بيسينياك مظهر اللطف والترفع، ولكي لا يظل مدينًا، عبر عن انذهاله بأبهة مديره العام الذي وعده أن يعطيه عنوان حذائه. عضت جوليت قلمها. إنها تنتظر صابرة أن ينتهي رئيساها من الحديث عن الملابس وأن يمكن أخيرًا البدء بالاجتماع.

لم يهتف لها أوليفييه إلا في نهاية الصباح. كلمتان كي يسألها إن كانت تريد أن تهتف له، لأنه التهم، كما يقول، كل حصته من هاتفه المحمول. بالطبع، وجدت ذلك غريبًا. لأن من عادة أوليفييه أن يغضب دومًا وهو يفتح فواتير التليفونات الجوالة ويعمل دون نجاح على إقناعها بتخفيض مبلغ اشتراكيهما. بما أننا لا نستخدم كامل حصتينا أبدًا، على كل حال، كما قال.

يبدو أن هذا الشهر هو الاستثناء الذي يؤكد القاعدة.

تهتف له إذن وتقول له: قل لي، أنت تتلفن كثيرًا هذه المرة.

على الطرف الآخر من الخط تسمع ضحكة صغيرة سبق لها أن سمعتها عدة مرات خلال الأيام الأخيرة، ولا تدري كثيرًا كيف تفسرها.

هذه المرة، نعم. هذه الضحكة الصغيرة التي هي ربما ببساطة ضحكة مرتبكة، إلا أنها ترن مع ذلك كثيرًا مثل ضحكة صغيرة فخورة، لا بل راضية. هل يمكن أن يكون أوليفييه راضيًا في أعماقه عن الألم الذي يسببه لها؟ الكلمة التي ترد إلى ذهنها هي «مغرور». هي ذي ضحكة صغيرة مغرورة. يجب أن تفكر بالقول له إن هذه الضحكة لا تناسبها على الإطلاق، بل حتى إنها تُقبض قلبها صراحة. لكنها ليست اللحظة المناسبة.

يجب أن تقول له يوما ما، حين ستهدأ الأمور.

يتهيأ لمرافقة بوهان كي يلعب على الشاطئ. لم يتحدث عن «الأخرى». «الأخرى»، لا تعرف جولييت عنها شيئا. لا تزال لا تريد أن تعرف عنها شيئا. حاول أوليفييه عدة مرات طوال إجازة نهاية الأسبوع الطويلة هذه أن يبوح لها ببعض الأسرار لكنها أسكتته على الفور قالت: لا أريد أن أعرف. لا يهمني أن أعرف قصتها، لا أريد حتى أن أعرف اسمها. تضع كل طاقتها في ألا تفكر بهما، في ألا تتخيل شيئا، وما لا يصدق هو أنها تكاد تصل إلى تحقيق ذلك. منذ ثلاثة أيام، نجحت في أن تضع على مسافة منها صورة أوليفييه وهو يضاجع امرأة أخرى، في دفعها بكل قواها خارج حقل رؤيتها الذهنية. إذ لديها الانطباع أنها إن تركتها تتخذ شكلًا في ذهنها، فستتابعها هذه الصورة بعد ذلك أبدًا، كصورة جسد مشوه لم يعد من الممكن نسيانه، كصورة هذا الشحاذ الذي لمحته يومًا في لشبونة، خارجًا من مكان ما، ملوحًا تحت عينيها بجدعتين، ولم يكن لديها الوقت لتغلق عينيها، والذي يعود إليها بلا إخطار، ويوقظها ليلًا مذعورة. تعرف أن الأمر سيكون نفسه، فصورة جسد أخرى ممتزجًا مع جسد زوجها هي رؤية شنيعة ستنبثق بينهما في كل مرة يضع أوليفييه يده عليها. إن كان سيضع يده عليها، بالطبع، إن بقيا معًا خلال السنوات القادمة. أوذ كثيرًا ألا يحدث ذلك أبدًا، فكرت للمرة المائة. أود كثيرًا أن أمحو هذا.

قطعًا المخابرة الهاتفية. على امتداد الساعات، وهي تستمر وعيناها مشدودتان إلى حاسوبها، بتحرير الجواب على طلب العروض الذي تعمل عليه منذ عدة أسابيع، تغيرت موجة القرف التي أثارتها ضحكة أوليفييه إلى قلق كان مألوفًا منها أكثر. أوليفييه وحيد مع ابنهما، هذا مؤكد. لكن فكرة أن يوسعه قضاء ساعات على الهاتف مع هذه الفتاة هي ألمٌ ذو حدة عبثية، لا يُطاق.

للمرة الأولى جاءتها فكرة أنها هي التي لديها مشكلة. لماذا لا تطرده خارجًا بكل بساطة؟ هذا العجز عن قبول الفقدان، فكرة اللاحب.

وعلى أنها عصية على التحليل أكثر عقلانية، أكثر تلهفًا، إلا إن كانت ذكرى أمها فقد أرغمت على التردد قليلًا على الأطباء النفسيين، بعد اغتصابها. ذات يوم، سألها أحدهم أن تتوجه بصوت عالٍ إلى الفتاة الصغيرة ذات السنوات الخمس التي كانتها في أعماقها والتي كان أبوها قد هجرها. وإذ شعرت بنفسها مضحكة، نفذت وما إن لفظت كلمتين حتى طفقت بالبكاء. والغريب أن ذلك كان قد أفادها في تلك الحقبة. وهاهي تراودها الرغبة في إعادة التجربة، كي تشبع فضولها في رؤية أين هي

جولييت الصغيرة هذه اليوم، فقد مضى زمن لم تحك خلاله أخبارها. لكنها تخلت بسرعة عن ذلك. ليس هذا تمرين يتضح بممارسته في مكتبها. خصوصا حين يكون العمل في فضاء مفتوح.

وهي تغير الطريقة، بحثت بين رسائلها الإلكترونية عن الرسالة التي أرسلها لها مؤخرًا أحد محبيها في شبابها كان قد عثر على أثرها في الأنترنت وهتف لها خلال ذلك في عملها. قال: أمر رائع. اتفقا على تناول الغذاء معًا في وقت قريب، رغم أنها بقيت غامضة حول التواريخ الممكنة. طرح عليها فرانك بعض الأسئلة حول حياتها ثم ختم: لقد عقلت إذن؟ ضحكت بضعف: ماذا تعني بذلك؟ كنت تمثلين الكثير في نظري... قاطعته ضاحكة كي تخفي الحزن والأسف اللذين يجتاحانها المغامرة، الحرية... أوه، نعم، حسنًا، مع العمر...لا، حسنًا. يجب ألا يتضخم المرء، هذا كل شيء. قالت: بالنسبة إلي، لا مشكلة هناك. ضحك: أنت محظوظة. فأنا أتبع الريجيم.

خرجت بعد وقت من مكتبها، وفي نهاية الدهليز، بالقرب من دورة المياه، تركت رسالة لأوليفييه. الظاهر أنه لا وجود لشبكة التغطية حيث يتواجد، ولابد أنهما على شاطئ البحر. كنت أريد فقط أن أقول لك إنني لست على ما يرام. قلت لك قبل قليل إنني في حالة حسنة لكن ذلك ليس صحيحًا. لست على ما يرام على الإطلاق. لدي نوبات قلق، ولدي انطباع بأنه سيغمى علي.

بعد أن أغلقت الهاتف، تساءلت عما قالته على وجه الدقة، والصوت الذي كان لها. تراودها الرغبة في إعادة سماع رسالتها. لاشيء يمنعها من إعادة تركيب رقم أوليفييه وسماع رسائله، فهو يختار على الدوام نفس الرمز السري ولا يمكنها أن تصدق أنه أخذ حذره فغيره. قلّبت هذه الإمكانية خلال ثانية ثم تخلّت عنها، فكرة سماع صوت نسائي مجهول يقول كلمات لا تريد حتى تصورها. فكرت بالتماثيل الصغيرة الآسيوية التي تضع أياديها على أعينها وتسد آذانها. لا ترى شيئا، ولا تسمع شيئا. لو أنها فقط كانت قد تمكنت من ألا تعرف شيئا. بعد كل شيء، لم تكن قد سألت شيئا. وهي لا تؤمن بفضائل الحقيقة.

بعد الظهر، وهي خارجة من الاجتماع، عثرت على رسالة تلفونية مكتوبة.

"ما أريده، هو أن نستمر معًا. إن كان ذلك لا يزال ممكنًا."

لا تتمكن من منع نفسها من ملاحظة أنه اختار الطريقة الأكثر اقتصادًا ليقول لها الآن إن حصته قد نفذت. لم يكن أوليفييه أبدًا رجل التصريحات

الكبرى. إنه من أولئك الذين يعتقدون أن البراهين تكفي. تفكر جولييت أنه لم يبق لها اليوم شيء من هذا الحب ومن هذه السنين العشر من الحياة المشتركة، لم يبق لها شيء. طفلان، وشقة، ولكن ولا أي رسالة صغيرة، ولا أقل كلمة مخربشة تشهد على أنهما كانا يتحابان، تسمح لها بمعرفة اللحظة التي كفا فيها عن التحاب.

وبما أن الإضرابات تشل في الوقت الحاضر النقل العام كليا، فقد قررت العودة على قدميها. رغم كل شيء، بددت رسالة أوليفييه قليلًا قلقها. شعرت بنفسها أقل اضطرابًا. بعد ساعة من السير، أعلمها اهتزاز هاتفها أنها تلقت رسالة صوتية من بيت أوبينيي. تابعت السير، غير راغبة في أن تخاطر قبل الأوان بقطع الهدوء الهش الذي يسكنها.

عندما وصلت إلى بيتها، وكانت لا تزال في مدخل العمارة، سمعت الرسالة. كان أوليفييه يريد أن يعرف إن كان يوهان يحب البيض المقلي. نظرت إلى الساعة، لافائدة من أن تهتف من أجل ذلك، من المؤكد أنهما تناولا العشاء. تساءلت في المصعد إن كانت الرسالة تقول: "كل ما أريد هو الاستمرار" أو فقط "ما أريده، هو الاستمرار". على الدرج، تحققت. كتب فيها: "ما أريده". إذن، هذا لا يمنعه، ربما، من أن يريد أيضًا شيئًا آخر. مثلًا، الاستمرار في رؤية هذه الفتاة. تبادلت بعض الكلمات مع جليسة الأطفال، وقبلت ابنتها وهرعت إلى الدوش. كانت تنضح عرقًا.

جاءت إيما التي كانت لا تزال تمص إصبعها تشاهدها عارية وتسألها:

كيف نرى أن هناك حليب في الصدر؟

أجابت: لا نرى. فقط، حين نرضع يصير الثديان أضخم وهناك قطرة صغيرة تلمع عند الحلمة.

تقول إيما: أود فعلًا لو أن لدي حليب في صدري. لكني أريد خصوصا شوكولاه. أحب أن يكون لي أشياء كثيرة، عصير تفاح، لبان، وأيضًا ماكدو. سيكون ذلك حسنًا.

صادقت جولييت: حسنًا، يا حبيبتي. هذا عملي جدًا.

اغتصابها، الحقيقي، ليس هناك الكثير مما يقال عنه. كان اغتصابًا غير عنيف، وهو أفضل ما يتحقق في ميدان الاغتصاب، النوع الذي يجعلك مخبولًا حقًا، لأنه لم يُقاوم، ولم يُناضل ضده، المذهل، كما يسمى، كلمة جميلة، وكذلك الاغتصاب أيضًا . كانت إذن لا مغتصبة فحسب بل مذهولة، كلمتان جميلتان لكنهما قمامتان ذهنيتان حقيقيتان، لقد احتاجت إلى مرورِبعض الوقت كي تعي ذلك، وإلى مرور زمن أطول كي تشفى منهما. كان ذلك في بداية سنوات الثمانينيات ولم يكن يُحكى حتى عن الذهول، الذهول الذي يماثل رغم ذلك كثيرًا مرئيًا من بعيد، وحتى مرئيًا من قريب، مرئيًا من وجهة نظر الرجل، الرضا، لمجرد عدم الحرص قليلًا، لمجرد عدم الحذر كثيرًا، ولاسيما حين تكون الفتاة مثلها تضاجع بسهولة دون رجاء يمنة ويسرة، حين تكون متحررة مثلما كانت تلك الحقبة، كانت في العشرين وبعض السنوات فوقها من العمر لكنها لم تكن عذراء، كان يسعها بالكاد أن تحقد على الرجل، لا يمكنها أن تحقد إلا على نفسها، هي التي لم تقاتل ولم تقاوم، هي التي كانت مشلولة بفعل الخوف.

وبإيجاز كان ذلك نوعًا الاغتصاب الذي يحمل الرجل على التفكير بأنّ هذه القذرة الصغيرة لا تريد سوى ذلك، تخيلته عائدًا عائدًا إلى بيته كما لو أن شيئًا لم يحدث مُقبّلًا زوجته، كان شخصًا ممتازًا كما يجب، من نوع المندوبين التجاريين وسيارة جميلة، سيارة خاصة بعمله لاشك أية أهمية. ثم إنها هي أيضًا صدقت ذلك، صدّقت أنّ شيئًا لم يحدث، فعلت كل شيء كي تصدق ذلك ونجحت، تقريبًا، باستثناء بعض الأشياء، قليلٍ من الأشياء حقًا، عدة سنوات من الشباب ضاعت، ومسار مهني توقف تمامًا، وعجز فجائي، كلي، عن أن ترى نفسها في المستقبل. في حين كان رفاقها ينهبون أفضل الوظائف في مكاتب الاستشارات في الشركات المتعددة الجنسيات ويتابعون دراساتهم في معهد ماساسوشيتس للتكنولوجيا في هارفارد، استخدمت كل طاقتها كي تحفر ثغرة واسعة في سيرتها المهنية، وهي تعيش من الأشغال البسيطة، تقضي ساعات تحت لحافها وهي تشرب الشاي وتأكل الليكسوميل، دامت هذه المزحة البسيطة ثلاث سنوات أو أربع، مع النتيجة المتوقعة بأنها ستجد نفسها ذات يوم رئيسة مشروع غامضة تحت رئاسة شخص مثل بيسينياك لكن ذلك كان آخر همومها، لم تعد ترى أيّ شخص، وكانت قد شرعت بقراءة بروست، وبلزاك، وزولا، وكل الأدب الروسي من جوجول حتى جوركي، لم تكن تعرف ما الذي تبحث

عنه ولا ما الذي تهرب منه كانت تحاول فقط البقاء، وكان الأطباء النفسيون يحمّلون أمها مسؤولية إحباطها وكل ذلك وكانت موافقة أو هجران أبيها نعم هذا أيضًا كان ممكنًا وإلا ماذا عن الليكسوميل؟ وكي لا تحمّلهم المسؤولية لم تكن واثقة من سردها اغتصابها للأطباء النفسيين ولا أكيدة من أنها لم تفكر في ذلك كان لذلك قليل من الأهمية، كانت في حالة إنكار لا يصدق لا هذا صحيح في هذه المرحلة لم يعد الأمر مقاومة إنه إنكار محض وبسيط إلا إذا لم يكن غباء، محض وبسيط هو أيضًا على كل حال كان الأمر على هذا النحو، كان انتصارًا على نفسها، كما كانت تظن، وسط هذه الهزيمة العبثية التي صارت فجأة وجودها، إنكار رابطة بين السبب والنتيجة واضحة في النهاية، طريقتها هي في مقاومة هذا الاندحار الحميمي في أن تقول لنفسها إن هذا الاغتصاب لم يكن مسؤولًا عن ذلك، لا علاقة له بذلك مجرد حادث طارئ، في البداية كانت من ثم تتكلم عنه عفويًا بشيء من الاستخفاف الذي كان يدهش الناس، سذاجة جولييت، كانت تتكلم عنه غرضًا، دون أن تجعل منه مأساة، لا بل إنها، اللاواعية، كانت تسخر منه، كانت تظن أننا لم نعد في حقبة ولا في بلد تعتبر فيها المرأة المغتصبة مدنّسة، لم نعد في برلين ١٩٤٥ حين كانت الفتيات بعد مرور خمسة عشر جنديًا سوفييتيًا عليهن يرون أباهن يمدّ لهن الحبل كي يشنقن أنفسهن به، لم نعد في إيران، ولا في ليبيا، وإذا كانت على يقين من شيء، فهو أن شرفها وكبرياءها يقيمان في مكان آخر. لكنها سرعان ما أدركت خطأها لأنه إذا لم يكن عارًا فربما لأن أغلب الناس بالمقابل، يملكون أفكارًا محددة عن الطريقة التي تتصرف بها فتاة اغتصبت، عن الطريقة التي تتكلم بها عنه، كان ذلك يثير لدى الكثير شكًا شريرًا حول واقعية قصتها، طريقتها الخاصة بها في الكلام عنه. عندئذ سكتت لكن بالتدريج، وبصورة ماكرة، تسلل شيء من هذا الشك إلى نفسها، واستحال شعورًا بالذنب. بعد ذلك، في كل مرة كانت تقرأ فيها حكاية في صحيفة، أو شهادة امرأة مغتصبة كان قد قاومت ونجت، نموذج حي بمعنى ما، أو حتى شهادة أسرة فتاة قاومت ودفعت حياتها ثمنًا لذلك، نموذج أيضًا، بل ربما أكثر من ذلك، لكنه نموذج ميت، في كل مرة كانت تقرأ فيها هذا النوع الذي يحكي عن الطهارة والشجاعة، كانت تشعر بنفسها مدانة، ولم تكن تستطيع شيئًا ضد ذلك، كانت تشعر بالغضب يجتاحها، بحقد، ضد من لاتدري، ضد الشخص ذاته حتى لم تكن تفكر فيه أبدًا، ولا ضد هؤلاء الضحايا أيضًا بالطبع، ولا عائلاتهم، ضد نفسها إذن بلاشك، التي لم تقاتل ولم تقاوم، ضد كل من يعطون الدروس الذين

يضمرون بأعلى أصواتهم بأنها حين لا تدافع عن نفسها على الأقل ضمن الحد الأدنى فذلك يعني بالتأكيد أنها راضية. ماذا سيكون الأمر حقًا لو أنها كانت قد قالت الحقيقة، لو أنها لم تخترع السكين.

جاءها ذلك منذ البداية، هكذا، كي تحمي نفسها من حكم الآخرين، وبحركة لا إرادية، حين كانت تتكلم عن ذلك كانت تقول إن الشخص الذي أخذها في سيارته كان قد هددها بسكين، متوقعة غريزيًا أن معظم الناس كانوا غير مهتمين بفهم أن الخوف كان هو نفسه حتى من دون وجود السكين، الخوف الذي كان هائلًا، مذهلًا. ماذا تفعل وحدك مع شخص أقوى منك في أعماق الريف، على حافة طريق خال، ثم ماذا تعلم عن ذلك بعد كل شيء، ربما كان معه سكين، هذا الشخص، بعد كل شيء، مخبأة في علبة القفازات، وانه كان ينتظرأول فرصة أدنى مقاومة لكي يخرجها. كان ذلك ما قاله لها صديقها جان كريستوف، الوحيد الذي اعترفت له بكذبتها، وحتى لو لم تكن تصدقها حقًا، الممثل التجاري الذي يملك سكينًا في علبة القفازات بسيارة عمله، كان حسنًا سماعها ذلك. كان حسنًا سماعها انها كانت على الرغم من كل شيء، نعم، ضحية، وأن ما حصل لها لم يكن هذه المرة كليًا خطؤها، خطؤها، خطؤها خطؤها خطؤها.

وأخيرًا، من حسن الحظ، كان هناك قطار الخطوط السريعة المحلية ج.

أحسن لها ذلك على نحو مذهل، مريض عقلي حقيقي، سكين حقيقية، اعتداء بلا تعقيد، بلا خطأ، بلا أي ظل من شك، في قلب باريس وتحت الأضواء، بلا أقل فجوة يمكن أن يختبئ فيها شعورها بالذنب، كان ذلك يبرر بعد لأي كل أكاذيبها.

بفضل المعتدي عليها في قطار الخطوط السريعة المحلية، كانت قد بدأت في التحسن.

بعد زمن لم يكن طويلًا من ذلك، كانت قد التقت أوليفييه.

إنها تدرك ذلك الآن، تدرك أنه فقط اعتبارًا من ذلك إنما تولد لديها الانطباع بأن حياتها بدأت، مع الزواج أو ربما الأمومة، صعب قول ذلك وأكثر صعوبة قبوله، بصورة معاكسة تمامًا لقناعاتها النسوية ولكن هكذا هو الأمر، حزين حزين اغتراب الفتيات الصغار، و اعتبارًا من ذلك فقط إنما كفت عن الانتظار، وعن أن تبرز باستمرار في مستقبل ما أو لا تبرز أبدًا، وكانت في حاضر حياتها. كان أوليفييه الحب الذي كانت تنتظره وكان اتفاقهما إعجازيًا، لم تكن تكف عن الاندهاش به، باستثناء هذا الشيء الذي كان له مع الكلمات، على عكسها، هذه الصعوبة في قول الأشياء وربما أكثر في انتظارها لكن ذلك كان يبدو له أنه ليس خطيرًا وأن الأمريمكن أن

يستقيم مع الزمن، لكن الأمر لم يستقم، على العكس.

إذن، هل تكلمت مع محاميك؟ سأل أوليفييه بلهجة خفيفة، حين هتف لها في وقت متأخر من المساء.

لم تجد ذلك مسليًا.

تابع: هل استلمت رسالتي الهاتفية؟

نعم.

لكن يجب أن نتكلم عنا، لأننا لا يمكن أن نستمر كما كنا من قبل. قلت لها إنني لم أعد أريد أن نلتقي، وإنني أريد استعادة العلاقة معك. الآن يجب أن نتكلم أنت وأنا.

أجابت، بلا حذر: هيا بنا.

سيل المآخذ الذي نزل عليها آنئذ جعلها مذهولة. ومن دون أن يلتقط أنفاسه، انطلق أوليفييه في مونولوج طويل أخذ فيه عليها بلا تنظيم أو ترتيب أنها لم تعد أبدًا تريد ممارسة الحب معه، أنها تنقده وتحط من قدره باستمرار، مشيرًا كما كان يفعل غالبًا إلى أنه من غير المفيد أن تزعم العكس لأنه على يقين من أنه على حق كانت قد حاولت عدة مرات ولكن بلا نجاح أن تقنعه أن هذا النوع من الجُمل لا يؤلف في رأيها أفضل مقدمة لحوار بناء. تابع قائلًا إنها لا تستطيع أن تنكر فوق ذلك أن لديها مشكلات جنسية.

حاولت عبثًا أن تسد الضربات دون أن تتوصل إلى مقاطعته. وأخيرًا أنهى مستخلصًا خاتمًا إنه يريد أن يستمر في العيش معها، ولكن «وفق بعض الشروط»، وفجأة غمرها الغضب، غضب هائل، لا يمكن السيطرة عليه.

وفق بعض الشروط. هو لم يكن يطلب منها الغفران، لا بل لم يخطر في باله حتى أن يقول إنه آسف.

فكرت، هل يمزق حنجرتك أن تقول لي إنك تحبني؟ ومسافة الأمن التي كانت تحاول المحافظة عليها عادة بين أفكارها وصياغتها وقد تواجدت منخفضة صارت محدودة بصورة خطيرة نظرًا لحالة الغضب التي كانت فيها، ضرب من التشابك حدث في دماغها. سمعت نفسها تصرخ:

هل يمزق حنجرتك أن تقول لي إنك تحبني؟

ثم أغلقت سماعة الهاتف وطفقت في البكاء، منطوية على الكنبة.

من حسن الحظ أنه هتف لها على الفور، وشيئًا فشيئًا هدأت. قررا متفقين معًا أن يؤجلا تتمة هذه المحادثة إلى وقت آخر، وبعد أن أغلقا

سماعتي الهاتف معا نهائيا هذه المرة وهما يتبادلان الأمنية بليلة سعيدة كان أوليفييه قد عاد صباح الغداة . بدأت جولييت بالتفكير. اقتطعت من دفتر مطالب أوليفييه التي لا تنتهي شيئين: أ) كانت تشعر بنفسها موضع نقد باستمرار، ب) لا يمكنك أن تنكري أن لديك مشكلات جنسية.

حول النقطة الأولى، كان هناك الكثير من الأشياء التي تقال لكن كان من الواجب استعادة كل قصتهما منذ البداية، حقيقة أنها لم تستطع أبدا أن تقول له شيئا لا يفسره على أنه نقد، لم تستطع أبدا أن تعبر عن أقل اختلاف من دون أن يشعر بنفسه معتدى عليه شخصيا، من دون إثارة ردود فعله العدوانية، وكلامه «لا أفهم لماذا تقولين هذا في حين أعلم تماما أنك في الأساس متفقة معي»، وكلامه «لا تستطيعين الشعور بهذا، مستحيل» بل وحتى، صراحة، جملته «لا أصدقك». كان من الواجب العودة إلى كل ما جعلها بعد مرور سنتي زواجهما الأوليتين اللتين كانتا مثاليتين تشعر بأنه لا مخرج آخر لحلّ خلافهما إلا في السكوت، في أن توافق على كل شيء، وفي أن تتحمل وحدها بلا مساعدة أحد علاقتهما حتى ملت قبل سنتين من ذلك، وتمردت، وفكرت في تركه، وصحيح أنها هنا لم تكن أبدا شديدة اللطف، مثلا حين كانت قد قالت له إنها ليست على ثقة من رغبتها في أن تشيخ معه، ولكن كانت تلك أولا هي الحقيقة، وكان يجب بعد ذلك، معرفة كيف تم الوصول إلى هذا الحد.

حول النقطة الثانية، تساءلت عن ماذا يريد أن يتكلم. مشكلات جنسية، صحيح أنها عانت من بعضها، بعد اغتصابها، وكان يمكن أن يكون العكس مدهشا ولكن لاشيء خطير فعليا، لنقل إنها كانت قد بدأت تراودها استيهامات، استيهامات عنيفة، كانت ترعبها بعض الشيء. وكانت قد نوهت عن ذلك إلى أوليفييه بعيد لقائهما، دون إلحاح، وبصورة عابرة، خوفا من أن تصدمه، مثل فضول مرتبط على وجه التأكيد بالاعتداءات التي كابدتها والتي تلاشت مع الزمن. لم يستجوبها ولم يعد الموضوع يذكر أبدا فيما بينهما. ألهذا إنما كان يلفح؟ لأنها بالنسبة إلى الباقي، يبدو لها أنها تعيش بالأحرى جنسانية عادية وبهيجة بصورة معقولة، فقد كانت تبلغ نشوتها في كل مرة كانا يمارسان الحب أو تقريبا، لم يكن هناك أي انغلاق خاص، قليل من المحرمات، لا، يقينا، لم تكن ترى أبدا ما كان يعنيه ب«مشكلاتها الجنسية».

وأخيرا، تذكرت ما قضت عشر سنوات حتى تقبله: لم تكن الكلمات في نظره وفي نظرها تحمل المعنى نفسه. تلك كانت إحدى الصعوبات الرئيسة بينهما، بل وأسوأ من صعوبة، كانت عقبة، بل وأسوأ من عقبة، كانت مسيرة

من العقبات مع حفر من سوء التفاهم، ومن جدران عدم الفهم، وكان ذلك يستهلك جولييت، وكان ذلك يجعل منها مخبولة.

ربما أراد الحديث عن الرغبة.

إن كان» وجود مشكلات جنسية» يعني في لغة أوليفييه «الرغبة فيه أقل من المعتاد»، فهذا يعني حينئذ أنه لم يكن على خطأ.

خلال الأشهر التي مضت مؤخرًا، امتنعت عليه عدة مرات. لو طرح أوليفييه عليها السؤال، لكان بوسعها أن تقدم له العديد من الأسباب الموجبة لذلك، وأكثرها بداهة أنها في المساء كانت شديدة النعاس وأنها منذ أن توقفت إيما عن قضاء القيلولة فإن اللحظات المفضلة خلال يومي إجازة نهاية الأسبوع التي كان يتركز أثناءها من قبلُ جوهر فعاليتهما الجنسية قد تقلصت حتى تلاشت. ولو أنها تعمقت أكثر لاستطاعت أن تعثر على أسباب أخرى، مثلًا كونها كانت على الدوام هي التي تأخذ زمام المبادرة في ممارسة الحب وأنها من كثرة ما كانت تفعل قد ملت الأمر في النهاية. لو كان يرغب فيها لما كان عليه إلا أن يقول ذلك، أن يعلن فعليًا رغبته، أن يتصرف بطريقة يوقظ بها رغبتها، بدلًا من أن يستدير فجأة نحو الحائط، وقد بدا خائبًا، حين كانت تتظاهر بتجاهل مداعباته، كما حدث عدة مرات خلال الأوقات الأخيرة. لكن أوليفييه كان قد فضل، شأنه دومًا، أن ينغلق على نفسه صامتًا.

كانت جولييت، وهي تفكر بذلك، تستعيد شيئًا فشيئًا ثقتها بنفسها. إذ أن قيام أوليفييه قبل لحظات بالتعبير أخيرًا وللمرة الأولى عن إحباطه، بدلًا من رغبته، كان بالأحرى علامة مشجعة.

لو أن أساس المشكلة كان هنا، لو لم يكن الموضوع إلا الجنس، لما كان الأمر شديد الخطورة. فالتفاهم الجنسي مع أوليفييه كان منذ لقائهما فوريًا. واليوم، صار جسد أوليفييه من كثرة ما تقبّل وتستنشق كل زاوية فيه أكثر ألفة بالنسبة إليها من جسدها نفسه. وكان يبدو لجولييت، صوابًا أو خطأ، أنه ليس بوسع أي امرأة أخرى ما إن تجتاز عتبة جاذبية الجديد المحتملة والخيالية بالضرورة أن تعرف أفضل منها بل وحتى مثلها أن تمنحه اللذة.

سوى أنه لابد من التصرف بسرعة. فغياب الرغبة لم يكن التغلب عليه عسيرًا، ولكن منذ الإعلان عن خيانة أوليفييه، كانت جولييت تشعر مع رعب يتصاعد في نفسها شيئًا كان يشبه القرف. وعما قريب، ستشعر به، فممارسة الحب من جديد مع زوجها يمكن أن يوحي لها بالاشمئزاز العنيد نفسه الذي يوحي إليه بها أن تلبس ثيابًا داخلية سبق لامرأة مجهولة أن

لبستها قبلها وما تقترحه هذه المقارنة من شعور بملكية فظة وبإمكانية كراهية نحو جنسها، كانت تلمحه، لكنها فضلت ألا تتوقف عنده. فلم يكن الوقت مناسبًا.

حين عاد أوليفييه من أوبينيي، في الغداة، قالت له:

قررتُ ألا نتبادل الحديث إلا عن أشياء لطيفة فيما بيننا خلال عشرة أيام. أتوافق؟

كان قد خرج يشتري زهورًا. أنام الطفلين، ثم قادته إلى غرفتهما لممارسة الحب. قالت: يجب عدم الانتظار، وإلا أخشى ألا أستطيع أن أمسك، مثل سقطة من فوق حصان، يجب ركوبه من جديد على الفور.

قبلا بعضهما قبلات سريعة، كانت رائحته طيبة، وكانت تنزه شفتيها على جسده وهي تقول له آسفة على أنني لم أحبك جيدًا خلال الأيام الأخيرة.

استسلم لها، وقال: لا أدري، لم أقل لنفسي الأشياء على هذا النحو. عندئذ قالت وهي تبتسم: هل تدرك مع ذلك أنه لم يكن من المفترض أن تسير الأمور على هذا النحو ؟ هل تدرك أنه لم يكن علي أنا نظريًا أن أستغفرك؟

كان في البعيد.

بعد الحب نامًا من فورهما، متعبين.

في الصباح التالي، ذهبت إلى العمل في حين بقي أوليفييه في البيت يصلح أمور البيت وهو يعتني بالطفلين.

حين عادت مساء، متأخرة، أطلعها بفخر على تنظيم وصل التليفون الذي قام به خلال غيابها. فبالإضافة إلى القاعدة والتلفون بلا أسلاك اللذين كانا موجودين أصلًا في المدخل وفي غرفتهما، أضاف في الصالون وفي المطبخ جهازين آخرين أعطاه إياهما أحد الزملاء. تساءلت عن الفائدة من وجود أربعة تلفونات في شقة من ثمانين مترًا مربعًا، هو الذي كان يجد دومًا أن هناك الكثير من من الآلات الموصولة كهربائيًا ويقضي وقته في فصل التلفزيون وكافة المعدات الأخرى لتوفير الكهرباء.

انفجر فوزًا. دومًا النقد. كان يظن أنه يستحق مع ذلك بعض العرفان، بعد أن قضى يومًا أنجز فيه ذلك.

فكرت جوليبيت، من العرفان. كان عليها أن تقرص نفسها كي تصدق ذلك.

ارتفعت اللهجة بسرعة. لم تكن تعي ذلك. تهالك على الكنبة، وعيناه تدمعان. قال: أتظنين أن ذلك سهل علي. كانت مع ذلك قصة حب.

شعرت أنه كان يضربها، وأنها لكمته بدورها على صدره. أحقًا، كانت قصة حب. لا، لم يسبق لك أن قلت لي ذلك.

ثم سرعان ما تلاشى غضبهما. قال: لنذهب إلى النوم.

أسكتتهما جلبة في الدهليز. كانت إيما متكورة على الكرسي في المدخل تستمع إليهما.

صحبتها جولييت لتنام معها وسألتها ما الذي سمعته على وجه الدقة. قالت إيما: كنت تتحدثين عن الأوجاع، الأوجاع التي سببها لك بابا. حاولت أن تشرح لها أن الناس المتحابين أحيانًا يمكن لهم أن يؤلموا بعضهم قليلًا بغير قصد، مثلها مع أخيها، لاشيء خطير، ولا سبب أبدًا للقلق.

في الغداة، وقد نفذ رصيد إجازاته، استعاد أوليفييه عمله في المجلة.

عند المساء، وهو جالس إلى التلفزيون، سيبكي من جديد. كانت جولييت تلاحظه، وكرة من القلق في عمق بطنها.

أحذرك، سوف أقض كل شيء على فلورنس. أحتاج إلى الكلام عن ذلك مع شخص ما.

قال: كما تشاءين.

كانت الساعة الحادية عشر ليلًا والأمسية في أوجها. كانت كل عصابة الحي هنا، بالإضافة إلى بعض أصدقاء الأصدقاء، صاحب المقهى المقابل ومعلمة من مدرسة الأطفال. وهم محصورون في الشرفة الصغيرة، كان بيير وستيفان وبول يتناقشون مع أوليفييه، في حين انقسم في الداخل عشرون شخصًا إلى مجموعات صغيرة يتعشون في حبور مرح، بعضهم حول المائدة المستديرة، والبعض الآخر جالسًا على الكنبة، وصحونهم على ركبهم وأقداحهم عند أقدامهم. وكان هناك أيضًا بعض المدعوين يفترشون الأرض، وآخرون كانوا يفضلون البقاء واقفين، مستخدمين رخام المدفأة الجدارية لوضع صحونهم.

ما تأكله لذيذ جدًا ، ما هو؟

حينئذ تقول لي: لكنه ليس دور التعاونية المدرسية، هذا، يا سيدتي!

ربحت رحلة إلى جزر السيشيل، أترى... فجرت أهدافي من أول فصل... أفضل بائع في أوربا...

إنه طاجن لحم البقر والخضار السنغالي. إنه حميدو الذي أعطاني وصفة الطعام، أتعلمين، والدة باباكار.

وبالنسبة إلى أماكنكم، أين أنتم منها؟

ساعتان كل صباح. والمسبح، ثلاث مرات في الأسبوع.

حسب العمدة، سوف يعاد إسكانهم في الفنادق لكني أحذر منه، فهو لا يتوقف عن خداعنا، ثم إن كل الفنادق ملأى في الحي.

ثرثرة لاطائل من ورائها..

من المؤكد أننا لسنا بملجأ من خطة تسريحات جديدة، على كل حال، نحن، موضوعيًا، كثيرو العدد..

كم عدد التسجيلات الضرورية كي يمكن الفتح؟

أنا صنعتها مرة مع الموز، وهي لذيذة أيضًا.

وصلت جولييت قبل ساعة من الجميع وساعدت فلورنس في المطبخ. كانت قد التقت في البهو شخصًا غريبًا، لكنها أخذت على عاتقها ألا توليه اهتمامها. إذ غالبًا ما نلتقي أشخاصًا غريبين في هذه العمارة. كان بول طبيبًا نفسانيًا ويستقبل مرضاه في بيته. كان سلوكه المهني مثاليًا ويحترم بدقة السر المهني، إلا تجاه زوجته التي، باعتبارها لم تكن من ناحيتها تشعر أنها ملزمة بشيء، تمضي في إتحاف الحي بقصصها عن المجانين. ومنذ أن وضعت الصحيفة اليومية، التي كانت تعمل فيها

بوصفها موثقة، قيد التصفية القضائية كانت فلورنس تقضي أيامها في بيتها وصارت خبيرة في مختلف ضروب العصاب العديدة التي ابتليت بها مجتمعاتنا الحديثة، عند فجر القرن الحادي والعشرين. سألتها جولييت إلى أين وصلت في بحثها عن العمل. هزت فلورنس كتفيها. فالصحافة في وضع سيء، ولم تكن فلورنس متفائلة حول حظوظها في العثور على عمل قريبا.

من حسن الحظ أن هناك المزيد من المحبطين، وهو ما كان يحقق التوازن في مالية الزوجين، وكان بول يعمل كل يوم حتى ساعة متأخرة من المساء.

بدورها، سألت جولييت كيف حالها وقضت عليها جولييت الحكاية كلها، بينما كانت فلورنس تقشر البصل، وكان هذان العاملان يتضافران معا بحيث أنهما كانتا بعد وقت قليل كلاهما دامعتي العينين..

وكان بول الذي أتى على الانتهاء من استشاراته قد ظهر مع ابتسامة كبيرة قبل أن يحكم بنظرة خاطفة على الوضع ويختفي دون أن يسأل عن بقيته.

قالت فلورنس وهي تتنشق: آمل أنك لا تنتظرين مني أن أعطيك النصائح.

المرة الأخيرة التي أعطيت فيها نصيحة في قصة من هذا النوع، كانت كارثة.

وعادت من جديد إلى الاهتمام بأمورها، مثلما كان عليها ألا تتوقف أبدا عن فعل ذلك، أضافت ناظرة في اتجاه جولييت، التي كانت تنظر إليها من أسفل، بعينين رطبتين ومستفهمتين.

في السنة الماضية، حين كانت صديقتها إيزابيل قد وقعت في الحب، شجعتها فلورنس على أن تتكلم عن ذلك إلى زوجها الذي سرعان ما طردها. لم يدم الحب الكبير مع ناثان ستة أشهر. الآن، تعيش إيزابيل وحدها مع قطتها ولم يعد أولادها يكلمونها، وتعمل ثمانية وأربعين ساعة في الأربع وعشرين ساعة وكانت في طريقها إلى أن تصير مدمنة على الكحول.

لذلك فإنني الآن أغلق فمي.

هزت جولييت كتفيها.

لا أنتظر نصيحة.

اقترحت فلورنس: عليك أن تتحدثي إلى بول. على كل حال، لقد رآك تبكين، ولسوف يطرح علي الأسئلة وليست لدي الرغبة في أن أكذب عليه.

يمكنك أن تقولي له الحقيقة، لن يزعجني ذلك.

لا، أفضل أن تفعلي ذلك أنت. إنه يحب أوليفييه كثيرًا وسوف يفهم ربما أفضل مني ثم إن بوسعه أن يتحدث معه.

ذهبت كي تأتي به وتجعله يقف أمام جولييت (لدى جولييت ما تقوله لك)، ثم ذهبت تهتم بالأطفال.

قال بول: ذلك يفاجئني من قبل أوليفييه. لم أكن أظنه بهذه.. الخفة.

أضاف: ماذا بوسعنا أن نفعل؟

لاشيء. أحتاج إلى أن أتمكن من الكلام عن ذلك، هذا هو كل شيء.

الآن كانوا جميعًا في طريقهم لتناول طاجن لحم البقر والخضار السنغالي الذي كان مطبوخًا أكثر مما يلزم، وكانت جولييت تنظر إلى أوليفييه يضحك مع بول وستيفان.

مررت سؤالها إلى فلورنس: من الصعب تصديق أنه كان يبكي قبل ساعات، وأنه يعيش قصة حب مضطربة، ألا ترين ذلك؟

جلست بياتريس إلى جانبهما وطبقها في يدها.

سألت: تتحدثان عمن؟

أجابت فلو: لا تعرفينه. صديقة علمت أن رجلها يعيش علاقة مع أخرى.

كانت بياتريس قد انفصلت منذ بعض الوقت عن والد ابنتها الذي كان يخونها بلا توقف طوال السنوات التي دامتها حياتهما المشتركة.

قالت بياتريس بلهجة مرحة، وهي تهز كتفيها قليلًا: إنه الموسم. كلما كان فيليب يعيش قصة جديدة كانت تبدأ في الربيع. قولا لصديقتكما ألا تقلق كثيرًا، ففي الخريف سوف يهدؤون.

باستثناء بياتريس ونورالدين، وصاحب المقهى الذي بقيت زوجته في البيت، كان كل المدعوين قد جاؤوا أزواجًا. معظمهم متزوجون منذ عشر سنوات تقريبًا مثل جولييت وفلورنس، وكان ذلك طبيعيًا بما أنهم تعارفوا بواسطة أطفالهم. كانوا جميعًا يبدون متفاهمين، لا بل ولا يزالون عاشقين، لكن هذا، كما فكرت جولييت، لأننا نرى الأمور من الخارج، أما ما يجري حقيقة فيما بينهم، فلا يمكننا معرفته. حين أعلن في السنة الماضية ستيفاني وتييري، ثم بياتريس وفيليب أنهم ينفصلون، أصاب الذهول الجميع، كما لو أن عمارة في شارعهم يمرون أمامها كل يوم انهارت فجأة أمام أعينهم. الزيجات هي على هذا النحو، أبنية تبدو مبنية كي تدوم قرونًا وتنهار فجأة أحيانًا، بعد أن تآكلت بفعل فطر خفي.

انضم سيرج الذي كان قد وصل لتوه خارجًا من المسرح إلى بول وستيفان على الشرفة وقبلهما على الوجه قبل أن يقرص وجه أوليفييه.

أنت الوسيم دوفا كطفل وصاحب الجسد الشاب.. أليس كذلك؟

اتخذ أوليفييه مظهر المتواضع.

تابعوا الحديث حول واحد من موضوعاتهم المفضلة: التدريب الجسماني التمارين الرياضية، فقدان الوزن، الدراجة. كان ستيفان يتبع نظامًا صحيًا وبيبر يتدرب من أجل السباق.

أما بالنسبة إلى سيرج، الذي كان وضعه كمسرحي بلا عقد ثابت يترك له كثيرًا من الوقت الحر، فقد كان يقضيه في قاعة الرياضة يرفع الثقالات ويدرب جسده. عرض عضلات بطنه على أنظار أصدقائه الذكور المعجبة والحاسدة في حين كانت نساؤهم تراقبها بعيون متعبة، غارقات في أحاديثهن حول العمل والسياسة.

مزحت فلورنس: أنظري إليهم. نكاد نحسب أنفسنا في قاعة حمام بحي الماريه.

زاودت بياتريس: كان أفضل لهم أن يتوددوا إلى نسائهم. انظرن إلى أنفسكن أنتن الاثنتان، ولا شعرة تزيد من حجم بطنكما. مع أنكن أنتن من حمل أطفالهم.

وافقت جولييت، متأملة. منذ متى لم يقل لها أوليفييه إنها جميلة؟ حين وجهت له هذه الملاحظة هز كتفيه وأجاب:

أنت تعرفين ذلك جيدًا. كل الناس يقولون لك ذلك.

ضحكت أسنانها: معك حق. كثير من التعزيز الإيجابي قادم من الخارج. حسنٌ أن يهشم المرء قليلًا في علاقته الزوجية.

وأضافت، ثم إنك مخطئ.

كان الغزل والتودد إلى النساء في غالاتيا نيتوورك يعتبران من الأخطاء المهنية الخطيرة. وبما أنها اختارت مسارًا علميًا فقد اعتادت جولييت منذ زمن طويل على الحياة في بيئة ذكورية، لكن البرودة المظهرة لزملائها الحاليين تجعلها تأسف لزمن مدرسة المهندسين التي كانت تلعب فيها على كل الأصعدة بحرية تامة، تتلقى فوائد ذكائها دون أن تضحي بأي امتياز من امتيازات أنوثتها. كانت إحدى نوادر الفتيات في فصلها، الأكثر جمالًا ولاشك، وكان رفاقها وحتى أساتذتها يتدافعون كي يقولون لها ذلك. لكن أحدًا لم يجرؤ بسبب ذلك على أن يشكك في اختصاصاتها ولا أن يزعم وضع حدود لحريتها. ولاشك أنها لهذا السبب كانت قد كفت بسرعة عن ارتياد "جماعات النساء". كان يبدو لها أن المعركة رابحة، وأن المساواة بين الجنسين قائمة، وأنه لم يعد ثمة ما يناضلُ من أجله. تساءلت لوهلة إن كانت لا تزال نصيرة النزعة النسوية. وبما أنها محاطة كما كانت عليه

برجال كانوا كذلك بقدرها بل وأكثر منها، وفي المقام الأول زوجها، فإنها لم تعد واثقة كثيرًا من كونها كذلك.

التقت بنظرة فلورنس التي طورت مع الزمن القدرة على القراءة في أفكارها، وابتسمت لها. غالبًا ما كانت قد تكلمت عن ذلك. فزوجاهما كانا شديدا القرب من المثل الأعلى الذكوري الذي سبق لهن أن تمثينة قبل عشرين عامًا من ذلك. شأن الذكور الآخرين في جماعتهم الصغيرة، كانا بوجه خاص عينتين كاملتين تقريبًا عن جنس الآباء الجدد. فقد كانوا يغيرون الحفاضات، ويعدون زجاجات الرضاعة، ويلتقون يوم الأحد على أرصفة النهر حاملين أطفالهم على ظهورهم أو ضمن كيس الكنغر، مقارنين فوامل عربات أطفالهم الجديدة. (عند ولادة يوهان، كان أوليفييه قد استثمر في شراء عربة كنغ رولر كرويزر صالحة لكل الأراضي، لكن عربة الماكلارين هايتريك دوو مع فواملها الحديثة وصمماماتها التي اشتراها بول لم تكن تقل عنها كذلك.)

ومع ذلك، ورغم أن من المؤلم قبول ذلك بالنسبة إلى جولييت، فإن كلّ المشكلات بين أوليفييه وبينها إنما بدأت عند ولادة إيما.

سرعان ما أحست بشعور رهيب من الهجر. كان أوليفييه مفتونًا بابنته، ولم تكن تشعر أنها لم تعد موجودة أبدًا في نظره فحسب بل أن عليها أن تناضل باستمرار ضد الانطباع بأنه يسرق منها دور الأم. خلال الأسابيع الأولى بقي بالنسبة لها سلاحًا سريًا: فقد كانت ترضع طفلتها. كان أوليفييه يحمل لها إيما إلى سريرهما ويبقى إلى جانبهما بينما كانت ابنته ترضع من ثدي أمها، ينظر إليهما كلاهما بحنان تثير رؤيته السعادة. ومع ذلك كانت جولييت على استعداد لتقسم أنها فاجأت عدة مرات بريق حسد في عينيه. ومن حسن حظه، أن ذلك لم يدم وقتًا طويلًا. إذ بقوة الأشياء وجب على جولييت أن تفطم إيما وأن تستعيد العمل ما إن انتهت إجازتها القانونية كان عمر الرضيعة أقل من ثلاثة أشهر. استطاع أوليفييه عندئذ أن يستسلم إلى جنونه الأبوي. فقد نما لديه خوفٌ مرضيٌ من الموت المفاجئ للرضع فكان يوقظ جولييت عشر مرات ليلًا، دون احترام لتعبها، فتنهض قفزًا كي تطمئن على أن الصغيرة لا تزال تتنفس. ثم بدأ في وضع مناهج جديدة لإعداد زجاجات الرضاعة ولتغيير الحفاضات، وهي مناهج كانت من وجهة نظر جولييت تصلح فقط لمضاعفة الزمن اللازم لهذه المهمات ولم تكن إلا مصدر إزعاج دون أي مقابل إيجابي، لكن أوليفييه لم يكن يريد أن يسمع شيئًا، ولكي تتلافى الشجار، خضعت لطلباته. كان قد صار فجأة خبير أطفال، يقضي حياته على الأنترنت في تبادل تجاربه مع

آباء آخرين. هي التي كان من حظها ألا تعرف كآبة ما بعد الولادة، والتي ظنت بسذاجة أنها ستبلغ مع هذه الولادة ضربًا من الكمال، لم تكن تستطيع أن ترى ابنتها بين ذراعي أبيها دون أن تقمع شعورًا رهيبًا بالغيرة غيرة ممن؟ منه؟ منها؟ من الاثنين ولاشك . كانت تتوس بين غضبها من انتزاع ابنتها منها وبين شعور بالهجر، دون أن تبدي بالطبع شيئًا من ذلك. مم يمكن لها أن تشكو؟ لا شك أنها ارتكبت أيضًا بعض الأخطاء. ولإنصافهما لم يكن أوليفييه ولا هي يعرفان ما الذي يعنيه أن يكون المرء أبًا: لم تكن جولييت خلال طفولتها كلها قد رأت أباها إلا مرتين أو ثلاث مرات، وكان أوليفييه قد قضى مثل جولييت سنوات عديدة في المدرسة الداخلية. وحتى لو كان كلٌ منهما أقرب إلى أبيه، فإن نموذج الجيل السابق لم يكن مفيدًا لهما في شيء. كانا رائدين في نمط حياة جديد وكان عليهما أن يبتكرا كل شيء.

ما كانت جولييت لتقبل ذلك أبدًا أمام شخص ما (عفوا، يوهان، أحبك)، لكنها بعد ولادة إيما، كان قرارها أن تلد بسرعة شديدة طفلًا آخر أكثر منه استجابة لرغبة حقيقية، قد أملته إرادة عنيفة في أن تنتهي من هذا الثلاثي الجهنمي الذي لم تكن تكف فيه عن التواجد بين أوليفييه وطفلته، وبصورة جزئية، حنين لزوجيهما، بل وكذلك الخوف من أن يؤدي هذا الانفراد مع أبيها إلى أن يجعل من إيما مريضة نفسيًا.

كانت أغنية نوار ديزبر "ستحملنا الرياح" تُذاع على القناة التلفزيونية.

سأل بيير: هل ثمة أحد يفهم كلمات هذه الأغنية؟ بلا مزاح. من يفهم؟ لا أخاف من الطريق، يجب أن نرى يجب أن نتذوقه، متاهات في عمق الكلى...

أجاب أحدهم: دعك من هذا. إنه من الشعر.

حوالي منتصف الليل، بدأ بعض الأزواج في المغادرة. كانت عددات جليسات الأطفال تدور. اقتربت جولييت وسيلفيا وبياتريس من الجماعة الصغيرة التي كانت تضم بول وسيرج وأوليفييه وستيفان ليقترحن عليهم أنه حان وقت العودة. كان ستيفان قد انطلق في قصة طويلة حول حكاية جرت في المنشأة التي يعمل فيها.

كان مارشان على قناعة بأنه أب الطفلة. أنا قلت له كيف تستطيع أن تكون واثقًا على هذا النحو؟ إنها غريبة مع ذلك هذه الماريون.

سألت جولييت: هل يمكن أن تلخص لنا. لم نسمع البداية.

إنه معلمي الذي كانت له حكاية مع فتاة في الدائرة.

قال أحدهم: أصلًا بدأت الحكاية بصورة سيئة.

انطلق ستيفان في ضحكة مجلجلة: هذا، لقد قلته. لاسيما وأنهما كلاهما متزوجان، كل واحد من من ناحيته.

وماذا حدث؟

حدث أنها حبلت، وهي الآن تهدد معلمها، مارشان، بأن تقول كل شيء لزوجته.

وزوجها هي؟

أما زوجها، فهو يظن أن الطفل منه، بالضرورة. لكنها لا تهتم، هذه الماريون. تقول لمارشان إنها سوف تطلق على كل حال وأنه هو حبيبها. تهتف له إلى بيته في منتصف الليل، وتطلب أن يهديها الهدايا نفسها التي يهديها زوجته، وإلا فإنها ستقول كل شيء. لقد بدأ يشعر بالخوف.

قال بول: معه حق. ولكن كيف حدث أنه يحكي كل هذا لك أنت؟ إنه رب عملك، أليس كذلك؟

نعم. لا أدري. أظن أنه فخور نوعا ما، في الواقع.

فخور بماذا؟

تدخلت سيلفيا: ستيفان مفتون بهذه الحكاية. ينتهز مارشان المناسبة كي يختال أمامه.

دافع ستيفان عن نفسه: طوّل بالك، الحكاية ليست عادية مع ذلك. ماريون شديدة الجمال. لا يمكنك أن تمنع نفسك من أن تقول إنه من أجل أن تضع فتاة مثلها نفسها في حالة مماثلة، لابد وأنه يملك شيئا خاصا، هذا الشخص.

تنهدت سيلفيا: أمر لا يصدق. إنه مثير للشفقة.

قررت جولييت وقد عادت إلى البيت بعد أن شربت كثيرًا أن تمارس الحب مع أوليفييه، شأنها كل مساء منذ عودته. ما إن صارا في السرير، حتى التصقت به وبدأت في تقبيله، لكنه للمرة الأولى دفعها. كفى.

انفصلت عنه وقد فوجئت كي تنظر إليه مواجهة، ثم وضعت رأسها على الوسادة دون أن تكف عن النظر إليه.

قال أوليفييه: لاضرورة للتحديق بي هكذا. أعرف على كل حال جيدًا أنك لا ترغبين بذلك.

كانت تلك عادته، عندما لا يريد شيئًا، أن يُحمّلها مسؤوليته.

أجابت: أنت مخطئ. لكنها لم تلح أكثر من ذلك، استدارت نحو الجدار، وابتلعت أكثر مما يجب من الليكسوميل وتهالكت.

كان من المستحيل عليها أن تستيقظ في الغداة، الإثنين، يوم عيد العنصرة. صحب أوليفييه الطفلين إلى الحديقة. حين استيقظت في

النهاية ذهبت لشراء بعض الحاجيات، ثم ذهبت إلى حديقة بوت شومون مع الطفلين للقاء فلورنس، كما اتفقنا عشية الأمس. كانت قد حاولت من جديد ظهرا أن تتناقش مع أوليفييه. وقد أجابها:

أنت دائما شديدة الفصاحة كي تبرهني لي كم إني تافه.

في الليلة التالية، وعند الساعة الثانية صباحا، استيقظت باكية وهزت أوليفييه في سريرهما: عدني أنك ستترك لي طفلي. أرجوك.

استيقظ مذعورا، مضطربا.

لم يكن هذا الموضوع مطروحا أبدا.

لا أريد التناوب في حراسة الأطفال، لا أريد أن أرى طفلي أسبوعا من اثنين.

كفى. أقسم لك أن الموضوع غير مطروح. على كل حال، الحراسة بالتناوب حماقة.

أحاطها بذراعه، وأضاف:

لا أريد أن تتألمي.

السؤال هو: ماذا تريدين، على وجه الدقة؟

سألها جان كريستوف، ممسكًا سيجارته بصعوبة، وكوعه موضوع على مسند الكنبة، بينما يطرد باليد الأخرى الدخان الذي كان يذهب بعناد في اتجاه جولييت. في مرآة المقهى الكبيرة الموضوعة تمامًا وراءه، كانت تراه ينعكس بثلاثة أرباع ظهره مثل أخطبوط كبير ثنائي الرأس يحرك مجساته.

فكرت جولييت قبل أن تجيب بصدق.

أجابت: الآن، فورًا، أرغب في أن أولم أوليفييه، لدي رغبة في أن يتألم.

تنهد جان كريستوف مراعيًا أن يتفث الدخان نحو السقف، الأمر الذي أضفى عليه هيئة غاضبة بصورة غريبة.

اعترض: نعم، حسنًا، لكن هذا، لن يؤدي إلى شيء، لا، لا تتركي نفسك على سجيتها هكذا. لا للانتقام، في النهاية، أنت فوق كلّ هذا، ولو.

لا، تابع وهو يتابع بعينيه مرور الدخان الذي كان يتبدد فوقهما، كما لو لم يكن يتوجه بحديثه إليها، هي الجالسة في مواجهته، بل إلى قوة عليا لا يمكن لمشاحنات جولييت الصغيرة أن تبدو في عينيها بالضرورة إلا مضحكة. لا، السؤال هو: هل تريدين الاستمرار في العيش معه أم تريدين أن تنفصلا؟ في الحالة الثانية، المسار الواجب الاتباع بسيط. لكن الثمن الواجب دفعه باهظ جدًا، انتبهي، يجب ألا تسيئي تقديره. أن تتواجدي وحيدة مع طفلين، لاسيما وأنهما صغيران مثل طفلياك، وباريس، فوق ذلك، ليس هذا بالأمر السهل حقًا.

إنه يشبه أكثر فأكثر الممثل فابريس لوكيني، فكرت جولييت، مع انطباع مفاجئ بأنها ممثلة في فيلم لإريك رومر.

وإذا كنت أريد الاستمرار معه؟

خفض جان كريستوف عينيه نحوها، وهز رأسه في هيئة ممنوحة لكنه سعيد مع ذلك أن جولييت قد اختارت أن تعرض على حصافته الخيار الشائك. فمنح نفسه لحظة طويلة من التأمل الصامت متابعًا التحديق فيها، وعيناه نصف مغلقتين، قبل أن يستعيد ببطء.

إذن واحدٌ من أمرين: إما أنه عاشق، فتطلبين منه أن يتركها، لكن هل ستستطيعين بعد ذلك أن تغفري له، وهو أيضًا، أن يغفر لك منعك إياه أن يعيش هذا؟ ومن ناحية أخرى أفكر بصوت عالٍ إن كان عاشقًا فعلًا، إن كانت حقًا هي المرأة التي يحب، فإنه سيذهب على كل حال، إذن يسعك

أيضًا أن تقرري تركه يفعل ما يشاء...

صمت قليلًا.

وإما؟ ... تابعت جولييت ذهنيًا وكانت، وهي حبيسة عقلها الديكارتي، لا تزال تنتظر البديل الثاني.

لكن شيئًا لم يأت. فقد كان جان كريستوف كما يظهر قد أنهى قوله. كان قد سكت ويرشق جولييت بنظرة ثاقبة ، فاحصة. ترددت لحظة، ثم هزت رأسها.

أجابت: أخاف كثيرًا. إن تركته يفعل، إن لم أناضل، فسوف يفعل ما يشاء. إنه هكذا، يذهب مع التي تريده أكثر.

قال جان كريستوف لنفسه: إنها تفكر بلقائها معه، وبحكاية ماريا. في تلك الحقبة، فوجئ باليأس الذي كانت غرقت فيه بسبب قطيعتها مع أوليفييه ولم تكن تعرفه إلا منذ بضعة أسابيع. بعد ثلاث سنوات من ذلك، كان مذهولًا أكثر حين التقت هي و أوليفييه من جديد، من السرعة التي اقتنعت بها أنه حبيبها والتي انطلقت بها خافضة الرأس نحو الزواج. لا مجال للإنكار أن جولييت هي التي كانت قد أرادت أوليفييه أكثر بكثير من العكس. أما هو فقد اكتفى بأن يستسلم للحب، مع لامبالاته المعتادة.

ضرب بعنف وهو يضع قبضته المضمومة على الطاولة لكي يؤكد خطابه: إذن، إن كان ذلك بفعل الضعف، فيجب أن تكوني قاسية. هناك نساء مخيفات، كما تعلمين، على استعداد لفعل كل شيء كي يحصلن على ما يردن. ليس لها ما تفقده، هي. إذا كان هذا ما تريدين الحفاظ عليه فيجب أن تكوني عنيدة. يجب أن يتوقف عن رؤيتها، وعن أن يتكلم معها.

تساءلت جولييت من أين لجان كريستوف هذه الثقة في تشخيص العلاقات الغرامية، حكمة الكاهن هذه، هو الذي لم يباشر أبدًا، وهو المثلي جنسيًا، رسميًا على الأقل، أية علاقة دائمة. لاشك أنها من قراءاته، لأن ثقافته كانت مذهلة تقريبًا بقدر ما هي ثقافة فابريس لوكيني والأدب يفيض، كما هو معلوم، بأوضاع من هذا القبيل. من المؤكد أنها أيضًا من حكايات هؤلاء وأولئك، المستقاة على مر الستين كان يبدي لكل شخص اهتمامًا كان من الصدق بحيث أن كل الناس كانوا يبوحون له بأسرارهم والتي لابد أنه انتهى إلى أن يؤلف منها مدونة هامة من التجارب كان يسعه بسهولة أن يستخلص منها بعض القوانين العامة.

شكرته على نصائحه وغادرته منشرحة. وبما أن المترو كان مضربًا فقد تابعت تفكيرها وهي تسير من الأوبرا حتى مكتبها. لقد نفعها هذا الغداء مع جان كريستوف. فحكاية الثمن الواجب دفعه جعلت كل شيء أكثر

وضوحا. لا، لم تكن تريد أن تدفع ثمن انفصال عن أوليفييه. وكانت تنظر برغب إلى إمكانية أن تناضل سنوات حول الخيارات الخاصة بطفيلها، أن تناضل بلا حب، بلا جهد فهم متبادل.

قررت أنها تريد الاحتفاظ به، وأنها سوف تقاتل.

الجزء الثاني

وصل أوليفييه باكزا هذا الصباح إلى المجلة. حيا في البهو بعض الزملاء ثم طلب المصعد، ضغط على زر الدور الثالث وسار في الدهليز الذي وضع في نهايته على لوحة زجاجية رسم شخصية غاستون لاغاف من القصص المصورة نعسانًا وسط أكوام من الكتب يعلو الإشارة: الدائرة السياسية. عند عتبة الباب استحوذت عليه رائحة التنباك البارد. ومن بين المكاتب العشر التي تحتويها القاعة، المزدحمة جميعها بالكتب، وبالمجلات، إلخ، كان هناك مكتب وحيد مشغول في هذه الساعة الصباحية: مكتب إلزا، المتدربة الشابة الجالسة قرب النافذة المفتوحة، تحاول أن تستنشق بعض الهواء النقي بينما تنهي تحرير تقرير عن اجتماعهم الأسبوعي الأخير.

تبادل معها بعض العبارات اللطيفة، محاولًا إخفاء التعاطف الذي توحي به إليه هذه الإنسانة البريئة بلا دفاع، التي لا تزال محمية في حضن مدرسة الصحافة الدافئ، والتي لا تملك أية فكرة عن شراسة التنافس الذي ستجد نفسها مقذوفًا بها فيه ما إن تحصل على شهادتها. لم يز أيّ شخص أن من المفيد إعلامها بذلك، لكن مجرد حصولها على هذه الدورة التدريبية الصيفية في مجلة أسبوعية شهيرة يعتبر معجزة حقيقية، أو بالأحرى نتيجة المفاوضة المريرة التي قام بها رئيس التحرير تيبري مع مدير التحرير الذي كان يريد فرض ابنة صديقته والذي لم يوافق إلا لأن مكانًا شغر في آخر لحظة وأفسح المجال في الأخبار العامة حيث أمكن وضع الابنة المذكورة.

خلال شهري الصيف، لم يستمر عمل المجلة إن صح القول إلا بفضل المتدربين، الذين كانوا يعينون بلا حساب. كان الطلب من الكثافة بحيث كان من الممكن ألا يُعيَّن إلا الذين تخرجوا من أفضل المدارس وألا يُختار بينهم إلا ألمع العناصر. لا يكفي أنهم لا يكلفون شيئًا تقريبًا بل إنهم كانوا يبرهنون عن حماسة وطاقة في العمل يفتقر بشدة إليها المحررون الأصيلون، الأكثر فأكثر إحباطًا وتخمة، المتعبون من مقاومة الضغوطات الممارسة عليهم، المستهلكون إذ يلاحظون أن ما يكتبونه لا يهم كثيرًا من الناس، المرغمون فضلًا عن ذلك على أن يقبلوا أن المجلة، المنجزة على أيدي هؤلاء المتدربين المخيفين، لم تفقد شيئًا كبيرًا من جودتها. والنتيجة التي تفرض نفسها بالنسبة إلى المحررين الأصيلين كانت واضحة ومحبطة: ليسوا مدينين بوضعهم وبراتبهم إلا لأثر أسبقيتهم، لحظّ ولادتهم أبكر بعشرين سنة من هؤلاء.

كان وضع الصحافة يزداد سوءًا. فالمجلات الأسبوعية كانت أفضل حالًا من الصحف اليومية لكن المجلة التي كان أوليفييه يعمل فيها على شهرتها كان جمهور قرائها هرمين وكانت بصورة مضطردة على وشك الإفلاس. لمح أوليفييه وهو يجلس إلى مكتبه أرقام المبيعات التي كانت توزع كل أسبوع على رؤساء الأقسام. كانت شديدة الانخفاض. وكان الموقع الإلكتروني الذي كلف الاستثمار فيه مبالغ طائلة لا يزال بلا أي مورد. حسب هذا الإيقاع، لن تتأخر المجلة عن الإغلاق. فقد تعاقبت التسريحات خلال السنوات الأخيرة وكان كل واحد يتمسك بكرسيه توقعًا للسقوط الذي سيحدث حتمًا، طالما أن الأمر الوحيد غير المؤكد هو تاريخ الكارثة. أحس أوليفييه بالقلق المألوف يضغط على معدته لمجرد أن يجد نفسه عاطلًا عن العمل، وقد تجاوز الخامسة والأربعين من العمر في قطاع مأزوم. وفي الوقت نفسه أو تقريبًا ازداد سخطه المألوف كذلك من فكرة جولييت وتلميحاتها الدائمة إلى بخله المفترض. كما لو أنه لم يكن طبيعيًا أن يهتم بمسائل النقود حين يتحمل زوجان مثلهما عبء طفلين صغيرين، وأمامهما مستقبل مهني أكثر من مشكوك فيه، ولانعدام أي أمل في إمكان تقاعد مفترض قبل عدد كبير من السنين نظرًا لبدئهما العمل في سن متأخرة. لكن جولييت، على عكسه، برهنت على الدوام عن تفاؤل يكاد يبلغ اللاوعي. كانت تثق ثقة مطلقة بالمستقبل. هذه الطمأنينة الهادئة التي تعوض قلقه الخاص به كانت بين أشياء أخرى ما فتنه لديها قبل عشر سنوات. لكن ذلك يغضبه الآن. للمرة الألف كان يجمع ذهنيًا راتبيهما ويقوم بحساب الكلفة الناتجة عن انفصالهما، وبيع الشقة، والبحث عن شقتين منفصلتين على قدر من القرب يمكنهما أن يستقبلا كلاهما، كلٌ من ناحيته، طفليهما فيهما. وللمرة الألف يتأكد برضى أن مثل هذا الخيار بباريس عام ٢٠٠٢ غير واقعي، وأنه من غير المفيد بالنتيجة الاستمرار في تعذيب الذات بذلك. وهو يُعْلِمْ فيكتوار بحزم أنه لن يترك زوجته، حتى ولو كان ذلك مؤلمًا، كان قد اتخذ القرار الجيد.

استعاد في فكره وجة المرأة الشابة حين أعلن لها أنه لن يذهب معها إلى روما، ودموعها، فانتصب عضوه عفويًا مع هذه الذكرى. مارسا الحب ذلك اليوم كما لم يمارساه على هذا النحو من قبل أبدًا. ومهما قيل فإن الدراما تتوافق مع الجنس. أفضل بكثير من توافقه مع الفكاهة، على كل حال. بخلاف جولييت، كانت فيكتوار تبدي كلَّ عواطفها ومشاعرها بلا حدود، وبحدة مؤثرة، ولم يكن أوليفييه، حتى لو حدث أن فكر أنها تبالغ قليلًا في ذلك، يمنع نفسه من أن يجد هذه الدرجة الأولى مثيرة بصورة غريبة.

متى سمع بها للمرة الأولى؟ لم يعد يذكر ذلك. لم تكن لديه ذاكرة تحتفظ بمثل هذه الأشياء. فهو لا يشبه جولييت التي تتذكر كل شيء، كل كلمة نُطقت، كل تاريخ، لم تكن تنسى أبدًا أي عيد ميلاد، وليس عيد ميلاد زواجهما وعيد ميلاد أول ليلة وأول قبلة وسواها فحسب، أمر مرعب، فهي تتذكر حتى أشياء لم تكن قد عاشتها، أشياء من حياته قبلها، كان قد قصّها عليها، في اجتماعات الأسرة كانت قادرة على أن تهمس له على حين غرة اسم عمة بعيدة لم تلمحها سوى مرة واحدة، تتعرف في ألبومات الصور أفضل منه على أجداده، كانت جولييت صفيحة حقيقية حساسة تنطبع عليها أصغر الأشياء وأقلها أهمية، بصورة عفوية ونهائية كما يبدو. والخلاصة، صفيحة حساسة، كانت تلك طريقة لطيفة في قول ذلك. إنها آلة تسجيل حقيقية، كما كان يفكر أحيانًا حين تثير أعصابه.

وكانت تثير أعصابه أكثر فأكثر غالبًا، تعيد له كلمات كان قد قالها، وتذكره بأشياء فعلها، وتسأله حسابات، كما لو لم يكن من الممكن التقدم من دون النظر دومًا إلى الوراء، ومن دون القيام دومًا بوصف الحالة الراهنة، واستخلاص النتائج. كان ذلك هم جولييت الكبير في سنوات زواجهما الأولى. كانت تريد أن تبرمج نقاشات منتظمة المواعيد، وفي تواريخ محددة، كعيد ميلاد لقائهما مثلًا، ليتكلما عن نفسيهما. عنهما كزوجين. مجرد الفكرة كانت تثير جنونه. كان يتوتر عفويًا، لماذا الكلام بما أن كل شيء في وضع حسن، لم تكن تفهم، كانت تقول تمامًا، لكي يستمر الأمر على هذا النحو، ولكي ننزع فتيل أقل بداية سوء تفاهم يمكن أن يقوم بيننا، كان يشعر بالهلع يزداد، والدم يضطرب في صدغيه، عن أي سوء تفاهم تتكلم، ومالذي تريد أن تقوله له. وهي تراه حائرًا تنتهي إلى أن تتخلى عن الأمر. كان يحدث الأمر نفسه حين كانت تسأله إن كان يحبها، وكان ذلك يبدو له إخطارًا، أمرًا متناقضًا، كما هو الأمر حين يطلب إليك أن تكون عفويًا، شيئًا عسير التحقيق، كما لو أن حبه لم يكن واضحًا بما فيه الكفاية، ألم يسبق له أن قدم لها كل البراهين عليه، يبدو أن ذلك لا يكفي لكن مالذي تريد أكثر من ذلك، هذا الشعور المؤلم الذي تعطيه إياه على الدوام إذ تطلب منه شيئًا آخر، هذا الشعور الذي تعطيه إياه باستمرار بأنه لم يكن على قدر المهمة.

كان هيرفيه قد وصل لتوه، أحمر اللون يرشح عرقًا رغم أن الوقت لا يزال صباحًا، حاملًا خوذة دراجته النارية تحت ذراعه. حيا إلزا وأوليفييه وكأنه لا يراهم، واستقر وراء مكتبه وظهره إلى الجدار وأشعل حاسوبه. لم تفلت من أوليفييه النظرة الخاطفة التي كان قد ألقاها قبل جلوسه نحو

مكتب ألكسندرا غير المشغول، القائم إلى جانب مكتبه تمامًا. كانت ألكسندرا النجمة المفيدة. فقد كانت صحفية لامعة في الثلاثين من عمرها، ذات جاذبية مثيرة واعتماد صارم للواجبات الأدبية، آية الله في كل ما هو سليم سياسيًا دون أي مجاملة في ما يتعلق بالانحرافات الذكورية لزملائها الرجال. لاحظ أوليفييه بشيء من السخرية الهيئة الجادة والمركزة التي كان يتأمل بها هيرفيه شاشته، ناقرًا من وقت إلى آخر مفاتيح حاسوبه خداعًا. لاشك أبدًا في أنه كان قبل بدء يوم عمله يستمد قواه بوضع الصور الفوتوغرافية التي كان يسجلها بالمئات في ذاكرة حاسوبه خلال الساعات المسائية الطويلة التي كان يقضيها وحيدًا في المجلة، مستفيدًا من الاتصال السريع وغير المراقب الذي كان تحت تصرف الصحفيين. منذ أن تركته امرأته في السنة الماضية، حاملة طفليهما على ذراعيها، ازداد وزن هيرفيه عشرة كيلو غرامات وساءت أحواله. فجأة عادت إلى أوليفييه ذكرى إحدى المرات الأولى، إن لم تكن المرة الأولى، التي سمع فيها اسم فيكتوار يلفظ. كان ذلك قبيل يوم المرأة العالمي، في ٨ آذار/مارس. كان هيرفيه يتناقش مع تييري حول الزاوية الأنسب من أجل تغطية حدث هذه السنة، وحضر اسم فيكتوار أثناء الحديث. كان تييري قد اقترح صورة وجه ما ومد بالصورة الفوتوغرافية إلى هيرفيه الذي أخذها ونظر فيها بشبق.

وكان قد علّق: ليست سيئة.

وبعد أن تأكد من عدم وجود ألكسندرا بالقرب منهما كان قد أجاب:

من يُجامعها؟

اقترب أوليفييه الذي كان يتابع الحديث من بعيد. كانت تلك هي المسألة المعتادة بين ذكور القسم، ما إن يجري الحديث عن امرأة يقل عمرها عن خمسين عامًا لابأس بتكوينها، وحتى لو لم يكن أوليفييه يوافق بصرامة على هذا النمط من الأحاديث الجنسية، فإنه لم يكن يستطيع الامتناع عن الاهتمام بها. كان تييري قد أجاب بحركة تشي بجهله.

عند هذا الطور، ورغم المصاعب التي كان يواجهها في حياته الزوجية، كان احتمال خيانة أوليفييه لجولييت لا يزال شديد الضعف، ولم يكن هو نفسه ليراهن بقرش واحد على ذلك. فلكي يحدث مثل هذا الأمر، كان لابد من مجموعة من الظروف لم يكن لها إلا القليل من الحظ في أن تجتمع ذات يوم. مثلًا، أن يقع هيرفيه ضحية صدام دراجته النارية تمامًا قبل مقابلته الفبرمجة مع نائبة إشتراكية، هي أيضًا رئيسة منظمة نسائية بارزة، وأن يُدعى أوليفييه للحلول محله على الفور. أن تكون الرئيسة موضوع

الحديث شابة وأقرب إلى الجمال دون أن تكون ذات جمال باهر، وأن تقع بصورة عفوية تحت سحر هذا الصحفي ذي الضمير الحي والخجول بعض الشيء، الذي كان ينظر إليها كما ينظر إلى كل النساء، دون العمل على إغرائها، بلطف واهتمام صادق بأفكارها. وأن معرفتها التي لا تقتصر على كونه عضوًا في هيئة تحرير مجلة أسبوعية مشهورة فحسب بل تشمل فضلًا عن ذلك أنه متزوج وأب لطفلين تتير إلى أبعد حدّ رغبة هذه النائبة في أسره وبالتالي رغبتها المباشرة فيه. أن يكون الصحفي بالمقابل فخورًا ومتأثرًا ثم متحمسًا للاهتمام الذي كانت تبديه نحوه، والذي يعوضه بسرور عن برود زوجته الظاهر منذ أشهر. وأن يقول لنفسه إنه بعد كل شيء ونظرًا لما كان يلاحظه لدى زملائه الذكور والرجال السياسيين الذين كان يلتقيهم كل يوم، فإن خيانة المرء زوجته كان عادة رائجة لم يكن لها أية عواقب. وأنه، في النهاية، وقد غمره الفخر والرغبة التي كانت هذه المرأة القوية تكابدها إزاءه، مضاعفة بالرغبة التي كان الآخرون يكابدونها نحوها، قرر المضي في اتجاهها.

كان ذلك تمامًا ما جرى.

منذ اليوم التالي لأول لقاء لهما، كانت فيكتوار قد بدأت إمطاره بالرسائل الهاتفية. وكان أوليفييه يشعر بإحساس مثمل بغمره كان قد كفّ عن الشعور به منذ زمن طويل. طبعًا، منذ زواجه، كانت نساء أخريات يبدين اهتمامهن به. كان قد استسلم لألعاب إغراء لا أهمية لها ولاسيما مع هذه أو تلك من المتدربات الشابات. وشأن معظم زملائه الذكور (لكن القليل منهم من كان له مثل حظه في النجاح)، كان يتسلى بإحساسه بنظراتهن المعجبة والمغرية تلقى عليه، ولا يقاوم دوفا الرغبة في أن يبتسم لهن ابتسامة واضحة، وأن يوجه لهن إطراء ذا معنيين حول عملهن. لكنه لم يستفد أبدًا من امتيازه فأوليفييه لم يكن صياذًا وفوق ذلك، كان، وهو في الخامسة والأربعين من عمره، يفتقر على الدوام إلى الثقة بالنفس. لم يكن ذلك أقل مفاتنه. فرجل بمثل جاذبيته لا يبدو عليه وعيه بذلك يستدعي له على الدوام، دفعة واحدة، عطف النساء، وفضولهن، وأكثر من ذلك أحيانًا. كن وقد شجعهن تحفظه وأغاظتهن لامبالاته يتسلين بسرور في استثارته. وكان بعضهن ينتهين إلى الوقوع في حبه بشدة، بشدة ولكن بصورة أفلاطونية، كان ذلك هو الأساس، وكانت الأشياء تتوقف هنا.

لكن فيكتوار مثل جولييت من قبلها لم تتوقف هنا.

فالتوقف هنا لم يكن أبدًا أسلوب فيكتوار.

أسلوب فيكتوار، في مغامراتها الغرامية كما هو شأنها في مسارها

السياسي، كان المحاصرة مشقوعة بالمناوشة الفحكمة والمنتظمة. مثل عوليس عند حصار طروادة، لم تكن تتردد في استخدام الحيلة كي تخترق أولى خطوط الدفاع. فما إن كانت تضع قدمًا في المكان حتى يصير تقدمها محتومًا وإن كان متعرجًا وفي الظاهر فوضويًا ، تتخلله تراجعات صبورة في المواقع المحمية، من أجل أن تتمكن خلالها من أن تستعيد أنفاسها، دون أن تتخلى عن أقل قدر من الأرض الفكتسبة.

ذلك ما كانه أسلوب فيكتوار. على الأقل، في الطور الأول من المعركة.

في الطور الثاني، وفي حالة مقاومة غير منتظرة ومستمرة من قبل الخصم، يمكن أن يتحول ذلك إلى دك بالأسلحة الثقيلة، أو الهجوم بالبازوكا، أو القتل بالساطور، أو حرق المعسكر الخصم ثم حرق العدو بالماء الحار، أو فسخه، أو صلبه، أو ربطه إلى عمود أو أي عذاب آخر مرهف.

لكن أوليفييه كان لا يزال يجهل كل ذلك.

فعلى عكس كل الكليشيهات التي لا تزال غالبًا ترهق المناضلات من أجل مساواة الجنسين، كانت فيكتوار تغذي بعمق أنوثتها. كانت تدقق في اختيار ما تلبسه وتنتصب دومًا على كعبين مدوخين يجعلانها أطول من المتوسط رغم أنها في الواقع كانت بالأحرى صغيرة القامة. على أنها كانت من ناحية أخرى ذات شعر طويل أحمر كان، وهي تعلم ذلك، سلاحها الأكبر الذي كانت تستخلص منه أكبر الفوائد وهي تتركه يتدلى على كتفيها أو تعقصه خلف رأسها في جدائل كثيفة حسب مزاجها. لم تكف فيكتوار طوال المقابلة التي كان أوليفييه يجريها معها عن فتل جدائلها بأصابعها، وحملها حتى شفتيها، بينما تجيب عن أسئلته بلهجة تنطوي على بعض التردد، كما لو أنها مضطربة، دون أن ترفع عنه عينيها الصافيتين. ثم كانت قد سألته بدورها، وطلبت إليه رأيه حول موضوعات كان قد أثارها. وهو يجيبها، مرتبكًا بعض الشيء، ضغب عليه مقاومة نظرتها الشفافة، عسيرة التفكيك، وهو الذي اعتاد على العمق المطفئ لعيني جولييت السمراوين المذهبتين. كانت فيكتوار وشفتيها شبه منفرجتين تتشرب كل كلمة من كلماته. ولو أن جولييت حضرت المشهد لسخرت بلا رحمة من جيل بمثل هذا المجون. ولكانت ألغت كبرياء الرجال، وصدقية الذين يستسلمون لمثل هذه الألعاب. لا يهم. ذلك كان يحل بسرور محل اللوم الثقيل الذي كان يشعر على الدوام ظهوره لدى جولييت نحوه منذ ولادة إيما، والذي لم يكن يفهم سببه. ما الذي كانته خطيئته؟ كان يشارك في المهمات المنزلية، ويهتم بالأطفال أكثر من أي أب ممن يحيطوا بهما، في الوقت الذي يتحمل

حصته من نفقات المنزل. لكن جولييت كانت آلة ساعة معقدة بدت وقد اختل عملها فجأة. لاشيء من كل ذلك كان يرضيها. لاشيء مما كان يفعله يرضيها. سخرياته التي كانت لطيفة في الماضي صارت فظة. بعد ولادة يوهان بقليل، كانت قد تمنعت عليه ذات مساء هي التي كانت بالمقارنة معه (وكان ذلك بينهما أمرًا معترفًا به) الأكثر شهوانية، والأكثر تطلبًا. شعر بنفسه مرفوضًا، بعنف، وغضب منها. ثم لفظت هذه الجملة الشهيرة: "لست على يقين من أنني أريد أن أشيخ بصحبتك."

كان هذا ما يخشاه على الدوام.

عند الترؤي، ربما كان الخوف من أن يجد نفسه مصدودًا من امرأة هو السبب الحقيقي في أن أوليفييه لم يكن أبدًا غازيًا. كانت الحقبة أيضًا ملائمة له. فحين بلغ سن الرشد، في نهاية سنوات ال٧٠، كانت كل كلمة أو حركة مراودة فيها بعض الإلحاح موجهة إلى ممثلة للجنس المقابل تحيلك بلا رجعة إلى مستوى حيوان من عصور ما قبل التاريخ، إلى وحش غامض. وفضلًا عن عدم فعاليته، كان ذلك أيضًا غير مجدٍ: فالفتيات في عمره، في الثانوية، ثم في الكلية، كنّ على استعداد لمضاجعة أيّ كان تقريبًا، شريطة أن تتوهم أنها هي التي كانت قد اختارته وليس العكس.

كان قد افتتح إذن بلا جهد مساز فغو سلبي، بشوش ولامبالي، على استعداد لممارسة الحب مع كل اللواتي يشرّفنه بالاهتمام به، مع همٍّ جوهري في إنجاح قطيعات غير درامية أو على الأقل بأقل قدر ممكن من الدراما. ومع تقدم العمر، صار ذلك أكثر صعوبة. ولم تكن النساء اللواتي يلتقيهن يفكرن أكثر فأكثر إلا بشيء واحد: وضع الحبل حول عنقه. ففي نهاية سنوات ال ٨٠ هذه، لم تعد مؤسسة الزواج شديدة الرواج، لكن وسواس إنجاب الأطفال، عند النساء على الأقل، لم يكن بتأثير الموضة. فمع كل علاقة جديدة، كان لابدّ من مجيئ اللحظة التي يرى فيها نفسه وهو يواجه السؤال المقدور. عبثًا كان يرفض الاقتراح بأكثر الطرق تهذيبًا وأشدها لطفًا ممكنًا، فقد كان رفضه كل شكل من أشكال الالتزام عسيرًا على القبول. وكنّ واحدة بعد الأخرى ينتهين إلى تركه، مربرات، دون أن يفعل شيئًا لاستبقائهن.

ثم هبطت جولييت فجأة على حياته. كان قد عرف دفعة واحدة أن الأمر معها سيختلف، حسب التعبير الشائع. كان قد عرف ذلك بصورة مؤكدة ومن ثمّ فقد أسرع في الهرب لأن حياته على النحو الذي كانت عليه كانت تلائمه تمام الملاءمة ولم تكن لديه أدنى رغبة في تغييرها. كانت جولييت مكتسحة، ممزقة، لكنها لم تبد شيئًا من ذلك. واكتفت إذ

تحصنت بكبريائها بأن تؤكد له بابتسامة مريرة لكن مع قناعة مرعبة، أنه في طريقه لارتكاب خطأ حياته. وظنت أن من الأفضل أن تضيف أنها لن تهتم أبدًا إن لم يكن في الوقت نفسه يخرب حياته أيضًا. بما أنهما كانا، وقد كانت على يقين من ذلك، مكرسين أحدهما للآخر.

تأمل أوليفييه في هذه الجُمل خلال السنوات الثلاث التالية التي حاولت خلالها امرأتان أخريان، إحداهما ماريا الشهيرة،وبقدر قليل من المهارة، أن يكبلنه. حوالي تلك الحقبة توفيت والدته. فشعر بنفسه محصورًا. حوله، كان كل أصدقائه يعيشون أزواجًا، وكثير منهم كان لديه أطفال، ولم يعد مستقبل العزلة الذي كان يرتسم أمامه يبدو له فجأة مثيرًا للحسد. ومن جهة أخرى، كان اليقين الذي أظهرته جولييت عند لحظة القطيعة، رغم أنه أخفى ذلك بقدر ما استطاع آنئذ، قد أذهله. فمن بين كل اللواتي كنّ قد صرحن بإرادتهن بناء حياتهن معه في الماضي، كانت جولييت هي أكثر بما لا يقارن من بدت واثقة من ضربتها. بعد تفكير عميق، كان قد قرر أن يمحضها ثقته.

بعد ثلاث سنوات من تركه لها، كان قد اتصل بها إذن وبهذه المناسبة كان قد طلبها للزواج. استقبلت جولييت هذا الطلب بقليل من الدهشة، لكنها قبلت على الفور، مشترطة فقط فترة معقولة كي تضع بلباقة حدًا لعلاقة بلا مستقبل كانت تقيمها منذ بعض الوقت في غياب ماهو أفضل مع رجل متزوج. وهو ما تمّ دون انتظار. بعد عدة أسابيع من لقائهما مجددًا، كان كل منهما يضع الحبل على عنق الآخر.

منذ الأسابيع الأولى لحياتهما المشتركة، شعر بنفسه مطمئن الخاطر على نحو لا يصدق. كانت جولييت قد رأت صوابًا. أخيرًا كان قد غادر الأرض العطوب والمتحركة التي كان يقف عليهاعلى الدوام مختل التوازن باستمرار وللمرة الأولى في حياته، بدت له الأرض صلبة تحت قدميه. كان يشعر بنفسه إلى جانب جولييت راشدًا، في انسجام مع العالم، وفي مكانه. كان أول من تفاجأ بذلك كي لا نقول أكثر من ذلك. قام بالدعاية لمؤسسة الزواج لدى أصدقائهما جميعًا. وكانت جولييت تسخر منه، وتضحك من حماسه، سعيدة. بعد سنتين من النشوة كان خلالهما المأخذ الوحيد الذي أخذه على جولييت هو ميلها الذي لا يقهر لممارسة المزاح على حسابه لكنه انتهى إلى الاعتياد على ذلك في حين كانت جولييت من ناحيتها تشكو من افتقاره إلى الرومانتيكية لكنه كان يعطيها ما يكفي من البراهين على حبه كي تغض الطرف عن ذلك قررا أن يكون لهما طفل. كانت هي من تحدث بذلك أولًا، وكان قد عبر عن اعتراضات محض شكلية، من أجل مسرة

وحيدة: أن يسمعها تعرض حججها وأن يدع نفسه تقتنع بما تقوله. مرة أخرى كان مسحوزا بيقين امرأته الهادئ، بهذا الاندفاع الحيوي فوق البشري، غير المفهوم، يحمله على أن ينوي تحقيق مفهوم كائن حي بوصفه شيئا بسيطا كل البساطة وبدهيا.

وهنا كانت المعجزة.

وبقدر ما هي نتيجة فعل جنسي بل وأكثر، مادام منع الحمل موجودا ، كانت ولادة إيما نتيجة هذه النقاشات بلا نهاية بين جولييت وبينه، في المطعم وتحت اللحاف. وبقدر ما كانت ولادتها من بطن أمها، فإنها ولدت من أفكاره هو، من مشاويره الطويلة التي كان قد بدأ خلالها قبول إمكانية طفل واستمر وهو يتخيله، هي ابنتها أو هو ابنه، فكرة صارت لحمًا، وفوق ذلك حية، بفعل سلطة القرار الذي اتخذه وحدها، والذي كان يسعه تمامًا ألا يتخذه، في مختبر دماغه السري. كان ذلك فدوخًا وفي نظر أوليفييه مصدر ذهول لا ينضب، يكاد يكون صوفيًا.

كانت الأبوة بالنسبة إلى أوليفييه كشفًا، وكانت شهور أيما الأولى بلا نقاش أكثر الشهور التي عرفها خلال وجوده كله سعادة.

كانت كذلك أيضا، ويا للأسف، اللحظة التي كانت جولييت قد اختارتها كي تبدأ الحزن.

بدأ الهاتف الموضوع على مكتبه بالرنين، قاطعًا أفكاره. نظر إلى الرقم الذي كان يرتسم وعرف دون أن يتفاجأ أنه رقم فيكتوار. تنهد مترددًا في رفع السماعة. عند الرنة الرابعة، ألقى هيرفيه عليه نظرة استفهام، رد عليها بابتسامة مرتبكة. على الرغم من أنه لم يتحدث عنها لأي شخص، كان على شبه يقين من أن هيرفيه على علم بعلاقته. لم تكن فيكتوار ملكة الرصانة، على العكس تمامًا. كانت قد ألحت عدة مرات، بعد مواعيدهما، كي ترافقه إلى المجلة لابل إنها التصقت به ذات يوم في اللحظة ذاتها التي كان خلالها تيبري، رئيس التحرير، يمر على مسافة عدة أمتار منهما. ارتاب في أنها فعلت ذلك عمدًا لكنه لم يقلق كثيرًا من ذلك، عالمًا أنه يستطيع أن يأمل برأفة، إن لم يكن بتواطؤ زملائه الذكور. ونظرًا إلى موقف جولييت نحوه خلال الأيام الأخيرة، كان يشعر شبه واثق بسلامة حقه. كان أي رجل مكانه، كما بدا له، سيفعل الشيء نفسه، لو كان له حظ أن تتكرم امرأة خارقة مثل فيكتوار بالاهتمام به.

خراقة فيكتوار، لم تفاجئه، والحق يقال، منذ اللحظة الأولى. طوال محادثتهما الأولى، لم يكن مذهولًا لا بسحرها الجسدي ولا بجدة أحاديثها بل دهش قليلًا من الهياج الإعلامي الذي بدأت في إثارته من حولها. لكن

إدراكه، على امتداد لقاءاتهما، وبقدرما كان اهتمامها به يزداد دقة، كان قد تغير. كان اليقين الذي تملكه فيكتوار بأنها امرأة استثنائية مذهلًا، وكانت قدرتها على إقناع الآخرين بذلك أكثر أيضًا وربما ههنا يكمن سرّ كل مسار سياسي. كان من المستحيل مقاومتها، حتى ولو كان من الصعوبة بمكان تمييز الأسباب الموضوعية المبررة لهذا اليقين بالعين المجردة. كانت قد غرزت المسمار دون أن تخفي المديح الذي كان يكيله لها عدد من المثقفين الكبار، وبجعله يسمع الرسائل اللطيفة التي كان يتركها لها سياسي مشهور على ذاكرة هاتفها. شعر أوليفييه بنفسه تمامًا دون أن يصير بسبب ذلك أعمى كليًا، من جوانب عديدة، كانت جولييت أيضًا امرأة استثنائية، ولا يزال على وعيه بذلك. لا يزال تيبيري، الذي كان قد صادفه مرتين أو ثلاث مرات، تحت وقع المفاجأة، ، وكان قد قال له مرات عدة كم إنه يحسده على حظه أن يكون متزوجًا من امرأة مماثلة. لكن هذا النوع من الملاحظات، لم يكن منذ زمن طويل، يستثير لدى أوليفييه أقل رضا. تساءل لماذا، في الوقت الذي لا يستطيع منع نفسه من أن يفخر ببريق الحسد الذي كان يظن تمييزه في عيني هيرفيه في هذه اللحظة بالذات، بينما كان يلاحظ بمرح سلوك زميله الغريب. فكر أنّ سبب هذا الاختلاف يكمن ولاشك في حقيقة أن خراقة فيكتوار تنعكس عليه، وهي ترشح بمعنى ما من نظراتها المنتشية ومن التعبيرات الصاخبة عن اللذة التي كان يمنحها إياها، بينما كانت خراقة جولييت تعبر عن نفسها في أغلب الأحيان بملاحظات ساخرة كانت على ملاحتها، تخفي بصعوبة، وكان أوليفييه على قناعة بذلك، الاحتقار الذي كانت تستشعره في أعماقها نحوه.

كان الهاتف عند الرنة الثامنة، وأدارت إلزا بدورها رأسها نحوه، حائرة. وأخيرًا، نُقِلَ النداء الهاتفي آليًا نحو الهاتف المركزي وعاد الصمت. في الوقت نفسه تقريبًا، طفق هاتفه الجوال بالرنين المكتوم في جيبه. كان قد طلب مرات عدة وبإلحاح إلى فيكتوار أن تكف عن الاتصال به خلال فترة يعيد النظر فيها. لكنها كانت تتجاهل بشموخ ما كانت تسميه باحتقار طلباته «قرار التأجيل». هذه المرة سوف يصمد. بالإضافة إلى أن العمل ينتظره. كان يحاول الاستغراق في قراءة أقوال الصحف لهذا اليوم التي كان قسم التوثيق قد أعدها له ووضعها على مكتبه، حين اعلمته الاهتزازات الجديدة في جيبه بوصول رسالة نصية. لم يتمكن من مقاومة إغراء إلقاء نظرة على الهاتف وقرأ:

«لم أنم الليلة، لدي رغبة في الموت. ذلك أمر شديد القسوة. اتصل بي أرجوك.»

انقبض قلبه في الوقت نفسه الذي كان عضوه ينتصب. ما كان ليصدق أبدًا أن فيكتوار تعشقه إلى هذه الدرجة. لا يمكنه ألا يكون متأثرًا بل ومذهولًا بكثافة المشاعر التي تكابدها من أجله.

سوف يضع نهاية لهذه الحكاية. كان قد وعد جولييت بذلك. لكنه سيفعل هذا بأناقة ورقة، وبما يليق برجل مهذب، بحيث لا يسبب ذلك إلا أقل ألم ممكن لفيكتوار. لم يكن فظًا، كما أنه لم يكن وحشًا.

نهض وخرج من المكتب، متبوعًا كان على الأقل يتخيل ذلك بزوجين من العيون الفاحصة. نزل طابقًا ودلف في الدهليز المؤدي إلى سطح صغير يجاور قسم التوثيق. ما إن صار في الخارج حتى طلب رقم فيكتوار من هاتفه.

كانت خطة عمل جولييت قد أعدّت بسرعة: ممارسة الحب مع أوليفييه كل يوم ومنع هذه الفتاة من الاستمرار في إفساد حياتهما. كان القسم الأول من الخطة أكثر سهولة في التنفيذ. ففي المساء بعد أن أنامت الطفلين، تمددت على السرير، نضرة ومتحمسة، ولاحظت بشيء من الدهشة أنها مفعمة رغبة. بعد ساعة من الانتظار، حين وصل حوالي الساعة العاشرة مساء، كانت نصف نائمة ورغبتها آفلة، لكنها تحركت ومارست معه الحب بأفضل ما تستطيع، مع خبرة كانت تأمل أن تكون على قدر تجربتها لكنها لا تستبعد جرعة من الابتكار. أظهر أوليفييه نفسه طيّبًا ومتعاونًا، كما هي عادته. لكن أحاسيسها هي فسدت بفعل تشنج في القدمين منذ أن صار الطقس جميلًا، كانت تلبس صندلًا لم تكن معتادة عليه. لكن الأمر كان مع ذلك ممتعًا بشدة، وقد كوفئت عن جهودها حين تمددت ملتصقة به وسمعت أوليفييه يتنهد: ما أحسن ممارسة الحب معك.

منذ عودة زوجها من أوبيني، كانت جولييت ترفض الحديث عن «الأخرى»، ولا تريد أن تعرف لا اسمها ولا عمرها ولا شيئًا عنها. لكن سؤالًا من هنا، وجملة من هناك، بدأت مع ذلك تعرف عنها أكثر مما كانت تتمناه. اسمها الأول الذي يبدأ بحرف ف، لكنها ترفض لفظه.

(ف مثل فيكتوار.

كانت تدعى فيكتوار.

حتى ولو كانت تدعى آغات أو جوزفين، يصعب على جولييت لفظ اسمها.

إذن فيكتوار.)

كيف وجد نفسه ثانية ذات يوم في بيتها من أجل ملفّ كان يعدّه حول مسألة الحجاب الشائكة التي كانت تقسم اليسار. هل كان يجب، نعم أم لا، منع وضع شال الرأس الإسلامي في المدرسة؟ كانت فيكتوار، باسم قناعاتها النسوية، تدافع عن حق الفتيات المسلمات باتباع تعليم علماني دون أن يتنكرن بسبب ذلك لدينهن. وكان بوسعها، باسم قناعاتها النسوية، أن تدافع عن العكس تمامًا، مثل عدد من زميلاتها، وأن تستنكر الحجاب بوصفه رمزًا لا يطاق للقمع الأبوي الذي كنّ ضحيته. لكن تفوق الموقف الذي تبنته ف انطوى على امتياز واسع في ظهوره موقفًا جريئًا، يمثل قطيعة مع خطّ الأكثرية في الحزب الاشتراكي، وبالتالي يحمل بصورة حتمية على الكلام عنها. وهو ما لم يتأخر، إذ أن تحرير المجلة كان قد قرر

نشر نبذة عن شخصيتها. كان ذلك بمناسبة يوم المرأة، ٨ آذار/مارس.

دهشت جولييت: كنت أظن أن ذلك دام ثلاثة أسابيع.

نعم، عند ذلك تعرفت عليها فقط. بعد ذلك كان هناك الكثير من الإيميلات المتبادلة.

فضلًا عن كونها منتخبة بوصفها مستشارة بلدية في ضاحية باريسية، كانت ف رئيسة جمعية نسوية تحمل اسم هن يساوين هم (EEE = Elles Egalent Eux) كانت جولييت تعرفها بقدر من الغموض وكانت الإضافة الطيرية التي خطرت على بالها عفويًا حين سمعت للمرة الأولى باسم الجمعية (أجنحة تعادل البيض Ailes Egales OEufs[4]) غير مقصودة كما يبدو. بالمقابل، فإن الموجز الحرفي لاسم الجمعية (مع إشارة تعجب) الذي كان يُشار به في أغلب الأحيان إلى الجمعية يمكن أن يُفهم أيضًا بوصفه تنهيدة يائسة (هنّ يساوين هم!)، وهو ما كان مقصودًا.

تندرج EEE! أو «هن يساوين هم!» في تيار النسوية الجديدة المسمّاة «الاختلافوية»، المستوحاة بصورة واسعة من النموذج الأمريكي الراديكالي، الذي يوبخ التطلع البوفواري إلى الحيادي، إلى العام المجرّد، من أجل الدعاية لطبيعة ذات خصوصية نسوية تتمتع بعديد من المزايا ومتفوقة في كل مجال على معادلها الذكوري، الرجولة. نظّرتها في فرنسا أنطوانيت فوك، التي أسست تيار نساء يتحركن، هذا التيار الجوهراني كان قد عمل بنجاح من أجل التكافؤ في السياسة الذي تقرر شرعًا في حزيران/ يونيو ٢٠٠٠، تمامًا في الوقت المناسب كي يتيح انتخاب ف خلال الانتخابات البلدية عام ٢٠٠٢، وهو ماكان ملائمًا. كان كذلك موضع دعم من قبل فيلسوفة معروفة، وهي في الحياة الخاصة رفيقة ليونيل جوسبان، وهو ما كان أفضل ملاءمة أيضًا بالنسبة إلى ف، التي كانت توفق على هذا النحو بصورة مفيدة بين قناعاتها النسوية وطموحاتها السياسية: فالرئيس السابق لليسار، رغم انسحابه رسميًا من الحياة العامة، احتفظ بتأثير مؤكد على رفاقه وبفضله، نجحت ف في أن تجعل نفسها معروفة بصورة إيجابية من قبل عدة شخصيات رئيسة في الحزب الاشتراكي.

كل ذلك لم يكن أوليفييه قد قضّ بالطبع بهذه الطريقة على جولييت، مكتفيًا بقوله لها إن ف كانت قريبة من الفيلسوفة. لكن الروح التربوية القوية لجولييت، وهي تستعرض الوقائع، والتواريخ، وما تعرفه عن الحياة السياسية وبعض العناصر التي كانت تحت تصرفها حول شخصية ف، سمحت لها بوضع عدة فرضيات ممكنة، لن تتأخر عن رؤيتها مؤكدة، في حين قامت غريزتها الأنثوية بصورة متفوقة بتحقيق ما تبقى.

كان أوليفييه قد أعلمها كذلك أنه إثر مقابلته مع ف، كانت قد دعيت من قبل المجلة إلى المشاركة في مائدة مستديرة حول العلمانية، في شهر حزيران/يونيو، بمدينة بوردو. مائدة مستديرة لم يكن بوسع أوليفييه بوصفه المسؤول المشارك عن هذه الندوات أن يعفي نفسه من المشاركة فيها.

وأخيرًا أعلمها، بصورة عابرة، أن ف كانت مطلقة، وأنه كان لها طفل في السادسة من عمره.

كان على جولييت أن تسجل بعد ذلك باهتمام كم إن أوليفييه، هو الموسوس والمهتم بالدقة حين يتعلق الأمر بعمله الصحفي، يستطيع أن يبدو تقريبيًا حين يتعلق الأمر ب ف، لأنها لم تكن على الإطلاق متزوجة في الواقع ، ولم يكن لطفلها الصغير، توم، من العمر إلا ثلاث سنوات.

لابد أنها قالت لنفسها آنئذ، لكن من الصحيح أن هذه التقريبيات لم تكن شديدة الخطورة.

بل، وحتى، لم تكن تنطوي على أي نوع من الأهمية.

وأنه، بالتالي، سيكون من السخرية مؤاخذته على ذلك.

وابنها، ما الذي كانت تفعل به حين كنت عندها؟

لم أره أبدًا. كانت أمها هي التي تهتم به، كما أظن.

قالت جولييت، آه.

منذ أن حدثها أوليفييه عنها، كانت فكرة هذه الندوات بمدينة بوردو التي كان سيلتقي بالضرورة خلالها ف تستحوذ على ذهن جولييت. انتهزت فرصة هذه اللحظة الحميمة كي تقترح عليه أن يصحبها معه. حملته الفكرة على الابتسام. مزح حولها وجرحها ذلك منه.

قالت، لا تنظر إلى ذلك بهذه الخفة كثيرًا. هذه ليست لعبة.

استعاد على الفور جديته، شبه مغتم.

قال وهو يحدق في السقف، لا، ليست لعبة. إنها تخيفني أحيانًا.

تخيفك؟ أدارت جولييت وجهها نحوه، دهشة. تخيفك بماذا؟

أجاب، لا أدري. أن تأتي هنا، ربما. لكنها لا تزال لا تعرف عنواننا، اطمئني.

لم تكن جولييت تفهم.

ما الذي تأتي لتفعله هنا؟

تطلب مني أن تتركيني أترك البيت. أن أقول لك إنني لا أحبك.

بقيت جولييت صامتة خلال هنيهة.

إن كان هذا ما قلته لها.

لم يجب. بالتأكيد، هذا ما كان قد قاله لها. لم تلح.

طوال الأيام التي تلت، بدت الحياة تستعيد مجراها كما في الماضي. إلا حين اتصلت بأوليفييه ذات مساء لتعرف في أي ساعة سوف يعود ولم يجب لا في المجلة ولا على هاتفه الجوال، برز شك خبيث. تنهدت وهي تفكر أن ذلك سيكون من الآن فصاعدًا قسمتها، وذلك خلال فترة لابأس بها. كم هو الوقت اللازم لاستعادة الثقة؟ تركت لأوليفييه رسالة تطلب منه فيها أن يتصل بها وبعد خمس دقائق من ذلك رن الهاتف في الوقت الذي كانت فيه تحت الدوش. كان في مكتب التوثيق في المجلة، وهو على وشك الوصول. ابتعد الألم البسيط.

«أحيانًا تخيفني.» كانت جملة أوليفييه هذه تحيرها. هل يمكن أن يكون المرء عاشقًا لشخص وأن يخاف منه؟ بصورة ساذجة ولاشك، كان من الصعب عليها أن تتصور ذلك. ألم يكن الحب رديف الاستسلام، والثقة؟ قررت استشارة الخبير في هذا المجال، ومن المكتب، أرسلت رسالة إلكترونية إلى جان كريستوف. لم يتأخر الجواب:

من: ج ك

إلى: جولييت

مرسلة: الخميس ١٢ يونيو ٢٠٠٣ ١٠ : ١٥

بالطبع من الممكن ذلك. هناك نساء متطرفات قليلًا يستخدمن كل الاستراتيجيات من أجل بلوغ غاياتهن. بعضهن خطيرات بصورة حقيقية: تهديد بالانتحار، فضيحة أمام آخرين، هجوم مهني... يبدو لي من غير المقبول قبولك بهذا النمط من التهديد لأنك أقل عدوانية. سيكون الحل الأفضل ولاشك أن تخيفي أوليفييه أكثر مما تخيفه «الأخرى»، ولكن هل أنت قادرة على ذلك؟ مهما كان الأمر أنت تؤكدين شعوري بأنه يجب أن يكف عن رؤيتها، وألا يكلمها، وإلا فسوف يخاف منها أكثر فأكثر ويمكن أن ينتهي به الأمر إلى الاستسلام لها بالرغم عنه.

أقبلك.

جان كريستوف

أعادت جولييت قراءة الإيميل عدة مرات. أن تخيف أوليفييه؟ تولد لديها الانطباع بأن جانبًا كاملًا من قواعد العلاقات بين الرجال والنساء بقي حتى الآن مجهولًا من قبلها. كانت تفضل ألا تغامر وأن تتمسك بمخططها الأصلي. كل مساء، في سريرهما، وأحيانًا اعتبارًا من كنبة الصالون، تلتصق به، وتبدأ في مداعبته. منذ الأمسية في بيت فلورنس، لم يكن يصدها أبدًا. كان يستسلم، متسليًا، أو مفتخرًا، أو مستفزًا، أو الثلاثة في آن واحد، لكنه راض على كل حال بصورة واضحة. بعد ممارسة الحب، وهو ممدد على

ظهره، نصف مغمض العينين، كان يتنهد من الرفاه، ثم يجذبها إليه ويقبلها بحنان.

أما وقد استقوت بهذه التشجيعات، فقد جددت اقتراحها بمرافقته إلى بوردو.

بدرت عنه حركة غامضة. قال، لدينا الوقت، ربما يسعني القيام بالرحلة ذهابًا وإيابًا يوم السبت، وتفويت يوم الأحد، وعدم قضاء الليلة هناك.

في النهار أيضًا يمكن أن تحدث أشياء.

هز كتفيه.

لو كانت هناك فرصة لا يمكن أن يحدث خلالها أي شيء لكانت أيام الندوات مثل هذه، فالمحاضرات تتوالى، وكل الناس يعرفون بعضهم بعضًا...

قالت، أوه، من يدري، فرصة الغداء، زاوية على العشب الرطب.

أجاب، لا، لا يمكن.

واستمرا في الحديث بصورة موارية. ما كانت تنتظره منه، هو أن يقول لها تصميمه على القطيعة، ولا يمكنه ألا يعرف ذلك.

عاد ذات مساء متأخرًا كان يوم إقفال تحرير المجلة. أحست جولييت بنفسها منهكة. أنامت الطفلين وذهبت إلى السرير. وصل حوالي الساعة العاشرة مساء، وانزلق بصمت في الغرفة.

قالت، ماشي الحال؟ أشعر بنفسي منهكة. سأل، لماذا؟ تبسمت بهدوء. لا أدري. صادفت بعض المضايقات في الأيام الأخيرة.

طوال الليل كان يوقظها إحساس بحرقة في الأماكن التناسلية من جسدها، لم تكف عن التفاقم طوال صباح يوم الغد. حين لم يعد بوسعها التحمل بعد الظهيرة، اتصلت بالعيادة الطبية وحصلت على موعد خلال نصف ساعة.

لم تكن هذه المرة وحيدة في قاعة الانتظار. حين دخلت القاعة الكبرى المبردة، كان هناك رجل جالس. كان لباسه بسيطًا ومن أصل مغربي. من الواضح أن زبائن عيادة آدو دوفال لم يكونوا أغنياء كما يمكن لموقعها أن يحمل على الظن. ثم إن سعر الاستشارات كان معقولًا تمامًا. قالت جولييت لنفسها، هناك أناس عاديون إذن يسكنون هذا الحي. هذا إلا إذا كانوا مثلها ليسوا إلا مستخدمين في واحد من المكاتب العديدة التي تحتل عمارات شارع ميروميسنيل أو شارع لابويسي، وينتهزون فرصة الراحة ليأتوا بحثًا عن تسكين لآلامهم الجسدية النفسية الناتجة عن الإرهاق وعن شروط عملهم. كانت جولييت تندهش دومًا من أن الطبيب يقترح عليها عفويًا أن

يوقفها عن العمل عدة أيام في نهاية الاستشارة حول مجرد ألم في الحنجرة. وكانت، بالطبع، ترفض، إذ لم يكن ذلك طبعها.

حين حان دورها، صافحتها الدكتورة دوفال (أو آدو؟) وسألتها، بالضبط، كما فعلت قبل عدة أيام: ما الذي حدث لك؟

ترددت جولييت قليلًا.

لدي حرقة مؤلمة، ربما مجرد فطر، لكن كما قلت لكِ من قبل، يعيش زوجي علاقة. يقول إنه وضع الواقي ولكن، أفضل التحقق من أنني لم أصب بشيء ما.

لم تعترض الطبيبة. كان ذلك إذن الأمر نفسه الذي جاءت من أجله في المرة السابقة. وصفت لجولييت تحليلات كاملة من أجل الفطر والجراثيم التي تنتقل بالاتصال الجنسي.

قالت، إذهبي على الفور. ولا تمارسي أية علاقات جنسية بانتظار نتائج التحليل.

تلاقت نظرتها مع نظرة مريضتها الحائرة.

في هذا الوقت، ليس الأمر شديد السهولة.

هزت الطبيبة رأسها. بالطبع، كانت تفهم. لا، لا، لا يجب أبدا على وجه الخصوص أن تكف جولييت عن ممارسة الحب مع زوجها، لاسيما في هذا الظرف.

لكن، من الأفضل أن تستخدما الواقي خلال عدة أيام.

تساءلت جولييت إن كانت كلّ النساء المخدوعات في الدائرة الثامنة من باريس يتبعن مثلها استراتيجية ممارسة الحب مع أزواجهن كل مساء.

قبل أن تركن وصفة العلاج، ألقت نظرة على الاسم المكتوب في زاويتها العليا. الدكتورة آدو. مرة أخرى فاتها الأمر.

في المساء، كان عيد الحي. نصبت الموائد أمام مدرسة رياض الأطفال في حاضرة لاباج، في الدرب المخصص للمشاة. منذ بداية شهر حزيران/ يونيو، لم يكن ذلك يتوقف. بين حفلات نهاية السنة، وعيد المدرسة ومختلف أعياد الميلاد، كانت عصابتهما من الأصدقاء يتواجدون مع الأطفال كل مساء تقريبًا. وكانت النزهات في حديقة بوت شومون تتوالى وكانت جولييت تشارك فيها وحدها مع يوهان وإيما، في أغلب الأحيان، في حين كان أوليفييه مشغولًا في المجلة أو في مكان آخر. كانت تحاول ألا تطرح على نفسها أسئلة حول الكيفية التي يقضي بها وقته، متمسكة باليقين الهش الذي منحها إياه بأنه كان فضفضا على وضع نهاية لعلاقته. ولكن مع مرور الأيام، وبقدر ما كان يزداد انطباعها بمعرفتها الشخصية لكل

عشبة في مروج بوت شومون، كانت تبدأ في التفور من هذه الحديقة.

وهي تمشي في اتجاه حاضرة لاباج، ألقت جولييت نظرة على ممر لابري، وهو زقاق بعرض متر أو مترين، محاط بواجهات سوداء، بالية ومتهالكة. قبل عدة أشهر من ذلك، كانت البلدية قد قررت هدم هذه العمارات وتفريغها من العائلات التي تسكنها بصورة غير شرعية، وهي في أغلبها لا تملك أوراق إقامة رسمية. استنفز الحي كله، بدعم من معلمات المدرسة لكي يُعاد إسكان العائلات بصورة لائقة وأن يتمكن الأطفال من إنهاء السنة الدراسية ضمن شروط سليمة. كان الممر يبدو مهجورًا لكن غسيلًا منشورًا على شرفة الدور الأول كان لا يزال يجف. لو انحنى المرء من إحدى النوافذ ومد ذراعه فلابد من أن يتمكن من أن يمس العمارة الفواجهة، ولو مد رأسه للمح قطعة من السماء الزرقاء. كانت أكياس القمامة موضوعة أمام الباب، وكان الجوّ حارًا. يكاد المرء يظن نفسه في نابولي.

كانت فلو تنتظرها أمام المدرسة مع هكتور وجان. ما إن لمحهاهما حتى ترك يوهان وإيما يد أمهما وطفقا في الركض نحو صديقيهما صائحين. عانقت جولييت فلورنس وتركت نفسها تسقط على الدرجات، منهكة، جاهدة في أن تحيي بابتسامة الناس الذين كانوا يصلون، حاملة على ذراعيها الشراب ولحم الخنزير. جلست فلو إلى جانبها ونظرت إليها بلطف.

ألن يأت أوليفييه؟

أجابت وهي تهز كتفيها، لا يزال في المجلة. أو في مكان آخر. فلديه الكثير من الاجتماعات والندوات هذه الأيام.

حاولت فلو تطمينها. بعد هزيمة ٢١ نيسان/أبريل، كان اليسار يحاول الولادة من جديد من رماده. كان طبيعيًا أن تستفيد المعارضة من حركة الاحتجاج التي كانت تتضخم كي تطلق الهجوم والسجالات في كل اتجاه، تهيئة للانتخابات القادمة.

تخشين أن يكون معها، أليس كذلك؟

ترددت جولييت

وانتهت إلى الإجابة، لا. قال لي إنه يريد التوقف. وأنا أصدقه.

بعد عدة لحظات، وصل أخيرًا أوليفييه. استقبله بيير وسيرج بدهشة كبيرة وهما يحملان بيديهما كأسًا كرتونيا مليئًا بالنبيذ الأحمر.

كيف حالهم، الاشتراكيون؟ سأل بيير، الذي كان ينتمي بالأحرى إلى اليسار المتطرف. عجيب، أنت تعمل كالمجنون في هذه الأيام!

ابتسم أوليفييه، مرتاحًا في الظاهر.

على كل حال هذا يناسبك. فأنت باهر الجمال. هل هذا قميص جديد؟ سأل سيرج.

كانت جولييت وهي جالسة على الدرجات تراقبه من بعيد متسائلة عما إذا كان قد انتبه لوجودها. كانت تفكر: أساسًا، كل هذه القصة تُسلّيه. فهو سعيد، وفخور إلى حدّ ما.

حين نهضت لتصحب إيما كي تبول في المقهى المجاور، سمعت أوليفييه الذي كان يناديها فالتفتت. كان يهرع نحوها قلقًا.

إلى أين تذهبين؟

بحركة من ذقنها أشارت إلى ابنتهما.

إيما بحاجة إلى الذهاب إلى المغسل.

آه، تنهد أوليفييه. ظننت أنك ذاهبة دون أن تقولي شيئًا.

هزت كتفيها.

لا، ولو.

في بيتهما، ما إن نام الطفلان، حتى كلمته عن الحرقة التي تعاني منها منذ الأمس.

قالت، هذا يعرقل بعض الشيء خطتي في ممارسة الحب معك كل يوم. ثم إني لا أستطيع أن أحول بيني وبين نفسي من التفكير في أنه لم يكن ينقص إلا أن تنقل إلي قذارة ما.

وهي تحدق في عينيه، أضافت: هل وضعت فعلًا واقيًا؟

قابل نظرتها بثبات، وطمأنها أن نعم.

قالت، إذن لن يكون ولاشك هذا شيئًا هامًا. مجرد صدفة. مجرد مصادفة غريبة.

كان ثمة سؤال يشغل رأسها.

ما هي مهنتها؟ أهي مهنة، هذه، مستشارة بلدية لمنطقة بانتان؟ رئيسة ال«هنّ يساوين هم EEE»؟ لا، هذه ليست مهنة. نظريًا، هي أستاذة.

خريجة المعهد العالي للمعلمين. قلتَ لي: ليست شخصًا عاديًا. إنها خريجة المعهد العالي للمعلمين. لو كنتَ تدري إلى أيّ حدّ لا يؤثر علي ذلك.

لم أستطع أن أقول لك ذلك. ليس على هذا النحو. أكاد أظنك أبي.

قلتَ لي: إنها ليست شخصًا عاديًا. إنها خريجة المعهد العالي للمعلمين.

إن كان ذلك صحيحًا، بالفعل، إن قلتَ ذلك على هذا النحو، فهذا مثير للشفقة.

حين كنتَ تعود متأخرًا في المساء، هل كنتَ معها؟

لابد أن هذا قد حصل مرة واحدة.

وكم مرة مارستما الحب؟

ضحك قليلًا: الحساب سهل، لقد قمت به أنت نفسك. هناك المرة الأولى، والمرة الأخيرة، وبينهما ثلاثة أسابيع.

(قالت له في المساء الأول: كيف يسعها أن تطلب منك أن تتركنا، كم مرة رأيتها، ست مرات، عشر مرات...)

كم؟

لكني لا أعرف ذلك، أنا.

أتيت على القول إن الحساب سهل عليك.

لو كنت مثلك، لقمت به هذا الحساب أصلًا، لكني عاجز عن القيام به. قومي به، أنت. عشر مرات؟

عشر مرات، في خمسة عشر يوم عمل، هذا يعني كل يوم تقريبًا.

إذن لا، أقل. إذن ليس عشر مرات.

الصور التي رفضتها دفعة واحدة (لا تقل لي شيئًا لا أريد أن أعرف أي شيء) تجعل من نفسها أكثر فأكثر حاضرة، لجوجة.

---

4 يمكن عند نطق جملة (هن يساوين هم) باللغة الفرنسية أن يتطابق مع نطق جملة (أجنحة تساوي البيض) باللغة الفرنسية أيضًا، ومن هنا النسبة إلى الطير أو الطيرية.

نظر إليها طبيب الجلدية الذي قررت في النهاية أن تستشيره كانت شديدة الانزعاج من الطبيبتين التوأم بلطف. كانت قد اتصلت بالمختبر الطبي لتعرف أولى نتائج التحليل. كان هناك جرثومة تثير الشك، وكانوا يقومون بزرعها لتحديد نوعها.

سألت جولييت، وبالتالي، لا يمكن أن يصاب به المرء إلا عن طريق الممارسة الجنسية؟ هل أنت متأكد؟

نعم بكل تأكيد. إن تأكد ذلك، يجب أن تُعلمي شركائك، كي يخضعوا أنفسهم للعلاج، هم أيضًا.

شركاءها. تمالكت نفسها عن إبداء دهشة ساخرة.

حين عاد أوليفييه مساء، كانت أمام التلفزيون، تشاهد تحقيقًا مصورًا عن الحرب الدائرة في العراق. جلس إلى جانبها ودون أن يوجه انتباهه إلى الشاشة أحاطت ذراعه كتفيها بحنان.

هل حسنٌ ما ترينه؟

قطعت الصوت، ودون أن تدير رأسها، عيناها تحدقان في الدبابات التي كانت تتقدم في ضواحي بغداد المدمّرة:

رأيت طبيب الجلدية، الذي اتصل بالمختبر. هناك جرثوم مريب، ربما كان من الأمراض التي تنتقل بالاتصال الجنسي. على أنه قد لا يكون هناك شيء، يجب زرع الجرثوم، وسنعرف بالأمر يوم الجمعة.

بقي أوليفييه صامتًا برهة.

قال، يبدو لي هذا مثيرًا للهوس.

نعم، إنه كذلك، هذا شيء لا يلتقط إلا عن طريق الوصال الجنسي قلتُ له إنك تعيش حكاية ما لكنك قلت لي إنك حميت نفسك. أجابني ربما حمى نفسه على نحو غير كاف. إجمالاً، إذا لم تكن قد استخدمت الواقي لكل شيء، لكل شيء إطلاقًا، فالاتصالات التناسلية والفموية، لن أقوم بشرح ذلك لك بالتفصيل، يكفي.

لم يجب . تنهد.

إذن، هذا ممكن.

دمدم: نعم، كما تقولين، نعم.

كان ثمة على الشاشة انفجار ما. نساء وأطفال كانوا يركضون، محاولين وضع أنفسهم في ملجأ. أحست كما لو أنّ ثمة حفرة هوائية في عمق بطنها.

ضحك قليلًا: لا أدري، إنه بالضبط أمر غير ممكن، فاحتمال أن أخونك مضروب باحتمال التقاط شيء ما...

فكرت، ها هو يقوم بالإحصاءات. كانت تشعر أنها لاتعرف شيئا فشيئا ما تقول بينما يقوم هو بالإحصاءات.

سألته من جديد شيئا من نوع: ولكن كيف أمكنك أن تفعل بي ذلك، كيف أمكنك ألا تحميني؟ قالت: قدرتك على ألا تشعر بنفسك مسؤولًا تذهلني. هذا يذكرني بك حين تترك السيارة مفتوحة طوال الليل في الشارع وتترك الراديو يُسرَق منها. لديك دوما سبب كاف. ليس ذلك خطؤك أبدًا.

تغير تعبير وجهه فجأة. امحت ابتسامته، وقست ملامح وجهه، تكاد أن تفزع منها. ثبت عليها نظرة مفاجئة عدوانية بصورة قاطعة.

آه، حسنًا، هذا يذكرك بهذا. تجدين أنني لم أشعر بنفسي مسؤولًا عن سرقة راديو السيارة. لكن نعم، تصوري، إنني أشعر بنفسي مسؤولًا. ثم، من ناحية أخرى، كانت هناك أسباب حقيقية جعلتني أنسى السيارة خارجًا تلك الليلة، لكن لننس ذلك. هل لديك أمثلة أخرى كهذا المثل عن مناسبات لم أكن خلالها أشعر بنفسي مسؤولًا؟

حاولت الإجابة، لكنه قطع كلامها.

لا تكفين عن تكرار مستمر لهذه الجملة البائسة التي قلتها لك: لقد حدث لي ذلك. لكنني قلت ذلك عفويًا، هل تريدين الحقيقة؟ إنني مسؤول كليًا عما حدث لي معها، لا بل مسؤول إلى أقصى حد، إن كنت تتمسكين بمعرفة ذلك. وشيء آخر تكررينه لنفسك بشكل مستمر: لقد استسلمت لأول إغراء، لم تكن لديك أدنى رغبة في خيانتي خلال عشر سنوات وفي أول فرصة، بم، حسنًا هذا أيضًا ليس صحيحًا. بالتأكيد نعم تعرضت لإغراءات.

تحت هذا الشلال من الكلام ترنحت قليلًا. كان يقول لها عكس كل ما سبق أن قاله لها حتى الآن، ولم تعد تعرف ما الذي عليها أن تفكره، لم تعد تفهم أي شيء. كانت تريد، خصوصًا، وقبل كل شيء، إيقاف هذا الدفق من العنف. توسلت. فخفف من غلوائه.

قال أوليفييه، على كل حال، يجب انتظار الجمعة، ربما لن يكون هناك شيء على الإطلاق.

مضى يوم الغد في غالاتيا نيتوورك بالنسبة إلى جولييت كما لو كان في الضباب. اتصل بها أوليفييه صباحًا لسبب عملي لا يعلمه إلا الله، السيارة، الضرائب، وأجابت بصورة متقطعة. سألها، ماشي الحال؟ أجابت، ليس على مايرام.

قضت فترة الغداء بحثًا في الأنترنيت عن معلومات حول الأمراض المعدية عن طريق الاتصال الجنسي، وحاولت عبثًا الاتصال بجان كريستوف. لكنه كان في حلقة دراسية بمدينة البندقية.

كانت في المساء في حالة بلغت من السوء حدًا أنها حملت يولاند، مربية الأطفال، على أن تقترح عليها الاهتمام بإنامة طفليها بدلًا عنها. قبلت مرتاحة وذهبت لتقبيل صغيرتها. أأنت مريضة يا أمي؟ ضمت طفلها الصغير إلى صدرها. أنت بلا حفاظ هذا المساء، لن تبول في الفراش؟ أنت كبير الآن. قال، لا، ولن آتي إلى سريرك.

ابتلعت ربعي حبة دواء مهدئ وقبل أن تستغرق في النوم أصغت إلى يولاند التي كانت تقرأ حكاية للطفلين. لم تسمع الباب يصفق لكن أوليفييه، بعيد قليل، دخل الغرفة وجلس بالقرب منها على السرير. تظاهرت بأنها نائمة، فقد كانت المهدئات تفعل فعلها، كانت مرتاحة، ولا تريد أن تسقط ثانية في الدراما. كانت تريد أن تنام فحسب، أن تذوب في النوم. طفق يبكي قربها بصوت عال هادفًا بوضوح إلى إيقاظها. حافظت على عينيها مغلقتين. حينئذ قال أحبك، وبكى بصوت أعلى، ومس ساقها. لم يعد بوسعها التظاهر. أمسكت ذراعه. لماذا تبكي؟ كرر، أحبك، ولا أريد أن تكوني تعيسة. لم أفكر إلا بهذا طوال اليوم. لم تقل شيئًا، بل أصغت. كانت تشعر فجأة بنفسها معافاة، ضمت نفسها إليه، وبقيا لحظة متحاضنين. ثم قبلها بلطف على عينيها. سأتركك تنامين. آسف أنني أيقظتك. أجابت، بوسعك أن توقظني متى شئت كي تقول لي إنك تحبني. بعد لحظة استغرقت في النوم.

استيقظت في الغداة مرتاحة، بعد ليلة هنيئة. للمرة الأولى منذ زمن طويل لم يأت أي طفل للالتصاق بها في سريرها، وحتى أوليفييه، وهو يخلد إلى النوم، لم يوقظها. وها هو الأمر يأتي في وقته، فقد كانا قد نويا الذهاب في المساء إلى المسرح. كانا قد سجلا، ككل سنة في شهر أيلول/ سبتمبر، اشتراكًا في مسرح الكوميدي فرانسيز. كان آخر عرض في الموسم مسرحية راسين، إستر.

عند ساعة الغداء، قررت المرور على المختبر. وهي تمشي على الرصيف، تذكرت، بصورة شديدة الوضوح، الإحساس الذي كابدته في ذات الوضع قبل عشرين سنة، حين ذهبت بحثًا عن نتائج الفحص الذي قامت به احتياطًا، بعد اغتصابها لماذا تفكر هذه الأيام دون توقف بحكاية الاغتصاب هذه؟ من حسن الحظ أن النتائج تلك المرة كانت سلبية ولكن بعد فترة من ذلك ظهر مرض الإيدز، الإيدز الذي وضع الجنس بمعنى ما في مكانه

الطبيعي، مسألة حياة وموت وكل الذين كانوا قد نسوا ذلك والذين جرؤوا مثلها على معالجة الجنس بخفة سوف يعاقبون، ولم يعد الرعب يغادرها خلال شهور. كانت قد بقيت زمنا طويلا قبل أن تعثر على الشجاعة لإجراء الاختبار، خوفا من العدالة القريبة، لا بسبب اغتصابها بل بسبب عشاقها العديدين، مقتنعة في العمق، شكرا أيتها القديسة أوفيرت، أن العقاب الإلهي سوف ينزل بها بسبب السهولة التي كانت عليها، فتاة ذات حياة شديدة السوء.

وهي تجتاز آخر الأمتار التي كانت تفصلها عن مركز التحليل الطبي، دهشت من ملاحظتها كم تختلف هذه المرة عن سابقتها. هذه المرة ، لو كانت مريضة، فلن يكون ذلك خطيئتها خطيئتها خطيئتها خطيئتها وبدا قلقها وقد خف إلى حد كبير. حين صارت نتائج الفحص بين يديها، فتحت عينيها على اتساعهما. كانت إيجابية إن أمكن القول. فقد التقطت جولييت لا قذارة واحدة بل ثلاث: فطر، والتهاب في المجاري البولية، وبكتيريا الالتهابات. اتصلت وقد أحست بالدوار قليلا بطبيب الجلدية الذي أكد لها ما أتت على قراءته وقال لها أن تمر على العيادة بأقرب ما يمكن كي تأخذ الوصفة الطبية بمضاد مزدوج للالتهابات. وعدته جولييت أن تمر في وقت متأخر من النهار.

للوهلة الأولى، عاشت رضا مضطربا من هذا المظهر الواضح، العيادي، للإساءة التي ارتكبت بحقها. لم يعد ثمة وسيلة للهرب: فهي الآن ضحية موضوعية، لا جدال فيها، في هذه القصة، وسيتوجب على أوليفييه أن يوافق على ذلك. ثم فجأة، خطرت في ذهنها فكرة أنه إذا لم يكن أوليفييه، خلافا لتأكيداته، قد استخدم الواقي، فيمكن كذلك أن تكون ف قد حملت منه. وأحست بنفسها وقد تثلجت.

حين عادت إلى المكتب استقرت أمام حاسوبها، ووجدت إميلا من أوليفييه:

من : أوليفييه ب

إلى: جولييت

مرسل: الخميس ١٩ حزيران/يونيو ٢٠٠٣ ١٤: ١٢

لدي الرغبة في أن أطلب منك العفو

وأن أطلب منك كذلك أن تكوني على ثقة،

لأننا لم نفقد بعضنا، ولأنه لازال لدينا الكثير من الأشياء التي يجب أن نتقاسمها، لأنه لا تزال هناك وستبقى ثمة براهين على الحب.

أوليفييه

بعد ذلك بقليل اتصل بها على الهاتف الأرضي.

قال، أحاول الاتصال بك بلا توقف، إذن؟

أجابت، وصلك لتوي. مررت على المختبر. النتيجة إيجابية. إذن يجب أن تجري فحصًا لك وأن تقوم هي أيضًا بمعالجة نفسها.

كان ثمة لحظة صمت على الطرف الآخر من الخط.

حسنًا، يجب تناول مضادات للالتهاب، أليس كذلك؟

في اللحظة نفسها، اقترب من مكتبها بيير إيف، أحد المعلوماتيين الذين يعملون معها في مشروع ماجلان، وبقي واقفًا متراجعًا قليلًا ومنتظرًا أن تنهي مكالمتها. أوجزت الحديث وأغلقت الهاتف بسرعة.

بعد خمس دقائق من ذلك، وبعد أن أجابت على أسئلة بيير إيف، اتصلت بأوليفييه:

أريد أن أقول لك لا حاجة بك كي تسرع وتتصل برفيقتك في اللعب وأن تحدثها عن ذلك، انتظر كي أعطيك الاسم الصحيح للشيء.

قضي الأمر، سبق واتصلت بها.

من جديد كابدت إحساسًا بفراغ هوائي في المعدة.

وماذا قلت لها، أنت لا تعرف حتى ما هو الموضوع.

قلت لها إنك تعانين من مرض ينتقل عن طريق الاتصال الجنسي، وأرسلت لها اسم الشيء في رسالة هاتفية. كان يجب أن أقول لها، لأنها سترى الطبيب النسائي هذا المساء.

ثم وبسرعة فائقة تابع.

هل ستذهب إلى المسرح كما اتفقنا؟

تنهدت: نعم، بالتأكيد.

من: جولييت

إلى: أوليفييه ب

مرسل: الخميس ١٩ حزيران/يونيو ٢٠٠٣ ٠٨: ١٥

الموضوع: شيء

اسم الشيء UREAPLASMA UREALYTICUM وهو من نوع mycoplasme.

من: جولييت

إلى: أوليفييه ب

مرسل: الخميس ١٩ حزيران/يونيو ٢٠٠٣ ٢١: ١٥

ما أوده هو أن ترسل لها اسم الشيء كي تقوم بمعالجة نفسها، وأن تطلب منها أن تختفي من حياتك ومن حياتي، بالمناسبة نفسها.

من: أوليفييه ب

إلى: جولييت

مرسل: الخميس ١٩ حزيران/يونيو ٢٠٠٢ ٢٨: ١٥

الموضوع: جواب: الشيء

أرسلت لها اسم الشيء

وكررت القول إننا نعيش بصورة سيئة، أنت وأنا، وأنني أريد أن أضع حدًا لاتصالاتنا، حتى الهاتفية منها، كي أعيد بناء علاقتي معك.

من: جولييت

إلى: أوليفييه ب

مرسل: الخميس ١٩ حزيران/يونيو ٢٠٠٢ ٤٧: ١٥

الموضوع: جواب، جواب: الشيء

شكرًا

قبلاتي

في الساعة الرابعة بعد الظهر، دخلت إلى اجتماع حول مشروع ماجلان. لم تكن القضية تبدو بالجودة التي كانوا يظنونها من الوهلة الأولى. كان هناك في الظاهر منافسون جادون يعملون على المشروع وبدون أن ينتظروا جواب غالاتيا نيتوورك على استدراج العروض، الذي كانت جولييت تعمل عليه منذ عدة أسابيع، كان الزبائن قد غيروا مشروعهم تغييرًا جوهريًا. أقسامٌ كاملة من الوظيفة كانت قد أُلغيت، ولاسيما القسم الذي كانت واثقة من تقديمه للحلول الأكثر ملاءمة له. وظائف أخرى هامة، بالمقابل، كانت قد أُضيفت، وهو ما يعني أن أكثر من نصف العمل يجب أن يعاد من جديد. كان الرئيس التجاري للمشروع، نذ جولييت في المشروع، قد أكد للزبائن أن ذلك لا يسبب أية مشكلة وأن جوابًا جديدًا سوف يُحرَّر في أقرب وقت ممكن. هاجمته جولييت بعنف ودام الاجتماع زمنًا أطول مما هو متوقع. خرجت من الاجتماع شديدة الغضب. كان يجب أن تنطلق بسرعة إلى المسرح، فليس لديها الوقت للمرور على طبيب الجلد كي تأخذ منه الوصفة الطبية.

استعجلت الوصول كثيرًا إلى درجة أنها بلغت ساحة كوليت قبل ساعة من الموعد. جلست في مقهى الأعمدة، وشربت قدحين متتاليين من الويسكي، ودخنت عدة سجائر. أيًا كانت الطريقة التي ستنتهي بها هذه الحكاية، كان الخطر يتجلى في خروجها منها مدمنة على الكحول وعلى الأدوية بقية حياتها. ولسوف تجد نفسها سعيدة إن تلافت الإصابة بسرطان الرئة. الغريب مع ذلك أن النادل الذي جاء يأخذ طلبها لم يكن

يبدو عليه أنه يرى في مواجهته حطامًا. على العكس، كان يستعجل، ويناديها «يا آنسة»، ويمزح معها. أحسن ذلك إليها. ألقت نظرة على نفسها في المرآة التي كانت تغطي الجدار وطمأنتها صورتها قليلًا. لاييأس. لم تكن في أفضل حالاتها، بالطبع، وكان من الممكن نظرًا للظروف أن تكون أسوأ.

تبدأ المسرحية في الساعة ٣٠ ر٢٠. عند الساعة ٢٠ نهضت، ودفعت ثمن ما استهلكته واجتازت الساحة. كان أوليفييه ينتظرها مع بطاقات الدخول في يهو المسرح. دخلا قاعة ريشيليو وبلغا مكانيهما في المقدمة. قادها أوليفييه ممسكًا بذراعها وكانت مضطربة على نحو غريب. كل اتصال مادي به يكتسب منذ بعض الوقت دلالة جديدة. أو على كل حال ضاعت منذ زمن طويل.

لا أعرف شيئًا عن هذه المسرحية، لم يكن لدي حتى الوقت لأقرأ المقالات النقدية. وأنت؟

لا أعرف المسرحية أيضًا، أعرف أنها حكاية توراتية.

تحرك أوليفييه: كان علينا أن نشتري البرنامج، لن نفهم شيئًا.

كانت جولييت مغتاظة.

لا بد أن نتوصل إلى فهمها، مع ذلك. لم ندرس في معهد المعلمين العالي لكننا لسنا بسبب ذلك معتوهين.

ألقى أوليفييه عليها نظرة جانبية، واستغرق في مقعده ولم ينبس بكلمة طوال العرض المسرحي. خرجا من المسرح متباعدين كما لو كان كل منهما لا يعرف الآخر.

بعيد ذلك، وقد عادا إلى بيتهما، هادئين، أعادا الكلام في المطبخ عن القذارات الجنسية تلك كانت الكلمات التي استخدمتها جولييت.

قالت لأوليفييه: الآن بالطبع، سوف تقول لك رفيقتك إنها لا تشكو من شيء.

أجاب، لقد فعلت ذلك. قالت لي إن ذلك مستحيل، وأنها لم تضاجع رجلًا منذ سنوات.

أكيد. لو كان ذلك صحيحًا، فلا بد لي من أن أعلن عن ذلك في روما. سأكون أول من التقط مرضًا معديًا بالحبل بلا دنس.

من الغريب أو أوليفييه لم يكن يولي أية مصداقية لتصريحات ف، لكنه لا يبدو أيضًا أنه يلومها. كان ينقل كلامها كما كان يمكن أن ينقل كلمة طفل، مع ضرب من التسامح الحنون.

أمام مثل هذه النية السيئة، جرؤت على طرح السؤال الذي كان يتأكلها طوال ما بعد الظهيرة: لكن كيف كنت تعرف أنها ستذهب لرؤية طبيبها

النسائي هذا المساء؟

سبق أن قلت لها إن هناك شك في مرض معد جنسيًا.

ولكن متى؟ كنت أظنك قلت لها أن تكف عن الاتصال بك.

نعم.

واتصلت بك؟

نعم.

وتكلمت معها؟

نعم.

متى كان ذلك؟

لم أعد أعرف، قبل يومين، ثلاثة أيام.

ما الذي قلتماه لبعضكما؟

عن أشياء تخص العمل، ثم تحدثت عن حفلة بيتها الجديد فقد انتقلت لتوها إلى شقتها الجديدة . كانت تريد أن تحدثني عن الترتيبات التي قامت بها، وعن ديكور الشقة، وعن كل ذلك، هل ترين.

إنها ترى تمامًا. لم أعد أحتمل ذلك. أتهالك بهدوء إلى جانبك وأنت تستمر في اللعب معها. لماذا لم تقل لي ذلك؟

لم يكن لذلك أية أهمية.

في الليلة التالية رأت حلفا، كرة أرضية مكسرة لم تعد القارات عليها في مكانها، كانت ولاشك في جروتلاند لكن جروتلاند لم تعد تؤلف جزءا من الشمال الكبير كما أن حدودها لا تشبه أي شيء.

عند الصباح تواجدت في مكتبها، تستعيد من نقطة الصفر مشروع ماجلان.

حوالي الساعة ١١ رن الهاتف الموجود على مكتبها وصوت نسائي طلب أن يتكلم معها.

أجابت، هذا أنا.

قدمت المرأة على الطرف الآخر من الخط نفسها كما لوأنها تفترض معرفة جولييت بها، لكن ما سمعته لم يذكرها بشيء. فكرت بعضو من الفريق المكلف بمشروع ماجلان لدى المنشأة الزيونة، التقتها مرة ولم تحفظ اسمها.

تابعت صاحبة الصوت، لا أدري تمامًا كيف أقدم نفسي، الأمر محرج قليلًا، أنا صديقة أوليفييه.

قالت جولييت، آه. حسنًا. أعطني رقم هاتفك، سوف أتصل بك من تلفوني الجوال، فهنا أنا في مكتبي ولا أستطيع الكلام، فأنا في مكتب

جماعي.

كرهت صوتها على الفور. أكثر من صوتها، لهجتها. شديدة التهذيب، مزيفة التواضع، نائحة قليلًا. لكنها بعد أقل من دقيقة من ذلك، وهي تقف في الباحة، طلبت الرقم الذي كانت قد سجلته على ورقة صغيرة. لم تنتظر معرفة ماذا كانت الأخرى تريد أن تقول لها. بدلًا من ذلك، طفقت في الكلام، وهي تنظر إلى الديكور المحيط بها كما لو كانت تراه للمرة الأولى. الطاولات الخشبية والفولاذية، مع كراسيها المتناسقة معها. والبناء الزجاجي الذي يؤوي الباحة، والمؤطَّر من قبل المهندس المعماري فيلموت.

قالت، لا أدري ما الذي قاله لك أوليفييه على وجه الدقة حول علاقتنا، ولا ما استخلصته أنت من ذلك، لكننا لا نزال متحابين اليوم هو وأنا. ثم إننا نمارس الحب على الدوام. وإلا لما كنتُ التقطت هذه القذارة.

أجابت الأخرى، أعرف. لم يقل لي العكس.

حجارة الباحة، والباب المفتوح على الكافيتريا وموظفو التسويق الذين يدخلون الباحة.

قالت جولييت، لا أعرف عمرك، ما عمرك في الواقع؟

ثلاثة وثلاثون سنة.

دهشت جولييت. كان أوليفييه قد قال لها إن ف كانت أكثر شبابًا منها بكثير، وكان يتحدث عنها كما لو كان يتحدث عن فتاة لا تزال تقريبًا طالبة. استخلصت من قوله أنه لابد أن عمر ف يبلغ حوالي خمسة وعشرين عامًا، وفي أقصى تقدير ثمانية وعشرين عامًا. لكن مفهوم الشباب في العالم السياسي يتجاوز بصورة واسعة المعايير المعتادة. أحست بقدر من الحسد وهي تتذكر كيف أنها هي نفسها كانت تشعر بنفسها في الثلاثين من عمرها عجوزًا. كان ذلك قبل أن تلتقي بأوليفييه على وجه الدقة، حين كانت على وشك الخروج من النفق الأسود الذي أغرقها فيه اغتصابها وكان لديها الشعور بأن حياتها قد انتهت، قبل أن تبدأ.

واستأنفت.

ثلاثة وثلاثون عامًا، حسنًا، لست في الثامنة عشر عامًا من عمرك، لست فتاة شابة كثيرًا، لديك مع ذلك، بصورة طبيعية، فكرة عن المخاطر التي تواجهينها بانطلاقك في مغامرة مع رجل متزوج.

أجابت الأخرى، أنت تخدعين نفسك. ليست هذه عادتي على الإطلاق.

تنهدت جولييت.

لم أكن أتكلم بالضرورة نتيجة تجارب شخصية. بل بالأحرى نتيجة خبرة ما في الحياة. وحتى لو لم يسبق لي أن عشتها أنا نفسي، يكفي فتح بعض

الكتب. تلك حالتك كما أظن.

أجابت ف دون أن تتوقف عند المكر، أريد تمامًا أن أؤدي دور الفاتنة المرعبة إن كنت تصرين على ذلك، لكن الأمور لم تجر على هذا النحو. هو الذي جاء يبحث عني، لو تعلمين.

كانت لهجتها حاسمة، لهجة امرأة تضبط نفسها لكنها لا تترك أحدًا يعتدي عليها. فكرت جولييت، لسوف تقول لي خلال ثانتين إن لديها شهود على ما تقول. خطرت لها صورة صدام سيارتين، وتقرير عن الصدام بالتراضي، وأن السائقتين تتواجهان بالقرب من السيارة المتضرّرة. سوى أن علاقتها الزوجية التي كانت موضوع الحديث، علاقتها الزوجية التي تقلصت إلى شظايا صغيرة من صفائح الحديد، هي التي تشوّهت بصورة جادة.

قالت كي تقطع عليها الحديث، لا أشك في ذلك. لاشك أن أوليفييه في هذه الحكاية قد ارتكب أخطاء في القيادة، لكن مسألة المآخذ في حادث اصطدام سيارتين كانت تبدو لها هنا ثانوية بوجه خاص. لا أشك في ذلك، لابد من وجود اثنين كي تعاش قصة حب. ولكن لماذا لا تتركيه وشأنه الآن؟ ألم يطلب منك ألا تتصلي به، أم لا؟

طلب إلي ألا أتصل به اليوم، لم يقل ألا أتصل به بصورة عامة.

سكتت جولييت برهة، تبتلع خلالها المعلومة. إما أنها هي التي فهمت خطأ، أو أن أوليفييه لم يكن شديد الوضوح.

إذن لماذا اتصلت به أيضًا قبل قليل، لماذا تستمرين في إرسال الرسائل له؟

لم يطلب مني أبدًا ألا أرسل له رسائل.

توحلت المحادثة. حين لم تعد تعرف ماذا تقول قررت جولييت أن تسألها سبب اتصالها.

أجابت، أوليفييه تعيس. وأنا أحبه بما يكفي كي أقبل أن يبقى معك.

قالت جولييت، هذا كرم واسع منك.

لكن دعيه يستمر في رؤيتي.

لم يطلب مني ذلك. وأنت لا تتركين لنا حقًا هذه الإمكانية، كما أظن. حين نذهب إلى السينما مثلًا تنتابك نوبة عصبية.

قالت، هذا لا علاقة له بذلك، كنت مريضة ذلك اليوم.

دخل بيسينياك، الرئيس التجاري للمشروع، الباحة وهو في نقاش حاد مع أحد زملائه. لجأت جولييت إلى البهو.

سلّمْ غالاتيا نيتوورك الفخم.

زاوية الدهليز وراء المغاسل.

قالت ف، لا أريد لقصتي مع أوليفييه أن تنتهي.

أجابت جولييت، وأنا أيضًا، لا أريد أن تنتهي قصتي مع أوليفييه

.

منذ كم من الوقت يدوم هذا النقاش؟

كانت جالسة في الوقت الحاضر على درجات السلم.

قالت جولييت، لكنه ليس مربوطًا إلى قدم سريري، كما تعلمين. إنه يفعل ما يشاء. لا يمكن القول إني أراقبه كثيرًا.

اللوحات الكبرى المعاصرة المعلقة على جدران البهو، وباب الكافيتيريا المفتوح. كل عام، يشتري رئيس مجلس إدارة غالاتيا نيتوورك ومديرها العام، مادينييه الشهير، لوحة فنٍّ تجريدي يعلقها في موضع الشرف من البهو. لابد أنه يجد في ذلك ميزة بمفردات الحسم الضريبي. لم تكن جولييت قد نظرت إليها جيدًا لكنها وهي تنعم النظر فيها بدا لها أنها تميز بوضوح وجهًا في الزاوية السفلى اليمينية من اللوحة. كان يحدق فيها بعينين جاحظتين.

اسمعي، أنت عاشقة، تعرفين أوليفييه منذ شهر، لنكن عقلاء، إنه ليس بالنسبة إليك إلا واحدًا من الإمكانات، سوف تعشقين شخصًا آخر من جديد خلال ستة أشهر، بالنسبة له وبالنسبة إلي، إنها حياتنا، عشر سنوات، وطفلان، دعينا بسلام مادام يطلب منكِ ذلك. بوسعك أن تعيشي ألف قصة حب.

قسا صوت ف الخافت النائح.

ولكن الزيجات. الزيجات الخرائية كزواجكما. هناك آلاف منها، أيضًا.

مر وقت طويل. كان الوجه يذوب من جديد في اللوحة، ولم تعد جولييت ترى سوى كتل ضخمة ملونة تتزايد ضبابيتها، وسقطت عدة قطرات على يدها.

حسنًا، أعتقد أنني سوف أتوقف هنا، سوف أغلق الهاتف، فلدي عمل.

بعد خمسة عشر دقيقة، أو ساعة، أو ساعتين من ذلك، اتصلت ف من جديد، وهذه المرة على الجوال الذي لم يخطر في ذهن جولييت أن تخفي رقمه. كانت جولييت خلال ذلك الوقت، وهي البطيئة في ما عليها أن تقول، تفكر بكلّ ما كانت قد نسيت قوله لها.

قطعت كلامها منذ البداية.

اسمعي، ما أقترحه عليك هو أن تكفي عن الاتصال به. وإذا كانت قصتك بهذه الأهمية بالنسبة إليه، إذا كانت حيوية، واستثنائية، ولا تقاوم، فسوف ينتهي إلى العودة إليك، مرغمًا. ولكن دعيه يفكر، ويتخذ قراره بنفسه.

قاطعتها الأخرى. كان صوتها قد تغير منذ الاتصال السابق. كان أكثر حدة، وسريعًا، ومضطرًا تقريبًا.

قالت، هناك أشياء لا تعرفينها ولاشك، ويجب أن تعرفيها. هل قال لكِ أوليفييه أنه جاء إلى بيتي قبل ثلاثة أيام، وأننا مارسنا الحب، وأنه قال لي إنه يحبني؟

قالت جولييت، لا، بالفعل لا، لم يقل لي ذلك.

إذن ربما يجب أن تعلمي ذلك. أفهم أن يجرحك هذا، ولكن.

قالت جولييت، بالطبع يجرحني ذلك، ما الذي تريدينه على وجه الدقة؟

كانت تدور على نفسها تحت القبة. وكانت يداها ترتجفان.

هل تريدين أن أقرف منه كي ألقي به وأن تستعيدي شظاياه، أهذا ما تريدين؟

أجابت ف، لا، على الإطلاق. لكن.

قاطعتها جولييت، ربما سوف نتوقف هنا، إذن، سوف أتصل بأوليفييه وأدعه يعلل أمره لي، ذلك أولى.

كان موظفو غالاتيا نيتوورك قد بدأوا في الخروج في جماعات صغيرة لتناول الغذاء. أغلقت جولييت الهاتف، وخرجت إلى الشارع واتصلت بأوليفييه. كانت على حافة أزمة عصبية، تركض تقريبًا بحثًا عن زاوية هادئة وتصرخ على الهاتف كي تتغلب على صخب السيارات. على طرف الخط الآخر كان أوليفييه يصرخ أيضًا. صرخ، هذا ليس صحيحًا، هذا ليس صحيحًا أقسم لكِ إنها تقول أي كلام.

صرخ أوليفييه، أقسم لكِ يا جولييت، لا أعرف لماذا تتصل بكِ كي تقول لكِ هذا، إنها تفقد عقلها. بمعنى ما إنه خبر جيد، وهو أنها تريد أن ينتهي ذلك هي أيضًا، لا أرى تفسيرًا آخر. ثقي بي، سينتهي ذلك قريبًا، أقسم لكِ.

مشت جولييت حتى الحديقة بالقرب من كنيسة القديس أوغستين. ما أكثر ما كانت شوارع باريس صاخبة. كان الضجيج من حولها يصم الآذان، لكنه لم يكن شيئًا بالمقارنة مع الفوضى العاصفة التي كانت تدور في رأسها.

وهي جالسة على المقعد قررت الاتصال بفلورانس.

قالت، هناك واحد من ثلاثتنا مجنون. هي، أو هو أو أنا. أو ربما اثنان من الثلاثة، هذا ممكن.

قالت لها فلو، تعالي فورًا، اتركي كل شيء وتعالي إلى البيت. أنتظرك.

سأمرّ على طبيب الجلد لآخذ الوصفة لشراء مضادات الالتهاب وآتي.

اتصل بها أوليفييه بعد ذلك بقليل، كان قلقًا، لم يتمكن من العثور عليها

في المكتب، ويريد أن يعرف أين هي. انتهت إلى أن تقول له أين هي وبعد لحظة من ذلك حضر إليها. جلسا كلاهما على رصيف المقهى. كانت تصغي إليه، بوجه مقفل.

قال، صحيح، مارست الحب معها يوم الثلاثاء، توسلت إلي طوال النهار كي آتي لرؤية شقتها الجديدة، عندما تتصل لا أستطيع أن أغلق في وجهها، لا يمكنني أن أكون عنيفا. كنت أظن أن ذلك ليس مهما، وأنك لن تعلمين ذلك أبدا. لكني لم أقل لها أحبك. قلت لها ذلك، من قبل، ولكني لم أقل لها خلال الأيام الأخيرة. قلت لها إن كنت قد قلت لك إنني أحبك، فهذا يعني أنني سأترك زوجتي وليست هذه حالتي.

الثلاثاء. اليوم الذي كانت فيه عند طبيب الجلدية. بينما كانت تأخذ علما بأنها التقطت هذا الشيء، ويكلمها طبيب الجلدية عن «شركائها»، كان هو يقوم بمضاجعتها. وحين عاد من عندها مساء إنما صبّ عدوانيته عليها.

قال، لا أفهم لماذا تفعل ذلك. المرحلة الثانية هي أنها سوف ترسل لك الرسالة التي كتبتها لها من أوبينيي.

ما الذي كتبه لها في هذه الرسالة حتى يمتلكه مثل هذا الخوف؟

قالت جولييت، تستطيع أن ترسلها لي، لن أقرأها.

تابع أوليفييه، كانت أمام المسرح أمس مساء، كانت تنتظرنا عند الخروج كي تراك. كنت قد قضيت على الهاتف معها ثلاث ساعات بعد الظهر، أصابتها النوبة ذاتها التي أصابتها يوم ذهابنا إلى السينما.

بقيت جولييت صامتة وقتا طويلا قبل أن تعزم على التعليق.

لديها مشكلة مع السينما ومع المسرح، هذه المرأة. غريب. لا يزعجها أن نمارس الحب، ولكنها لا تحب كما يبدو أن نذهب معا للمسرح.

يضحك، مطمئنا لرؤيته أن جولييت كانت تستعيد بالتدريج حالتها الطبيعية. استطردت:

وإذن، ماذا كان حكمها؟ لم نكن في أفضل حالاتنا حين خرجنا من المسرح.

كان أوليفييه لا يزال يبتسم، متسليا.

لا، قالت لي إننا لسنا متلائمين مع بعضنا. وأنها ليست مذهولة على الإطلاق بجمالك.

هزت جولييت رأسها.

وهل أجبتها؟

هز كتفيه. لاشيء، بالطبع. لم أعتبر ذلك شيئا آخر سوى حديث امرأة غيورة.

اعترف لجولييت أنه ذات مساء وهو يخرج من بيت ف عائدًا إلى البيت،
كانت قد أرسلت له رسالة هاتفية:

«أود لو أنها تموت.»

ذلك اليوم أيضًا، لم يقم بالرد عليها.

غداة ذلك اليوم، السبت، كان موعد يوم التدوات الشهير في بوردو. كان أوليفييه قد طلب إلى زميل له أن يحل محله يوم الأحد وقرر أن يقوم بالرحلة ذهابًا وإيابًا نهار السبت. حين علمت بالأمر، اتصلت به ف عدة مرات، وتركت له عشرات الرسائل التي لم يرد عليها. اكتفى بأن يرسل لها رسالة مكتوبة يقول لها فيها إن عليها ألا تقلق، وأنه سيكون حاضرًا يوم السبت بعد الظهر كما هو منتظر ليدير المائدة المستديرة التي تشارك فيها.

لم يناما، جولييت وهو، كثيرًا هذه الليلة. رغم المحاولات العديدة، لم تنجح جولييت بإقناع أوليفييه أن يقول إنه مريض وأن يلغي بكل بساطة رحلته. عند الصباح قرر مع ذلك احتياطًا تغيير موعد الذهاب وألا يأخذ قطار الساعة ٠٩ ر٩ كما كان متوقعًا. تعرف فيكتوار أن مكانه محجوز مع سواه من الصحفيين وكان على ثقة من أنها كانت تنتظره بالتأكيد على رصيف المحطة.

دقق أوليفييه في ساعة القطار التالي على الأنترنيت ثم هيأ لنفسيهما القهوة وانتظرا وعيناهما تحدق في ساعة المطبخ. عند الساعة ١٢ ر ٩ ، رنّ هاتف أوليفييه. رفع سماعة الهاتف. كانت ف قد جالت في القطار كله وتأكدت من غيابه. كانت في أشد الغضب.

لم يضع أوليفييه مكبر الصوت لكنها كانت تصرخ ولاشك لأن جولييت التي كانت على مسافة متر سمعت صوتًا متقطعًا، دون أن تتمكن من تمييز كلماته. كان أوليفييه من ناحيته يتكلم بهدوء وبلطف. كانت تلك هي المرة الأولى التي كانت جولييت تسمعه يخاطبها. أثر ذلك عليها تأثيرًا غريبًا، بغيظًا تمامًا.

غيرت بطاقة سفري، أنا في البيت..نعم، بالتأكيد، سوف أكون هناك، لا تقلقي... أنا مع جولييت أتناول فنجان قهوة... لا، لن تأتي معي.

ثم كان هناك صمت.

أشارت إلى أوليفييه إشارة استفهام. على الطرف الآخر من الخط كان يراد تقديم التفسيرات. كان أوليفييع يتلعثم، منحرف المزاج.

اسمع، لقد حدثت أشياء عنيفة جدًا، أمس...

نظرت إليه وهو يرتبك، لا يقول الكلمات التي ودت جولييت من ناحيتها أن تسمعها. كفى، مثلًا، لا أريد أبدًا أن أراكِ، كفّي عن الاتصال بي، جُملٌ مثل هذه كان بوسعها أن تهمس له بالعشرات منها لو أنه افتقر إلى الوحي، جُملٌ شديدة البساطة، يمكنها أن تحلّ كل شيء. لماذا كانت صعبة على

النطق هكذا؟

انتهى إلى إغلاق الهاتف، ثم نهض للذهاب إلى المحطة. استوقفته من ذراعه، اتصل بي من هناك. ضمها بحنان إليه، لا تقلقي، لا يمكن أن يحدث أي شيء، سوف يكون في القاعة أربعمائة شخص.

حين اتصلت به جولييت بعد ذلك بقليل، كان في القطار. وخطرت في ذهنها فكرة عابرة.

لم تكن تعلم أنك ستأخذ القطار هذا المساء، أليس كذلك؟ تظن أنك ستقضي الليلة هناك.

بلى، هي تعلم ذلك، بالطبع تعلم ذلك.

متى، كيف كان قد قال لها ذلك؟ سرّ. لكن جولييت بدأت الاعتياد على ألا تطرح الكثير من الأسئلة وأن تكتفي بالملح منها.

أعرف أنها سوف تحاول أن تجعلك تفوت قطارك. أعرف ذلك، سوف تفعل كل شيء كي تبقى مضطرًا للبقاء الليلة في بوردو، أرجوك، لا تدع نفسك تخدع.

لا تقلقي، ليس هناك أي خطر، وعلى كل حال، لدي أصلًا رسالة شتائم على هاتفي.

ماذا تقول؟

أوه... أنتما زوجان يتبيران الغثيان فعلًا، هذا النوع من الكلمات..

في المساء، كان عيد الموسيقا. خرجت جولييت مع طفليها لملاقاة فلورنس ويول عند رصيف المقهى. بعد ذلك بقليل انضم إليهم ستيفان وسيلفيا. منذ الصباح لم تكن جولييت قد تلقت أي خبر من أوليفييه. اتصلت به حوالي الساعة الثامنة مساء لتقول له أين تتواجد. عند هذه الساعة من المنتظر أن يكون في القطار. لكن جواله كان مقطوعًا على الدوام. أحست بالقلق يتزايد.

همهمت إلى فلورنس، ليس هذا طبيعيًا. لو كان في القطار، لكان أرسل لي رسالة هاتفية.

بالقرب منهم كانت هناك فرقتان تعزفان أغنيات روللينج ستون ضمن خليط لا يطاق من الأصوات. كان يوهان يتعلق بساقها وهو يبكي وكانت إيما أيضًا مرهقة. قررت العودة. ما إن أغلقت الباب حتى اتصل بها أوليفييه. كان يبحث عنهم، هي والطفلين. كان يبدو عليه الارتياح إذ وجدهم في البيت وبعد عدة لحظات كانا يجلسان كلاهما في صالون البيت. قال، إن قطاره كان ببساطة قد تأخر.

قض عليها، الموائد المستديرة التي كانت تتوالى، و ف التي كانت جالسة

إلى جانبه، والتي اعتذرت منه.

اعتذرت عن ماذا؟

عن الرسالة التي تركتها لي على الهاتف صباحا، كما أظن.

جعلها تسمع الرسالة. كان ذلك من نوع:

أتمنى لك حظًا طيبًا مع زوجتك الطيبة، فقد أغلقت عليك بالمفتاح، على الأقل كنت مفيدة في التقريب بينكما، أتمنى لك أن تعثر خلال خمس أو عشر سنوات على حبّ كذلك الذي محضتك إياه، وعلى الحرية وعلى الثقة.

فكرت جولييت، هكذا إذن.

أجابها، بالطبع، أنه يسامحها، وأن القضية ليست هنا.

ثم، كما هو منتظر، كانت ف قد حاولت بكل الوسائل منعه من العودة إلى باريس.

قال أوليفييه، كان ذلك مزعجًا. لحقت بي إلى المحطة، وكانت تبكي، واشترت بطاقة آلية وصعدت معي في القطار. سافرت وهي بين ذراعي. كانت تلك هي الوسيلة الوحيدة لمنعها من الصراخ. عند الوصول إلى باريس، وجب عليّ أن أهرب راكضًا، حرفيًا، ثم توقفت وانتظرتُها. حين وصلت إلى مكاني، تعلقت بي في الوقت الذي بدأت فيه في الركض. كان ذلك مزعجًا. تساءل، ولكن ما الذي بوسعي أن أفعله؟ لا أستطيع مع ذلك تعنيفها ماديًا.

عند هذه اللحظة بدأ هاتفه بالرنين. أمسك برأسه بين يديه.

قال، إنها لا تتوقف، لم أعد أحتمل.

استمر رنين الهاتف، بلا تعب، وتوقف لحظة حين انتقل الاتصال إلى علبة الرسائل، ثم استؤنف من جديد. وضع أوليفييه هاتفه في وضع الصمت. لكنه وقد وضعه على الطاولة، كان يتحرك بقفزات مثل حيوان وقع في الشرك، رافضًا إرغامه على الصمت. استمر في إصدار ضجيج أصم، غاضب ومهدد. انتهى الأمر بأوليفييه إلى إطفائه مرة واحدة. لكن هاتف جولييت حل محله على الفور.

قال أوليفييه، إنها هي. لا تردي، أرجوك.

أحست جولييت بنفسها مضغوطة أكثر فأكثر. من الواضح أنها بعد محادثتهما الهاتفية، كانت ف قد سجلت رقمها في ذاكرة التلفون. كان أوليفييه ينظر إليها، قلقًا.

جولييت، أقسم لك أنني خلال كل الرحلة كنت أفكر بك، أمسك بها بين ذراعي وأنا أفكر أن بوسعي أن أقول لك الحقيقة. كان يجب أن أهدئ

روعها، لم يكن بوسعي أن أفعل خلاف ذلك.

كما أفترض.

أخذ نفسًا عميقًا.

هناك شيء آخر يجب أن تعرفيه، بعد ذلك سينتهي كل شيء، بعد ذلك سيكون هذا كل شيء. لقد جاءت إلى أوبينيي.

مساء وصولي اتصلت بي وقالت لي إنني على الطريق صرخت لا كنت في طريقي إلى وضع يوهان في السرير. سألني لماذا تصرخ يا أبي؟ كان ذلك كابوسًا. وصلت بعد ذلك، اتصلت بي كما طلبت منك، كان ذلك مزعجًا، هل تذكرين، كنت لاهثًا، قضيت خمسين دقيقة بحثًا عن تنفسي، كانت في الحديقة، لم أكن أريد اختصار محادثتنا، كنت أخشى أن تدخل في كل لحظة إلى البيت، أن تعلمي أنها كانت هنا.

كانت جولييت تتذكر، نعم. كانت لا تزال تحت تأثير صدمة ما حدث في القطار، كانت قد هتفت لتلقي تحية المساء على يوهان، كان قد طلب إليها أن تتصل به فيما بعد، وقد قضى وقتًا طويلًا قبل أن يجيب، فقد كان لاهثًا.

قال، ماذا كان بوسعي أن أفعل؟ لففتها بغطاء وحملتها إلى الغرفة في الأعلى، مارسنا الحب، كانت تريد النوم معي في غرفتنا، قلت لها إن ذلك مستحيل، وأن يوهان سوف يأتي إلى سريرنا، وأنني لا أريد أن يجدها معي. كانت تقول إن ذلك ليس خطيرًا، وأن الأطفال يستطيعون فهم كل شيء. كانت تريد أن تقضي ليلة معي، كان ذلك هوسها. في الصباح ذهبت باكرًا إلى البحر قبل أن تستيقظ، وضعت يوهان في السيارة وذهبت مثل اللص، بعد ذلك اتصلت بها وطلبت منها أن تغادر قبل عودتي.

قال، ماذا تريدين أن أفعل.

تقلص جسد جولييت كله، واقشعر جلدها من فكرة أن يعثر ابنها الصغير على امرأة أخرى في سرير أبيه. تتخيل يوهان وهو لا يزال نصف نائم، وقد وصل من غرفته بلا ضجة، يتكردح على ساقيه الصغيرين، يا لأربنها الصغير، يرفع الغطاء بحركة آلية، كما فعل ذلك العديد من المرات، ثم نظرته المشدوهة التي تكبر وهو يكتشف جسد امرأة مجهولة، جسدًا ليس جسد أمه، عاريًا بالطبع، ولم لا يكون فرجها، إن كانت تنام كالجنين في بطن أمه، فرجها على مستوى عينيه، في حين أنها هي، جولييت، تعتني دومًا منذ أن صار لها أطفال بأن تلبس سروالًا كي تنام. أو ما هو أسوأ، كانت الظلمة أشد من جعله ينتبه إلى وجود شيء غريب، أو أنه احتفظ بعينيه مغلقتين، يتسلق السرير دون أن يطرح أي سؤال، إنه ملك التسلق

رجلها الصغير، يرتفع، و..هوب، ينام ملتصقًا بالأخرى، بقدميها، وفجأة لا يتعرف شكليهما ولا رائحة أمه، يقفز، لا يعرف أين يتواجد، ولا من هو، يترنح عالمه، والأخرى تبدأ في الضحك، فهي تجد ذلك مضحكًا، مظهره الذي يبدو بدا عليه، تتجرأ على القول إن ذلك ليس مهمًا خطيرًا، وإن الأطفال يستطيعون فهم كل شيء. لدى جولييت رغبات بالقتل.

قالت، لو حدث ذلك لا تنتهي ما بيننا.

أجاب أوليفييه، أعرف. وهي أيضًا تعرف، بلا شك. ولذلك فهي تريد ذلك بهذه القوة.

ماذا فعلت حينئذ؟

بقيت معها في الأعلى، وقتًا غير طويل، نهضت باكرًا جدًا، ما إن نامت، قلت لك إنني هربت، أخذت يوهان وهربت مثل اللص.

تستعيد الفيلم. يوهان وحيدًا في الدور الأول في غرفته الصغيرة، في الريف الصامت، ينهض ويجد سرير أبيه فارغًا، بل وغير مستخدم، والأنوار مطفأة كلها، إنه وحيد في هذا البيت الخالي، ذهب أبوه من دونه، هجره، إنها تعرف جيدًا الأثر الذي يؤدي إليه ذلك، فجأة، أن لا يكون له أب، أن يشعر بنفسه وحيدًا كليًا، مهجورًا، يصرخ من القلق، وتطفق هي في الصراخ أيضًا، ويصعب عليها أن تقاوم البكاء.

يضمها أوليفييه إليه، ويغمرها بالقبل، ويطمئنها كما لو كانت طفلته، فجأة، كما لم يفعل ذلك من قبل أبدًا. حبهما مريض لكن بقي لهما هذا، الحب شديد القوة الذي يشعران به كلاهما نحو يوهان، ونحو إيما، هذا الحب الذي يتقاسمانه، الذي هو طفلُ حبهما الخاص بهما والذي لان تتمكن الأخرى من أخذه منهما أبدًا، أبدًا.

جولييت، لم يحصل ذلك. يوهان لم يستيقظ. نزلتُ لرؤيته عدة مرات، كنت قد تركت عامدًا كل الأبواب مفتوحة. ولو أنه صرخ، لسمعته.

هدأت بين ذراعيه. وهما متمددان على السرير، متعانقان، يقفزان معًا لدى كل صوت يحدثه بابٌ ما. أليس لديها عنواننا؟ أنت واثق؟ قال، لا. أنا واثق.

في الخارج لا تزال الموسيقى تُسمع.

هل تظن أنها لحقت بك؟

كرر، أنا واثق. إنها تبحث عنا، في مكان ما، تعرف أنني أسكن حوالي حي ستالينجراد. لابد أنها تبحث عنا على أرصفة المقاهي كلها.

تلفوناهما الجوالان مطفآن. لابد من أن يناما. ناما.

استيقظت جولييت فزعة في وقت متأخر من الليل، داعبت أوليفييه كي

توقظه، فانتصب من فوره، ما الذي يحدث لك حبيبتي، لماذا لا تنامين. مارسا الحب نصف نائمين، كان ذلك يحرقها على نحو فظيع وفي الوقت نفسه كان ذلك عذبا، عذبا كما في حلم. انتهيا إلى الاستمتاع معا وفي اللحظة نفسها، بهدوء، وبصمت، ووجدا نفسيهما بسبب ذلك ساكنتين.

قال أوليفييه، لم نمارس الحب أبدا على هذا النحو الجيد.

نظرت إليه جولييت مذهولة.

في البداية، كان الأمر هكذا، أليس كذلك؟

حتى هذا، لا. تمارسين الحب معي كما تمارسينه مع عاشق. وما أريد أن أقوله لك، لأنك ربما تتساءلين، لا أفكر بها أبدا في هذه اللحظات. أبدا.

إنها تصدقه بالطبع. تصدقه بسهولة لاسيما وأن السؤال لم يخطر في بالها على الإطلاق حتى الآن.

ثم حاولا العودة ثانية إلى النوم، وقد ضفا جسديهما حسب الوضع المفضل لديهما، ملتصقة بظهره، تحيطه بذراعها. وراء الستائر السميكة حزرت أن الوقت هو الفجر تقريبا. لكنها لم تسمع تنفس أوليفييه المعتاد في نومه. ربما يستمع هو الآخر إلى دقات قلبها، ساكنا، مفتوح العينين على اتساعهما في الظلمة التي تتلاشى شيئا فشيئا.

كانت جولييت تعلم، بالطبع، أن أوليفييه يكذب عليها. لم تكن حمقاء. كانت قد توقعت ذلك وهي تراه أثناء العمل أمام أصدقائه في بوت شومون، خلال اليوم الذي ألغى فيه رحلته إلى روما. وجاءها تأكيد ذلك فيما بعد حين اتصلت به ف في عمله، ثم من جديد حين كان أوليفييه يقضي عليها الليلة التي كان قد قضاها في أوبينيي. كانت تعرف أن أوليفييه لم يكن على هذا القدر من الوضوح الذي يحاول أن يظهر عليه، وأن عزمه على القطيعة مع ف لم يكن كاملًا كما كان يقول لزوجته. كانت تعرف أن الرجال من أمثاله يصعب عليهم الحسم مباشرة، وأنهم يحبون أن يمتلكوا خيارات، خطوطًا خلفية للتراجع، طرق نجاة، وأنهم نادرًا ما يلتزمون عل صعيد الحب دون أن يحتفظوا بعدة مخارج ممكنة مفتوحة على مصاريعها. في حالة ما إذا. لكي لا يجد نفسه غبيًا. كان أوليفييه قد قال لها ذات مساء: أنا خائف. خائف من أن أنتهي إلى أن أفقدكما كلاكما. لم تطمئنه جولييت. كانت تلك فعليًا مخاطرة.

كانت تعرف أنه يستمر في الكذب عليها، لكنها لم تكن تعلم إلى أي حد. كما لو أنها على حافة بحيرة جمدت مياهها، تتأمل سطحها. مجمدة كما هو واضح ولكن بأي سماكة، من الصعب أن يحزر المرء. لا شيء يسمح بالقول إن ذلك إنما هي مجرد قشرة رقيقة وخوانة أو هي جليد ساحلي صلب بقدر صلابة الأرض الراسخة، وما إذا كان بالوسع الوثوق، فنمدّ قدمًا، ثم القدم الأخرى، دون أن ينكسر الجليد، والمغامرة بلا خوف من السقوط غرقًا، وقد تجلدنا على الفور، غارقين في مياه خداعة. وهي تشك، كانت جولييت تتقدم متعلقة بالإغصان التي تشرف على الشاطئ، ذات التفاصيل الواضحة، الصلبة، التي كانت تبرهن على أن أوليفييه لم يكن يقوم بخداعها كليًا. حقيقة أنه غيّر ساعة قطاره إلى بوردو. حقيقة أنه لم يجب عشية عيد الموسيقا لاثني عشر ألف نداء ف الهاتفي. منذ أن رأته يدور حول مائدة المطبخ، يتحرك قافزًا، محتضرًا مع نداءات صماء، صار هاتفه الجوال في نظرها لطيفًا. كانت ترى فيه من الآن فصاعدًا حليفًا.

غداة عيد الموسيقا جعل أوليفييه جولييت تسمع الرسائل العشر التي تركتها ف عشية اليوم السابق على هاتفه. وبسماعها من أولها إلى آخرها، مع ما يفصل بينها من رنات وصوت اصطناعي يشير إلى ساعة الاتصال،

يتبين أنها تشهد على حش حاد في التقدم الدرامي، فمجسدة بطريقة أخاذة ضروب الدمار التي يحدثها الهوى العاشق على بعض العقول الهشة. كان بوسع الشريط الصوتي أن يؤلف صيغة صالحة للراديو بعشرين دقيقة، على منال أسلوب الصوت البشري لكوكتو. وكان من الممكن عنونته: «تاريخ فرقعة رصاص معلن». يبدأ ذلك بالأحرى بصورة رصينة ب»اتصل بي أرجوك»، ثم يتصاعد ذلك بالتدريج، مع أمثال «أتوسل إليك»، وأمثال «لا يمكنك أن تفعل بي ذلك»، وصرخات، وحشرجات، ورنة، ثم الصمت. كان آخر اتصال يعود إلى الساعة السادسة صباحًا.

كان أوليفييه يبحث عن ردّ فعلها. لم يكن على وعي كما يبدو بالعنف الذي يعنيه بالنسبة إلى جولييت أن تجد نفسها ملقاة على هذا النحو في حميمية زوجها مع ف. كانت تختنق، وتناضل ضد الإحساس المفاجئ بنفسها حبيسة حكايتهما، محصورة في عناقهما، متخبطة بين أذرعهما المتشابكة. ولكن ربما كان ذلك قد انتهى حقًا بينهما، وفي هذه الحالة كان أوليفييه يدفع بها بالأحرى إلى وسط ميدان المعركة، إلى الأرض الحرام التي تفصل بين الخطوط العدوة. أحست أنها بهذه الفكرة قد ارتاحت قليلًا مادام من الواضح أن لامبالاة أوليفييه الظاهرية، وواقعة حملها على أن تسمع هذه الرسائل يؤكدان أنه اختار معسكره، وأنه أخذ بطريقة حاسمة ونهائية قراره بالانفصال عنها.

سألت، ما الذي سوف تفعله؟

أجاب أوليفييه، لاشيء. لا أنوي الاتصال بها، إن كان هذا ما تسألين عنه.

في اللحظة نفسها، كما لو أنه جواب على هذا التصريح، وصلت رسالة على جواله «أرجوك. لا شيء أسوأ بالنسبة لي أكثر من صمتك» ، مؤكدة على الانطباع المقلق بأن ف كانت معهما في الغرفة، مختبئة في زاوية ما، وراء الباب، أو تحت الطاولة، تترصد.

فكر أوليفييه، ثم طفق يعزف على جواله. نهضت جولييت لإعداد فنجان قهوة لنفسها. حين عادت للجلوس إلى الطاولة، أطلعها أوليفييه على النص الذي أتى على إرساله.

«يجب أن تتوقفي عن إيلام نفسك.» قالت، لم تقل يجب أن تتوقفي.

لم يجب. سكتت لحظة، وهي تشرب قهوتها بصمت.

سألت، هل قلت لها من قبل إنك تحبني؟

أجاب، نعم.

كيف قلت لها ذلك؟

تردد.

قلت لها إنني لا أستطيع أن أحب امرأتين في آن واحد.

هزت جولييت رأسها.

إذن لم تقل لها إنك تحبني.

تنهد أوليفييه. كان لدى جولييت شعور شديد الوضوح أنه في هذه اللحظة على وجه الدقة لم يكن على ثقة من أنه يحب لا هذه ولا تلك، وأنه كان سيعطي الكثير مقابل أن يكون بدلًا من هذا النقاش مع رفاقه في المقهى أو مع طفليه يصطادون.

بينما كانت تذهب إلى المسبح مع يوهان وإيما، ذهب أوليفييه إلى المجلة كي يساعد فريق الأنترنيت من أجل بث فيديوهات ندوات الأمس. حين عاد كان أبيض الوجه رعبًا. حاول أن يزعم أن كل شيء على ما يرام، وأنه لم يتلق من ف أي خبر، مجرد رسالة إلكترونية. لكن سلوكه كان يكذّب ما يقوله وتحت تأثير نظرة جولييت النفاذة، لم يلبث أن انهار. كما كان يتوقع، كانت ف قد جاءت إلى المجلة.

وقعت عليها لدى وصولي، كانت تنتظرني على الرصيف أمام المدخل. كانت قد تناولت الكثير من الأدوية، وكانت تبدو مخيفة لمن يراها. لسنا أمام شعور بالحب ههنا، أترين؟ لقد تمّ الانتقال إلى شيء آخر. إنها خرقة، حقًا. تحدثنا قليلًا، عدة دقائق، بالكاد، ثم تهالكت من جديد، مثلما فعلت مساء اليوم الذي اتصلت بك فيه، مساء السينما، نوبة صرع هذا ما كانت قد قالته لي، على كل حال كان ذلك مذهلًا. طلبت إليّ أن أتصل من هاتفي برفيق لها، اسمه تريستان، ذلك الذي التقيته في بيتها في المساء الأول. وصل على الفور تقريبًا. ألقى عليّ نظرة حقد حقيقية، قال لي إنه استعادها هذه الليلة في ساحة ستالينجراد، كانت قد سقطت مغشيًا عليها، صحبها إلى بيتها بالتاكسي، وكان عليه أن يعود هذا الصباح كي يستعيد موتوره الذي كان قد تركه أمام لوجوريس.

فترة.

الواقع، ليست هذه نوبات صرع، كما يرى، بل نوبات قلق شديدة العنف، لا شيء يمكن عمله، لا وجود لخطر حقيقي، يجب انتظار أن يمر ذلك. إنها تتناول الأدوية، وهي في إجازة مرضية منذ سنتين، لم تكن قد قالت لي ذلك بالطبع.

فكرت جولييت، لم يكن ينقص إلا هذا.

كيف يبدو هذا الشخص، تريستان؟

أجاب أوليفييه، حسنًا. ليس لطيفًا صراحة، لكنه عاقل. قلت له إنني أود أن أتحادث معه. ضربنا موعدًا غدًا صباحًا، في مقهى، وقد صحبها إلى بيتها.

هزت جولييت رأسها. مرة أخرى فترة طويلة. يعض أوليفييه شفتيه، ويطقطق أصابعه، قلقًا.

لو رأيته كيف نظر إلي. كما لو كنت جلادًا، نازيًا. هل كان سلوكي سيئًا إلى هذا الحد معها؟ لدي انطباع أنني أسوأ الشريرين.

أجابت جولييت، لا أبدًا.

نظر إليها من أسفل، كما لو أنه يشك بما تقول.

حول هذه المشكلة، لست متأكدًا من محض الثقة. سيساعدني تريستان ربما على أن أرى بوضوح أكثر.

قالت جولييت، لنأمل أن تكون مفاصل الأصابع بيضاء كليًا من كثرة قبض اليدين كي تتمالك نفسها فلا تصرخ والتي تفكر في نفسها ولكن ماهذا المرض، هذا المرض على وجه الدقة؟

لا، لأن هذا يهمني بل هذا يهمني كثيرًا ما هذا المرض الذي يجعل الناس كلهم يشفقون عليك وكلّ شيء مسموح به لك دفعة واحدة والآخرين يتسامحون معك على نحو غير معقول بحيث يمكن حرث الأرض الخشبية بالأسنان والإصابة بنوبة عصبية وسط الطريق وعضوًا في المجلس البلدي وإزعاج الناس بالهاتف ومتابعة مسار مهني سياسي على حساب التربية الوطنية بإجازة مرضية باللكذبة كل الناس يجدون ذلك حسنًا وكل الناس مخدوعون وأنها مثلّ لكل النساء أيقونة اليسار شخصية رمزية للنسوية الجديدة إذا كان هذا كذلك فأنا أيضًا مريضة آه لا لن تذهب لفعل الشيء نفسه أنت أيضًا نعم مريضة تمامًا، مريضة من الحزن لكن هذا كل الناس لا يبالون به يجب أن أهدئ نفسي استنشقي يا عزيزتي هوذا الآن ازفري أيضًا استنشقي ازفري أيضًا هوذا يا عزيزتي إهدئي أنت في طريقك إلى أن تصيري مجنونة.

وصل صديق ف إلى موعدهما متأخرًا عدة دقائق، حاملًا قبعة الموتور تحت ذراعه وتوقف على عتبة المقهى يجول بنظره في القاعة قبل أن يتجه نحو أوليفييه، مستاء كما يبدو. دون أن يكون عملاقًا، كان ذو بنية مذهلة وفي الوقت الذي كان يخلع معطفه مع القبعة الحامية الموصولة به كي يضعه على الكرسي، كان يشع عدوانية لم يستطع معها أوليفييه أن يمنع نفسه من أن يتخيل مع شيء من الخشية مواجهة مادية معه، لو ساءت المحادثة معه بالصدفة.

أبدى تريستان بالأحرى تفهمًا جعله شديد الارتياح. استمع بلا مفاجأة إلى أوليفييه يقص عليه كيف كانت ف تلاحقه في النورماندي، ثم في القطار الذي أتى به من بوردو، وكيف أنها انتظرته على عتبة العمارة التي يسكن فيها، وهي تتصل به دون توقف رغم توسلاته، رافضة قبول قرار الانفصال.

سأل تريستان، أهذا حقًا ما تريده؟ الانفصال؟

ألقى على أوليفييه نظرة نفاذة، ذات سواد فاحم. بحيث أن هذا تردد بالكاد.

قال، نعم.

بقي تريستان بلا رد فعل لحظة، ثم هز رأسه مع شيء فسره أوليفييه بوصفه عدم تصديق، لكنه يمكن له أيضًا أن يكون الشفقة، أو الذهول.

سأل تريستان، هل كنت واضحًا معها؟

أجاب أوليفييه، أظن.

حمله تريستان عندئذ على أن يكرر بدقة الكلمات التي كان قد تلفظ بها، ملحًا، إن كان واثقًا من قراره، على الضرورة القصوى في أن لا يترك أي غموض يشوب ما يقوله إلى ف، أن لا يبدي أي تردد، وإلا فلن تقصر في أن تحصر نفسها في الشرخ وأن تستأنف الهجوم. حاول أوليفييه من جهته أن يشرح له قلقه في مواجهة هشاشة ف، والحنان الذي يشعر به نحوها، وكم كان صعبًا عليه بفعل ذلك أن يستخدم كلمات لا مفر من قسوتها، ولاسيما حين يرى ردود الفعل الهستيرية التي أثارتها محاولاته التي كانت حتى ذلك الحين أقرب إلى أن تكون خجولة. لكن تريستان أزال هذه الاعتراضات بحركة من يده. كان أوليفييه مفتونًا بثقته بنفسه، التي كانت تحمل على افتراض تجربة كبرى من هذا النوع من الأوضاع مع ف. لم يستطع أن يمنع نفسه بعد عدة دقائق من أن يسأله إن كانت تلك هي الحالة. لم يجب تريستان. بدلًا من ذلك، أراه هاتفه الجوال الذي كان

وضعه على الطاولة والذي تلقى عليه للتو نص رسالة من ف: «يجب أن يحبني. إنني بحاجة إلى ذلك».

عند هذه اللحظة من القصة التي حكاها أوليفييه إلى جولييت في المساء نفسه، قست ملامح هذه الأخيرة. حاجة. كانت تكره هذه الكلمة. لا علاقة للحاجة مع الحب. بل إن فكرة الحاجة الجسدية واجبة الإشباع، حين يتعلق الأمر بالجنس، تثير قرفها. لم تكن تقبل من ناحيتها ألا الرغبة، التي يمكن أن تكون عنيفة أحيانًا، لكن الرغبة لا لا تتطلب شيئًا. الرغبة حين كانت مشبعة لا تستثير إلا الإعجاب، والامتنان، على عكس الحاجة التي هي متطلبة، ملحة، تتوازى في ذلك مع الحق، الحق الذي نظن أنفسنا نمتلكه على الآخرين، كما لو أن الحب يمكنه أبدًا أن يكون شيئًا آخر غير هدية، معجزة بين كائنين.

سأل أوليفييه، بم تفكرين؟

أجابت جولييت، بلا شيء. كيف انتهى ذلك؟

قلت لك تقريبًا كل شيء. فوجئت بإرسالها له هذا النص، لم أكن أعرف أنها على علم بموعدنا.

هل تظن أنه كان يقوم بخدمة طلب إليه القيام بها؟

ربما. على كلّ حال، في النهاية قال لي إنه مكاني لن يتردد. فهو الآخر متزوج أيضًا، ولديه ثلاثة أطفال، لكنه يحب ف منذ سنوات، وكان يمكن أن يترك كل شيء على الفور لو أنها كانت تريده فعلًا.

كان ذلك من المبالغة بحيث أن جولييت لم تستطع منع نفسها من الضحك.

كما لو أنك عثرت على الفحاور المثالي.

لم يبتسم أوليفييه.

قال، ما هو أكيد، هو أنني فهمت هذا الصباح أنها لن تعقل نفسها بنفسها. لابد من أن أفعل ذلك وأنا عاجز عنه، سيكون الأمر كما لو كنت أدفعها في الفراغ.

أما وقد استنفذت كل إمكاناتها بحثت جولييت عن عنوان مركز العلاج العائلي وأقنعت أوليفييه أن يصحبها من أجل موعد لهما فيه. ذهبا إليه في الغداة معًا، عند ساعة الغداء.

كانت المعالجة امرأة شابة بالأحرى ولطيفة، جعلتهما يدخلان في غرفة مرتبة، مؤثثة بأثاث يبث الشعور بالهدوء، ونظيفة نظافة ممتازة. جلست معهما على كنبات بيضاء من حول طاولة صغيرة مستديرة زجاجية كان موضوعًا عليها مزهرية تتضمن زهرة أوركيديا، وسألت كلًا منهما بدوره أن

يشرح سبب قيامه بهذه الخطوة.

تكلم أوليفييه أولًا وجوابًا عن السؤال الأول الذي طرحته عليه الطبيبة النفسية، أعاد تأكيد أنه لا يريد الانفصال عن جولييت: قال أيضًا:

قلت لنفسي إن لدي الحق في أن أعيش هذه القصة.

كررت المعالجة وهي تهز جفنيها، الحق؟ الحق كلمة شديدة القوة. من أعطاك هذا الحق؟

تردد. لا أدري. قلت لنفسي إن لدي الحق، وإن كل الناس يفعل ذلك.

لماذا أخبرت بذلك زوجتك؟

فترة.

لقد أراحني ذلك، أعتقد.

ألم يكن ذلك طريقة في الطلب إليها أن تحميك من هذه القصة؟

تردد من جديد، قال إنه ربما، نعم.

حين كان دور جولييت في الكلام، وصفت اتصال ف الهاتفي، وتجمدت وهي تسمع المعالجة تصرح:

أشعر بنفسي مفعمة بالتعاطف مع هذه الفتاة.

هل سمعت جيدًا؟ الطبيبة النفسية كانت مفعمة بالتعاطف مع الأخرى. أما معها، بالطبع، فلاشيء أبدًا، كما هو الأمر دائمًا، لا تملك أي حق بالتعاطف. ولكن لا. لقد أساءت الفهم. كررت المعالجة: أشعر بك مفعمة بالتعاطف مع هذه الفتاة.

دهش أوليفييه، بدت له هذه الملاحظة غير لائقة.

اعترفت جولييت، ومع ذلك، هذا صحيح. أفهمها، كما أظن. أجد لديها أشياء مني قبل عشر سنوات. إنها ليست غريبة علي.

بعد ذلك بقليل، أضافت: لقد ذهلت حين رأيت إلى أي حدّ لم يحمني أوليفييه في هذه القصة. إلى أي حدّ لم يحمني أبدًا.

وافقت المعالجة، أنت الذي تحميه. أنت تحميه، تحمي طفليكما، تحمي هذه الفتاة. وأنت، من يحميك؟

قالت جولييت، لا أحد. أظن أنه لهذا السبب كانت هذه الجملة التي قلتها يومًا: لست على ثقة من رغبتي في أن أشيخ معك. ففي الثلاثين من عمري لم يكن ذلك ليزعجني أكثر، كنت قوية. مع التقدم في العمر، تتغير الحاجات. ربما سأرغب أن يرعاني شخص ما ذات يوم.

بعد الجلسة وقد سكنا بعض الشيء، انفصلا على الرصيف كي يعودا إلى عملهما. ضمها أوليفييه إليه وقبلها قبلة عميقة عاشقة.

قال أوليفييه، سوف أتصل بها. أعتقد أن هذه الجلسة ساعدتني على

إعداد خطاب أكثر وضوحا بقليل.

سألت جولييت، هل تلقيت أخبارًا منذ هذا الصباح؟

أحسست أن هاتفي يهتز طوال هذا الصباح في جيبي. لابد أن لدي ثمانية عشر رسالة.

عند وصولها صباح الغداة إلى غالاتيا، وكانت لا تزال على الرصيف أمام المدخل، اتصلت به.

أريد أن أقول لك أمرًا شديد الأهمية: إن وجب عليك ذات يوم خلال أسبوع خلال ستة أشهر أن تضاجعها من جديد، لو وجب عليك أتوسل إليك، لا تدعها تختار أن تحمل منك أو لا تحمل. امرأة مثلها تستطيع أن تفعل كل شيء كي يتعلق الرجل بها. أعرف أنك لا تظن أن ذلك ممكنًا لكني أنا أعرف أنها على استعداد لفعل كل شيء.

أجاب: لم يعد لدي أي نية في مضاجعتها. لكني فهمت.

بعد ذلك حاولت جولييت من جديد خلال النهار الاتصال بأوليفييه، بلا نجاح. كان هاتفه مشغولًا بلا توقف. حين توصلت أخيرًا إلى مكالمته، سألته إن كان لديه أخبار من ف واكتفى بجواب متحفظ:

تلقيت رسالة إلكترونية كل شيء على ما يرام.

عند الساعة الثامنة مساء لم يكن قد اتصل كما اعتاد أن يفعل كي يقول لها في أي ساعة سوف يعود. تهالكت فجأة من القلق، مذعورة من أنه لا يزال لم يفهم بعد ضرورة ألا يتركها على هذا النحو بلا أخبار منه.

اتصلت بفلورانس، دامعة العينين.

حين وصل أخيرًا، نظر إليها وقد تفاجأ.

قال، لم أكن أظن أن أراك على هذه الحال، كنت أظنني على العكس سأعود باكرًا.

قالت، إنه الجحيم.

تنهد.

الأمر في تقدم، أؤكد لك.

تقدم ليأخذها بين ذراعيه لكنها صدته، فنهض كي يذهب لتناول منديل، وابتعد مجروحًا. أسفت على الفور من حركتها، بحثت عنه بعينيها. كان متهالكًا على كنبة الصالون.

قال، أعرف أنه الجحيم. بعد ذلك هي حكاية العناية... لكن ما أفعله في هذه اللحظة هو محاولة الإيقاف، القول لها إن ذلك قد انتهى، العناية بك أيضًا. هذه هي الحقيقة.

تمخط وأتى يجلس قربها وقد خفض رأسه.

قالت، كيف أمكنك أن تفعل بنا هذا؟ ثم أضافت، بائسة: أكان ذلك استثنائيًا إلى هذا الحدّ حقًا، معها؟

هز كتفيه، متعبًا.

لا أدري بماذا أجيبك. كلانا أيضًا، عشنا معًا لحظات استثنائية.

قالت، صحيح. ولو لم يكن سوى ولادة طفلينا.

نعم، زواجنا أيضًا.

نظرت إليه، دهشة. لم تتخيل أبدًا أن زواجهما كان بهذه الأهمية في نظره.

نعم، زواجنا.

بعد فترة استأنفت:

نتقدم، لكننا سقطنا في مثل هذه الحفرة، وعلينا صعود الكثير كي نعثر ثانية على الثقة.

ترددت في أن تطلب إليه من جديد إن كان لديه أخبار من ف اليوم، لا تزال تتردد، وانتهت إلى أن تدمدم ببطء، وبصوت خفيض:

حيث نحن الآن، قل لي الحقيقة. إذا كنت فعلًا تريد العناية بي فإني أريد أن أعرف ما يجري معها، الوقائع وكذلك ما تقوله لها، لأن الكلمات هي أفعال الآن. لن يسرني الأمر، صدقني أني كنت أفضل ألا يكون علي أن أسمعها، لكني أطلب إليك ذلك، وإلا فكذبك سينتهي إلى جعلي مجنونة.

بقي صامتًا، وعيناه ضائعتان في الفراغ.

ثم قال آسفًا إن ف كانت قد أرسلت له رسالتين إلكترونيتين. الأولى تقول حسنًا فهمت انتهى لكن يجب أن أتمكن من مكالمتك هاتفيًا. الثانية بعد ذلك بقليل (أو العكس؟) تقول غضبها، لديك ما تريد، وسوف تستطيع إصلاح مشكلتك مع زوجتك.

كانت كل كلمة تبدو مكلفة، وفي نظره عذابًا. كانت جولييت ترقبه، حائرة.

قالت، على كل حال ليس لدينا خيار البقاء معًا وتستمر في رؤيتها، حتى ولو كنا قادرين، نحن، نظرًا لردود فعلها هي لن يكون ذلك ممكنًا ألا توافق؟

كان موافقًا، لكنه كان يبدو دومًا مرهقًا. أخذت جولييت يده. لم تكن تتخيل أنه في اللحظة التي كانت تتوسل إليه خلالها أن يقول لها الحقيقة كان أوليفييه يستمر في الكذب عليها. مع ازدياد حالته السيئة، كان يحس نظرة زوجته الفاحصة ملقاة عليه. كان قد تناول الغذاء مع فيكتوار وقبل أن ينفصلا، قبل عدة ساعات من ذلك، كانت قد أعطته نسخة من كتاب المرأة المقطوعة لسيمون دو بوفوار، في طبعة الجيب. كان قد تصفحها،

وقرأ منها عدة صفحات. كانت ف قد قالت، هي قصة رجل متزوج كانت له علاقة وانتهى إلى ترك زوجته، وهو ما يعني أن البعض يفعل ذلك، ما يعني أن الأمر ممكن. غطى عينيه بيديه كي يتوقف عن رؤية النظرة المضطربة التي كانت جولييت تلقيها عليه.

كانت جولييت تحصي الأيام التي تفصلها عن الإجازات. فبعد عدة فصول صيف ممطرة في منطقة النورماندي، كانت تشعر بحاجة ملحة إلى الشمس. كانت قد قدمت طلب إجازتها منذ شهر شباط/فبراير إلى غالاتيا التي كانت فيها إدارة تنسيق جدولة الإجازات بين مختلف رؤساء المشروعات معضلة حقيقية، نظرًا لأن المنشأة لم تكن تغلق أبوابها خلال شهر آب/أغسطس. ولكي تنتهي من ذلك قبلت أخذ إجازاتها خلال فترتين، وخططا للذهاب منذ بداية شهر تموز/يوليو إلى أيطاليا لمدة خمسة عشر يومًا. كانت قد استأجرت بيتًا على شاطئ البحر، في هذا الجزء من منطقة توسكان البحرية الأنسب سعرًا من الفيلات الفاخرة مع المسبح في كيانتي، وخصوصًا في الأسبوعين الأوليين من يوليو على كل حال مع طفلين بعمر يوهان وإيما، كانت المسابح الخاصة، سواء أكانت مؤمنة أم لا، تؤلف في نظرها كابوسًا. لا مجال للنهوض قفزًا من من كرسيها الذي تتمدد عليه، وقلبها يخفق رعبًا، باحثة بعينيها هذا أو ذاك، ولا أن تتحقق خمسة عشر مرة يوميًا أن أوليفييه كان قد أحكم إغلاق الباب المؤدي إلى المسبح. كانت قد اختارت البيت على الأنترنيت، وهو عبارة عن مبنى قديم حجري مريح نسبيًا لكنه يبدو فاتنًا، محاطًا بأشجار الزيتون. كانت تحب أشجار الزيتون، وكان زوجها يمزح معها حول ذلك أحيانًا، قائلًا إن اسمه هو الذي كان قبل كل شيء قد فتنها لديه. كانت تبتسم، حريصة على ألا تكذبه.

كنا بتاريخ ٢٤ حزيران/يونيه. فكرت جولييت، خلال أسبوع تقريبًا، سوف يكونان بعيدين عن باريس، بعيدين عن ف، وسوف ينحل القيد الذي كان يقبض قلبها قليلًا، حتى وإن كانت تعرف أنها لن تكسب شيئًا في النهاية بسبب ذلك. كانت قد قالت أمس إلى فلورنس، بلا أوهام: لن يختار أبدًا، أعرف ذلك، سينتظر أن تنتهي إحداهن، هي أو أنا، إلى التخلي عن كل شيء. أمام مظهرها المرتاب، كانت قد ألحت: أوليفييه هكذا، كان دومًا على هذا النحو، يترك نفسه موضع اختيار، يبقى مع تلك التي تتعلق به أكثر. وكانت لها حركة من ذقنها، كما لو أنها تقول مستربن، ثم سكتت، صارمة الوجه.

لم يكن أوليفييه يعمل ذلك اليوم. كان أول يوم في التنزيلات التجارية. وكان لديه مشروع الذهاب لشراء قمصان له. لم يكن يقوم بالمشتريات أبدًا إن صح القول، مرة في السنة على الأكثر، وباستثناء الهدايا التي كانت

تقدمها له من وقت إلى آخر (كنزات عموفا، مريحة وشديدة العذوبة، تحب أن تلتف بها) لم تكن جولييت تهتم بملابسه. لم يكن لديه شيء يلبسه. بعد ذلك سيذهب لزيارة أخيه الذي دخل مستشفى خاصة قبل عدة أيام في منطقة الإيفلين، إثر حادث دراجة نارية. اتصل بجولييت في مكتبها عند نهاية الصباح ليعلمها بهذا المشروع، وأشار عابرًا إلى أن ف تحاول منذ عدة ساعات بلا توقف أن تتصل به. انتهى بعد تعبه إلى أن يجيب وكذلك إلى أن يكذب كي يتخلص منها زاعمًا أنه غائب عن باريس طوال النهار.

حين تلقت جولييت اتصال أوليفييه، كانت في الكافيتريا مع جوزفين، زميلة لها في دائرة الموظفين قضت عليها كل الحكاية، هذه الحاجة المفاجئة للكلام، للبوح إلى شخص آخر تستلطفه حقًا لكنه لا يؤلف في الحقيقة أحد أصدقائها الحميمين. بدا على جوزفين أنها تفاجأت وأدركت جولييت ذلك لكنها لا تستطيع شيئًا حيال ذلك، كما لو كان فيضًا يطفح، والكلمات تسيل وحدها، بلا أي عنف، وبهدوء، مع السخرية دومًا. كانت تسأل: ماشي الحال؟ وكانت تجيب: وسط، زوجي يخونني، بلهجة متوازنة، باحثة لدى الأخرى الرعدة التي لن تتأخر أبدًا في الظهور. بالطبع يمتزج في قولها بعض الاستعارة، كما كان الأمر مع الطبيب ذلك اليوم. لم يكن اختيار الكلمات غريبًا عن ذلك. لم تكن كلماتها هي، ذلك يُفهم على الفور. كان بوسعها أن تقول ليست الأمور على ما يرام مع رجلي، أو حتى لدي مشكلات زوجية، كان يمكن لذلك أن يشبهها أكثر من هذه الكلمات التي كانت ترنّ مثل بريد القلوب في مجلة تجارية. لكن ربما كان ذلك يطمئنها، الدهشة التي تقرأها في عيون محاوريها، ربما كانت تؤكد لها الانطباع بأن هذه القصة لم تكن حقًا قصتها، وأن هذا النوع من المسرحية الهزلية ينتمي إلى حقبة زمنية أخرى، وبيئة أخرى، ترغم على أن تؤدي على الرغم منها دورًا فيها، وأنها لا تؤلف أبدًا جزءًا من أعمالها، فليس غريبًا أن تشعر بالسأم فيها، كان ذلك خطأً في اختيارها للدور، ولابد من أن ينتهي أحدهم إلى إدراك ذلك. حين رنّ هاتفها قطعت حديثها في منتصف الجملة كي ترد على النداء، سمعت وبعد لحظة وجيزة من الذهول، أغلقت الهاتف.

قالت، كان هو. أيّ هوى هذا الذي تتكلمين عنه.

ألقت جوزفين عليها نظرة استفهام، لكنها لم تجرؤ على طرح الأسئلة. ثم إن ذلك لم يكن ضروريًا، فقد كانت جولييت تتابع حديثها.

لم تتوقف الأخرى عن الاتصال به، فهي تريد بأي ثمن أن يذهب لرؤيتها وهو يقول لي إنه لن يذهب، وإنه في جاليري لافاييت، وأنها التنزيلات

وأنه سئم الأمن، وأنه يود أن يشتري لنفسه بعض الملابس.

فتحت جوزفين عينيها.

كنت أظنه عاشقًا لها.

أدارت جولييت باطن يدها اليسرى نحو السماء، في إشارة تدل على جهلها.

وأنا أيضًا. ولكن حسنًا، من الناحية الأخرى، صحيح أنه بحاجة إلى قمصان.

بلا مقاومة كان المرح يتصاعد ولن تتمكن عما قريب من احتواء ضحكة عصبية مجنونة. أسرعت في وضع فنجان قهوتها على البار كي لا يسقط منها، فقد كانت تهتز من الضحك إلى حد البكاء. هدأت أخيرًا ومسحت عينيها، نظرت إليها جوزفين حائرة.

قالت، أنت قوية بصورة غريبة. أنا معجبة بك.

قبلت جولييت الإطراء بأريحية. لم يكن أناها يعيش عيدًا هذه الأيام، فكان حسنًا أن تتلقاه على الدوام. جعل إطراء جوزفين من فترة الغذاء لحظات عذبة من المجد بحيث مرت بمؤسسة للتجميل كي تلون أظافر قدميها تمهيدًا للإجازة. ثم عكفت على العمل مرتاحة النفس قليلًا. اتصل بها أوليفييه بعد الظهر في اللحظة التي كان على وشك ركوب القطار كي يذهب لزيارة أخيه، ثم بعد ثلاث ساعات من ذلك، اتصل بها من جديد كي يعلمها بأنه في فرساي وأنه ينتظر القطار القادم باتجاه محطة سان لازار وأنه لم يبق في بطارية هاتفه الكثير من الطاقة. كان صوته هذه المرة مختلفًا، شيه أبيض، وسرعان ما أقلق ذلك جولييت التي طورت منذ فترة إذنًا مذهلة في حساسيتها لأدنى اختلاف في رنة الصوت أو في نغمة لهجة زوجها.

ليس الأمر على ما يرام؟ هل هو أخوك؟

لا، لا علاقة لهذا. إنها هي. أنا خائف. ربما كان الأفضل أن أذهب لرؤيتها، في النهاية.

بصورة عفوية طفق قلب جولييت يلكمها في صدرها. سكتت، منتظرة التتمة.

هذا اللعين تريستان اتصل بي. قال إنني لا يمكن أن أفعل بها ذلك، أن أعاملها كما أفعل. وأنه لو حصل لها شيء ما فسيعتبرني مسؤولًا.

كان الرعب يبدو عليه، ويكاد يصرخ. وراءه كان يُسمع صخب المحطة، الذي كان يتناقض مع الجو النشيط الذي يخيم في مكاتب غالاتيا.

ألقت جولييت نظرة على ما حولها. كان جارها الأقرب ينقر مفاتيح

حاسوبه وعيناه على شاشته وسماعة على أذنيه. على مسافة مترين، اثنان من زملائها يتناقشان بصوت خفيض، وقد انحنيا على الوثيقة ذاتها. أدارت كرسيها قليلًا في الاتجاه المقابل لهما، وألصقت الهاتف إلى شفتيها، ووضعت يدها اليسرى أمام فمها كي تحجب بأفضل ما تستطيع ومتحدثة بأكبر قدر ممكن من الهدوء، وبما يكفي من القوة كي يسمعها أوليفييه، وركزت في صوتها كل قوة الإقناع التي كانت قادرة عليها.

قالت له، لا تذهب، وأحنت، سلمة، بسبب كل هذه الضرورات، أن صوتها يصل مزيفًا، غير صريح، وتعرفت على الصوت الذي كانت تستخدمه حين كانت تقرأ الحكايات لطفليها، حين كانت تقلد الأفعى أو الجنية، أو الساحرة وقد تنكرت في هيئة جنية. وارتعبت من فكرة عدم قدرتها على إقناع أوليفييه، وهي تتصوره وسط صخب القطارات، ضائعًا، مترددًا بين صراخ ف، وزعيق تريستان، وصوت امرأته ذي العذوبة المصطنعة، لكنها تابعت مع ذلك بكل طاقة اليأس لديها.

لا تذهب، أتوسل إليك. لن يحل ذلك شيئًا، على العكس، سوف يكون الأمر أسوأ حالًا. تعال إلى هنا ما إن تنزل من القطار، أو أذهب إلى سان لازار لانتظارك، إن أردت.

قاطعها.

فرغت بطارية الهاتف. أتركك.

احتفظت لحظة بسماعة الهاتف على أذنها، وهي تسمع رنات «مشغول»؟ أكان هو من أغلق الهاتف في وجهها أم أن هاتفه انطفأ فجأة؟ كانت تميل، للأسف، إلى الفرضية الأولى. نظرت في ساعتها. ٤٥ر١٨. ترددت ثانية بالكاد. نهضت، وحملت محفظتها وغادرت المكتب، تاركة حاسوبها مفتوحًا، ووثائقها مبعثرة. هربت دون أن تعلم أحدًا بذلك.

ونزلت درجات السلم بسرعة خاطفة.

كانت تركض في الشارع، تركض كما لو أن حياتها تتوقف على ذلك، تركض نحو مدخل المترو الأقرب. كان الخط من محطة فيلييه يؤدي مباشرة إلى محطة سان لازار.

كان بيسينياك الذي كانت على موعد متفق عليه معه في الساعة السابعة مساء قد انتظرها عشرين دقيقة. سأل زملاءها أين ذهبت. ولما لم يكن هناك أحد يعرف شيئًا ما، انفجر غاضبًا واستسلم أمام شهود إلى أحاديث معادية للنساء صراحة، قبل أن يغادر حانقًا. حوالي الساعة التاسعة مساء، كان آخر رئيس مشروع لا يزال حاضرًا ينزع سماعته، ويطفئ حاسوبه. عند لحظة المغادرة، تردد على العتبة ثم تأمل الفضاء المفتوح الخالي في

الوقت الراهن. اقترب من مكتب جولييت وجهد تهذيبًا ألا يرى مضمون صندوق الرسائل الإلكترونية الذي بقي مفتوحًا، سجل الوثائق الجارية ثم أطفأ الحاسوب.

انتظرت جولييت في محطة سان لازار أوليفييه عبثًا. كان ذلك مضحكًا وكانت تعرف ذلك، لا بل كان مثيرًا للشفقة، ففي الأربعين من عمرها، وبعد عشر سنوات من الزواج، هذا الركض في المترو ثم في المحطة، كي تعثر على موقف القطار ثم الانتظار، دامعة العينين، القطارات التي كانت تتوالى، مائة مرة لمحت خيالًا، وقلبها يخفق، والاندفاع المرتسم الذي يسقط من جديد. أخرجت مائة مرة هاتفها الجوال، تحاول الاتصال به من جديد، لتقع على مسجل الرسائل، لتغلق من جديد منذ أول مقطع من الكلمة. تركض طولًا وعرضًا، وتتكلم بصوت عال، وتبكي. يلقي الناس عليها نظرات مرتبكة وهم يمرون قربها، والأكثر تعاطفًا منهم يقترب منها: لست على ما يرام يا آنسة؟ هل يمكن مساعدتك؟ تقول لا بإشارة من رأسها، وتسجل بصورة عابرة أنها تُنادى على الدوام يا آنسة، تلك علامة حسنة، تجيب شكرًا، سيمشي الحال. ذلك مضحك، لكن الخبر الطيب، ما سينقذها من المصيبة الكاملة، هو أن أحدًا لم يكن يقدر عمرها بأربعين عامًا ومن ثم، وهذه هي الحقيقة، إنها في هذه اللحظة في رأسها تبلغ العشرين أو الخمسة عشر أو حتى الخمس سنوات من عمرها، في رأسها في هذه اللحظة هي خطيبة شابة، فتاة صغيرة. لا يُقال ذلك كفاية لكن عمرًا ما لا يطرد عمرًا آخر، كل الأعمار التي عشناها تتعايش فيما بينها داخلنا، تتكوم فوق بعضها، وأحدها يعلو الأخرى حسب صدفة الظروف. وفي النهاية، ليس لكل ذلك إلا علاقة شديدة الغموض مع الزمن الذي يفصلنا عن ولادتنا، حكاية العمر هذه، هذا أخيرًا ما كان يبدو لها.

أيًا كان الأمر، لم يصل أوليفييه. لم يعد انتظاره على رصيف المحطة يعني شيئًا كبيرًا. في نهاية لحظة طويلة، حتى بالنسبة إلى جولييت، حتى في الحالة التعيسة التي تتواجد فيها، صار ذلك بداهة. لا تتوصل إلى أن تفهم كيف أمكن له أن يفلت منها، لكنه واقع. انقضت ساعة الزحام، وصارت القطارات الواصلة نادرة بالتدريج، والجماهير في المحطة تتبعثر، فقد صار الوقت مساء. في هذه الساعة كان أوليفييه في بيت ف، أو في الطريق إلى بيتها، يسعها أن تتكور على الأرض، أن تصرخ كالمجنونة، لكن ذلك لن يغير من الأمر شيئًا. ترى ذلك تمامًا في عيون المارة، بأن هذا ما يفكرونه عنها، يقولون لأنفسهم، أو لا لا، مجنونة أخرى. بما يعني أن ف لا تحتكر الوضع، في هذه اللحظة فقط تفكر بذلك. لابل ربما يسعها التغلب

عليها في هذا المجال لو شاءت ذلك. لا شيء أسهل من ذلك بعد كل شيء. يكفي التوقف عن التفكير بأي شيء، وتفريغ الدماغ، والاستسلام للقلق الذي يعض أحشاءك. يجب فقط نسيان الطفلين الصغيرين اللذين ينتظرانك في البيت، اللذين يعتمدان عليك، واللذين يعتبرانك مركز الكون. سوى أن جوليبت عاجزة عن فعل ذلك وقتًا طويلًا جدًا. ألا تفكر بصغيريها، ثم إنها فوق ذلك بدأت تملّ من النظرات الآسفة التي يلقيها الناس عليها. فقررت حينئذ أن تهدأ، وأن تحزم الجنون، وأن تستند إلى عمود وأن تشعل سيجارة.

تدخن دون أن تفكر بشيء، وقد ثقل رأسها بفعل بكائها الشديد، وألم العضلات كما هو الأمر بعد التمالة. تصحو بهدوء، وتعود من جديد إلى حياتها.

إنها هادئة الآن تمامًا. تحس نفسها كما لو أن كل شيء انتهى. تعرف أنها خسرت.

طلبت رقم البيت كي تتكلم مع مربية الأطفال.

ما إن اتصلت جولييت به حتى امتطى جان كريستوف موتوره واتجه نحو محطة سان لازار. ألقت بنفسها بين ذراعيه، وشرحت له الوضع وتوسلت إليه أن يصحبها للعشاء في مكان ما. كانت مربية الأطفال على الهاتف قد قبلت حراسة الطفلين حتى منتصف الليل، لا أكثر. كانت جولييت قد أحست من لهجتها الفرغمة أن ذلك لم يكن يناسبها أبدًا. لكنها للمرة الأولى لم تكن تؤنب نفسها إذ تفرط في الاستفادة من لطفها وأن ترغمها على فعل ما تريد. أيًا كانت قوة الحب الذي تشعر به نحو طفليها، كانت تحس بنفسها عاجزة في هذه اللحظة عن العودة كي تقرأ لهما حكايات الأمير الفاتن في الوقت الذي يمارس فيه أوليفييه الحب مع ف.

كان جان كريستوف كما كان بوسعها أن تتوقع، قد اختار المطعم الأكثر فخامة وأشدها ولاشك غلاء في الحي. كان ينتهي من التوصية على الطعام ويختار النبيذ حين رن هاتف جولييت. كان أوليفييه قد وصل إلى بيتهما ودهش من ألا يعثر عليها في البيت. أحست خلال لحظة وجيزة بهدوء شديد، بينما تسأله بصوت عال كيف أمكنها أن لا تلتقيه في المحطة. شرح لها بجفاء أنه أخطأ في القطار وأخذ قطارًا آخر كان يصل إلى محطة مونبارناس. كان صوتها لا يزال على ماهو عليه من التوتر. لم يمر على البيت إلا كي يشحن بطارية هاتفه. كان يريد أن يعرف إن كانت سوف تعود عما قريب، إن كان بوسعه تحرير بولاند التي كان على ما يبدو غاضبة.

ترددت جولييت.

أجابت، بالتأكيد. قل لها أن بوسعها الذهاب. ما دمت الآن موجودًا.

تنهد وقد فرغ صبره.

قال، لا تتظاهري بأنك لا تفهمين. لا أستطيع أن أبقى.

أجابت، لا أرى لماذا.

يجب أن أذهب لرؤية ف. أخشى أن ترتكب حماقة ما.

منذ أن اعترف لها بعلاقته، كان أوليفييه يحترم بلا دمدمة القانون الذي فرضته جولييت، مخرّمًا على نفسه أن يلفظ أمامها اسم ف، مكتفيًا بلفظه كما تفعل زوجته، بلفظ الحرف الأول منه. وفي أغلب الأحيان لم يكن ذلك ضروريًا، مجرد ضمير الغائب كان كافيًا. دهشت جولييت في داخلها أنه حتى في هذه اللحظة من الأزمة، في الوقت الذي تشعره أنه على وشك الانفجار، كان يستمر في احترام هذا الاتفاق الضمني.

قالت، لا تذهب، وعيناها محدقتان بجان كريستوف الذي كان ينظر فيما وراءها، هادئ الأعصاب، مستغرقًا في تأمل الصور الفوتوجرافية المعلقة على الجدار المواجه له.

في الثانية التي تلت، قفزت وأبعدت غريزيًا الهاتف عن أذنها. على الطرف الآخر كان أوليفييه قد طفق يصرخ.

قولي لي ماذا يجب أن أفعل، قولي لي إياه إذن، بما أنك واثقة من نفسك. أتعلمين، إذا قتلت نفسها، فستكون أيضًا نهاية علاقتنا.

بدا لجولييت أن صرخات أوليفييه رغم أن مكبر صوت هاتفها لا يعمل، كانت مسموعة حتى المائدة المجاورة. ولم يفوت جان كريستوف من ناحيته أية كلمة. كان قد كف عن اصطناع الرصانة وكان، وذقنه موضوعة على يده، يراقب جولييت بانتباه لا يمكن تحليله.

أغلقت جولييت عينيها.

قالت، أريد لهذا الجحيم أن يتوقف.

التزم أوليفييه الصمت لحظة، ثم أجاب بهدوء أكثر:

لقد نبهتك إلى أنني بحاجة إلى وقت.

كررت جولييت، لا تذهب إليها.

طرق جواب أوليفييه مثل تهديد.

أجاب بقسوة، حسنًا.

ثم أغلق الهاتف.

وضعت جولييت الهاتف على المائدة. كانت تحس بالألم. وهي تحرك جفنيها، بحثت عن موافقة جان كريستوف.

أليس كذلك؟...

هز جان كريستوف كتفيه.

نعم. بلا شك.

أهذا كل شيء؟ بلا شك؟

بوسعك أيضًا أن تتركيه يذهب. حسبما أرى عن هذه الفتاة، إن تركك من أجلها، فسرعان ما سيعض زوجك أصابعه ويعود راكعًا على قدميك.

هزت جولييت رأسها غير مقتنعة. كانت تتردد، مع ذلك. فهي نفسها حاولت الانتحار بصورة كاذبة، عند خروجها من سن المراهقة، بعد أن رأت حبيبها آنئذ يقبل واحدة من أفضل صديقاتها. وللانتقام منه، ابتلعت أمامه كل الأدوية التي وقعت تحت يدها إلى أن تخلى عن منعها واتصل بالنجدة الطبية العاجلة ثم طفق يفعل مثلها. كانا كلاهما قد أفرغا محتوى الصيدلية كلها، بما في ذلك حبوب منع الحمل، قبل وصول رجال الإطفاء.

انتهى كل ذلك بغسيل مزدوج للمعدة وفي الغداة مارسا الحب على سرير صغير في المستشفى، قبل أن يطردا من قبل ممرضة حانقة. سوى أنها تبقى، وهي تستعاد، ذكرى طيبة.

ولكن، مهلًا، كانت في العشرين من عمرها.

وماذا لو أنهت حياتها حقًا؟

يبتسم جان كريستوف، وقد لان بفعل هذا الفيض من السذاجة.

لن تنهي حياتها. إن كان ثمة شيء أجدني واثقًا منه، فهو هذا على وجه الدقة.

كيف يسعك معرفة ذلك؟

الناس الذين ينتحرون لا يتكلمون باستمرار عن ذلك. ذات يوم يفعلون الأمر، هذا هو كل شيء.

غطّ بصره. لم يعد يبتسم، فجأة، وتذكرت جولييت بعنف أنه حين كان مراهقًا، قبل أن يتعارفا بوقت طويل، انتحرت أمه. عثر عليها عند عودته من الثانوية مشنوقة. ندمت على أنها أثارت معه، دون احتراز، موضوعًا بمثل هذه الحساسية، وبحثت عبثًا عما يمكن لها أن تقوله لتدارك الأمر. لكن جان كريستوف كان قد عاد إلى الابتسام، بلامبالاة تكاد تكون موسومة بالمرارة.

كانت جولييت لا تزال تتردد. كانت تداعب هاتفها، قلقة.

من يؤكد لي أنها لن ترتكب حماقة ما إلا لكي تخيفه؟ لو منعت أوليفييه من الذهاب لرؤيتها وابتلعت علبة حبوب أثناء ذلك، فلسوف يكرهني.

وافق جان كريستوف، هذا مؤكد.

فكرت جولييت لحظة أخرى، ثم استعادت الهاتف وطلبت رقم البيت. رفع أوليفييه السماعة على الفور، بعد نصف رنة بالكاد، وهو ما أعطى جولييت انطباعًا مزعجًا بأنه كان يتوقع اتصالها.

نعم؟ قال بصوت محبب يختلف كليًا عن لهجة الاتصال السابق. حمل اليقين الظاهر الذي بدا عليه من أنه ربح المعركة جولييت على النرفزة.

سألته ببرود، إذن، ما الذي تفعله؟

أجاب، لا أدري. لماذا تتصلين بي؟

كانت محرجة.

التزمت جولييت الصمت لحظة، حيرى. على الطرف الآخر من الخط، انتظر أوليفييه بصبر. طفقت تتكلم ببطء. كانت الكلمات محصورة في مكان ما بين دماغها وفمها، وكان عسيرًا عليها اجتياز شفتيها.

هل تعلم أنك إن ذهبت لرؤيتها فستكون كل ثانية تقضيها معها جحيمًا

بالنسبة إلي؟

ازداد أوليفييه لطفا. أحس بها على وشك التساهل ولم يعد عدوها، فجأة، عاد من جديد رفيقها، عشيقها، من يتقاسم معها عذاباتها.

طبعا، أجاب بحنان، وهو يكاد يسحر صوته وحده يحيط كتفيها بذراعه. بالتأكيد أعرف ذلك.

أرغمت نفسها على المتابعة.

وماذا سوف تفعل هناك؟ هل سوف تمارس معها الحب؟

تردد.

قال، لا. سوف ترغب، هذا أكيد، وسوف تفعل كل ما يجب فعله من أجل ذلك، ولكن لا. ثم إننا مرضى، فوق ذلك. لا. سأحاول فقط أن أهدئ من روعها.

هذه المحادثة سريالية. تحدق جوليت في سماط المائدة، وهاتفها الجوال مسحوق على أذنها، وتمشد باليد الأخرى جبهتها. ترتجف يداها. تتخيل الساعات أمامها لو تنازلت وتحققت فجأة: يطلب إلي الإذن بالذهاب لرؤية هذه الفتاة وأنا في طريقي إلى إعطائه إياه.

لمحت بسرعة البرق تسلسل الأمور. رأت نتائج الكلمة التي سوف تقولها، بكل وضوح، على مسافة العديد من الكيلومترات ومن السنين.

مذهلة هذه البصيرة المفاجئة، تكتشف نفسها وسيطا روحيا، لها رؤى، ومضات.

ف شعناء، دامعة العينين تتعلق بأوليفييه كغريقة بسطح خشبي، تلقي بنفسها عليه، تقبله، وتفك أزرار قميصه. وهو الذي يقاوم، و يقاوم، وينتهي بالطبع إلى الاستسلام. لأنه ببساطة رجل، والرجال، بعد كل شيء، وهو أمر معروف، لا يستطيعون المقاومة، ففي طبيعتهم امتلاك الأنثى التي تمنح نفسها، هكذا هو الأمر، ذلك أقوى من إرادتهم. ثم هناك ما تسببه الدموع من إثارة. يمارسان الحب إذن. بلا واق، وهما على ما هما عليه. فالواقي غريب في لوحة العشاق الملعونين، الهوى الذي يلتهب. خلال شهر، ستكون ف حاملا. طفل من أوليفييه ومن ف إلى نهاية حياتهما، وفي حياة يوهان وإيما.

أيا كان ما يجري من ناحية أخرى، أيا ما كانت القرارات التي يمكنهما اتخاذها. هو ذا ما لا يمكن إصلاحه.

قالت، لا.

على الطرف الآخر من الخط، صمت.

تنفست نفسا طويلا، ورفعت عينيها نحو جان كريستوف وكررت، بحسم:

لا. اسمعني. سوف أتناول العشاء مع جان كريستوف وأنت سوف تبقى في البيت مع الطفلين.

حسنًا، قال آنئذ أوليفييه بصوت عذب بلا رنة تقريبًا، صوت يثير الخوف. إذن سوف أقول ليولاند أن تذهب، وسوف أتصل ب ف وأقول لها إنك لن تعودي ، وإنني لا أستطيع ترك الطفلين وحدهما. لاحظي، هذا يعطيني سببًا ممتازًا كي لا أذهب لرؤيتها.

هوذا. حسنًا.

لكن يمكنها أن تحضر إلى هنا، أنبهك.

أخذت جولييت على عاتقها تجاهل التهديد، وتظاهرت بأنها لا تجد شيئًا غريبًا في لهجته. وعدت بأن تعود قبل منتصف الليل وأغلقت الهاتف.

Alea jacta est

قضي الأمر.

وفي الحرب تجري الأمور حسب قوانين الحرب.

منذ البداية، منذ أول جملة لأوليفييه على الهاتف لدي قصة مع فتاة، قلت لها إنني ذاهب إلى السينما معك وطفقت تصرخ أحست جولييت بصورة غامضة تتراءى، وراء كل هذا، معركة، معركة تخوضها ف ضدها. تحس أن الأخرى تريد أن تلبسها شخصية لاتمت لها بأي صلة، البورجوازية الصغيرة المرتبكة، امرأة البيت التي لا تمارس الحب إلا في الوضع التقليدي القوية في الرياضيات التي تجهل كل شيء بالضرورة عن الهوى لكنها لن تستسلم فتلك مسألة كبرياء، كل شخص يضع كبرياءه حيث يريد وإذا كانت كبرياؤها الخاصة بها أنه كان لها ثلاثون عشيقا وأنها اغتصبت وهجرت بعد إجهاضها وأنها لا تريد التعاطف من أحد فهذا حقها الأول ولا أحد يستطيع منعها من ذلك. وبقدر ما يكون الأمر على ما يرام بقدر ما يتحدد الانطباع، لقد بدأ ذلك يزعجها جدًا هذا اليقين الذي لدى ف عن تفوقها، تفوق مدرسة المعلمين العليا، تفوق مسارها المهني وحبها وآلامها تفوق اغتصابها.

تفكر بأن الأمور في الحرب تجري حسب قوانين الحرب ولكن تلك طريقة في الكلام لاشيء إنسانيا في هذه المعركة إنه صراع أنثيين، كاهنة، مذبحة، تحس جيدًا أن ف تريد تمزيقها، تقطيعها أودّ لو تكون ميتة وهي نفسها صراحة لديها بقدر ذلك في خدمتها الطبيعة المسالمة ضمنيًا للمرأة دعني أضحك، إناث قبل كل شيء وحين يكون لهن أطفال فالأمر أسوأ، حين يكون لهن أطفال هناك يصبحن خطرات، هناك يشعرن بالغضب الشديد، هنا يستطعن أن يقتلن.

ابتسمت جولييت لجان كريستوف. تشعر بعد أن اتخاذ القرار أنها خفيفة. حمل النادل طبقيهما. بدأت بتناول الطعام بشهية.

على أنها تذكر بعد ذلك بقليل، للتحقق فقط (صحيح أنها تمحضه كل الثقة بوصفه أبًا، ولكن):

أ) لم يتدبر أوليفييه الأمر كي يقنع يولاند بالبقاء

ب) أو إنه حتى لم يغادر ما إن نام الطفلان.

لم تعد خلال الأيام الأخيرة واثقة من أنها تعرفه جيدًا.

كان هو الذي رفع سماعة الهاتف. عادت يولاند إلى بيتها.

قالت جولييت، حسنًا. وأضافت: كنت أريد فقط أن أتأكد أن هناك أحدًا مع الطفلين.

لم يرد على الاستثارة. واستأنف:

قمت بالاتصال لتوي ببيت ف. لا أحد يجيب. لابد أنها نامت.

أغلقت الهاتف دون أي تعليق إضافي. انقضى ما تبقى من الأمسية مع جان كريستوف بمرح تقريبًا. كانا يتكلمان، ويطيلان المكوث على المائدة. جان كريستوف الذي يستخدم الدراجة النارية يشرب قليلًا، في حين أنها تقوم بإفراغ الزجاجة كلها وحدها تقريبًا. في نهاية العشاء ضحكت مقهقهة ونظرت إليه بامتنان، هو الذي يعرفها جيدًا لكنه لا يحكم عليها، ولم يؤذها من قبل أبدًا. في اللحظات المماثلة تبدو الصداقة ذات ميزات تتفوق على الحب، وخصوصًا على الهوى العاشق، بحيث أننا نتساءل حقًا لماذا يستشرس الناس للعيش أزواجًا؟

حين غادرا المطعم، كانت جولييت لا تزال لا ترغب أبدًا في العودة إلى بيتها، فطاف بها جان كريستوف آنذاك باريس على الموتور، كان يقود بسرعة وبصورة حسنة، مع الإسراع الشديد، وكانت تحيطه بذراعيها وتضم نفسها بقوة إلى ظهره، وتحس عضلاته وعظامه، وحرارة جسده الراشد والخفاق قبل جسدها، دون أية أفكار مسبقة جنسية، كم هو مريح ذلك. تنظر إلى الشوارع التي تتوالى، والرياح التي تداعب ساقيها العاريين. هي في حالة حسنة، كما لم تكن عليها منذ أسابيع عدة.

حين وضعت المفتاح في مغلاق باب شقتها كانت الساعة منتصف الليل إلا دقيقة.

كانت أضواء المدخل مضاءة لكنها لم تر أوليفييه. لابد أنه يقرأ في الصالون. ذهبت مباشرة إلى المطبخ لتتناول مضادًا للالتهاب، وملأت كأسًا من الماء من الحنفية رأسًا. حين استدارت كان أوليفييه ضمن إطار الباب. في الهيئة التي يتخذها الممثلون في الأفلام حين يأتي البطل اللطيف كي

يدافع عن نفسه أو لأنه أرتكب خطأ على ارتكاب جريمة قتل فيذهب نحو زوجته، مذهولًا، بينما لا تزال السكين وهي تقطر دمًا بيده. لايقول شيئًا. ولا هي كذلك. لا تريد طرح الأسئلة. حينئذ سوف يذهب للتهالك على كنبة المدخل، ويضع وجهه بين يديه قبل أن يرفع رأسه وينظر إليها. تابعته حتى عتبة المطبخ وانتظرت وهي تشرب كأس الماء برشفات صغيرة. تراقب زوجها عن بعد، بعين نقادة، وتحكم على تصرفاته المفرطة بعض الشيء في مسرحيتها. لم تعد تخشى مما سوف يعلنه لها. لايل لديها انطباع عذب بأنها لا تهتم، وأنها جاهزة لسماع أي شيء.

قال، جاءت.

لم ترتعش. تحدق فيه.

قرعت الباب، كنت أشرف على نوم الطفلين، نظرت عبر عين الباب، كانت على الدرج. هتفت إلى تريستان، كان ينتظر في السيارة أسفل العمارة، قال لم أستطع فعل شيء كي أمنعها من المجيء. كنت أريد أن تكف عن قرع الباب ففتحت لها بالكاد، وطلبت إليها أن تبقى حيث هي ريثما ينام يوهان وإيما، تركت نفسها تقع على الممسحة أمام الباب. بعد ذلك دخلت، وأجلستها على هذه الكنبة وأشار إلى الكنبة تحته، تلك المصنوعة من الكتان الطبيعي والمفضلة عند جولييت، هديته في عيد ميلادها، جعلته يهديها إياها لأنهاكانت الوسيلة الوحيدة لإقناع أوليفييه بشرائها، فقد كان يجدها مرتفعة الثمن كثيرًا لم تذهب أبعد من المدخل أقسم لك.

نظر إليها بهيئة متوسلة ومفعمة بالمآخذ، استمرت في السكوت ولم يقل صمتها شيئًا ذا قيمة. نرفز.

ماذا بوسعي أن أفعل غير ذلك، قولي لي! اتصل بها طبيبها النفسي حين كانت هنا، عنفها، لكنها لم تكن في حالة يسعها الإصغاء إليه، ألقت بجوالها إلى الأرض. وفي النهاية، صعد تريستان، وقال كفى الآن، نزلت معهما كي أساعده على وضعها في السيارة تركت الطفلين وحيدين لمدة خمس دقائق بالكاد. ما إن صرنا في الشارع حتى تركناها، حاولت إلقاء نفسها تحت سيارة أمام أعيننا.

جولييت تسمع.

قالت بصوت طبيعي، جعلتها تدخل هنا بينما كان الطفلان ينامان.

اتخذ هيئته الحانقة.

ماذا تريدين أن أفعل، جولييت. هل سمعت ما قلته لك؟ ألقت بنفسها تحت السيارة أمام أعيننا.

أمام عينيك، بالتأكيد، تنهدت، فجأة مرهقة، شديدة الهدوء. المرة القادمة

إن أنت هنا، أحذرك، سأدعو الشرطة.

نظر إليها كما لو كانت قد تلفظت بكلام ناب. مالك، هل تسمعين نفسك ما تقولين؟

نهضت.

إنني جادة. الآن كل واحد يعمل لنفسه، كل واحد ينقذ نفسه. سوف أذهب للنوم، عندي محادثتي السنوية مع شاتيل غدا.

توجهت نحو غرفة النوم. تبعها.

كررت دون أن ترفع صوتها: أوليفييه، أريد فعلا أن أنام.

نظر إليها نظرة حيوان ملاحق. لا أفهم كيف يمكنك معاملتي على هذا النحو. ماذا فعلت لك؟

هزئت بصورة ضعيفة.

ما فعلته لي.

اتصلت جولييت بفلورنس بعد ظهر اليوم التالي. كانت قد خفّفت من الخسائر خلال محادثتها مع مديرها العام، لكنها شعرت بنفسها منهكة. حكت إلى فلورنس، أن شاتيل ترك كالعادة دوقا باب مكتبه مفتوحا على مصراعيه طوال مدة اجتماعهما وحدهما، كان يسخطها هذا الانطباع بأنه يخافها، كما لو أنها نمر مستعد لالتهام مروضه. في حين أنها تبقى منفردة مع بيسينياك طوال ساعات كي تقول له ما لا يعلمه سوى الله.

ضحكت فلورنس. سألتها جولييت إن كان بوسع بول أن يجدد لها وصفة الدواء المهدئ، ليكسوميل، وكذلك إن كان بوسعها أن تأتي للاستراحة عندهم قليلًا في نهاية النهار بعد خروجها من العمل. أجابتها فلورنس، بالتأكيد، بوسعها المرور متى شاءت.

في الليلة السابقة، بعد نقاشهما، كان أوليفييه قد غادر غرفتهما وهو يصفق الباب. كان قد نام بملابسه كلها على كنبة الصالون. في الصباح قالت له:

لقد فكرت. فيما يخصني هذه القصة انتهت. لا أريد أن أسمع عنها شيئا. إذن، أريد أن تأخذ بعض الحاجات وأن تغادر البيت ولا تعود إلا عندما ينتهي كل شيء. حين أكون على ثقة من أن هذه الفتاة لن تأتي إلى هنا ما إن أدير ظهري.

كان قد رد، وقد انطوى على نفسه:

لا أفهم حقًا لماذا رد فعلك على هذا النحو. أريد أن أقول لماذا الآن. ما فعلته أمس، كان استمرارًا لما فعلته منذ أيام وأيام من أجل أن يتوقف هذا. أتعلمين، لم تكن تلهو.

كانت قد أجابت، لاشك. لكن هذا سواء في نظري. قلت لك على الدوام إن لي حدودي، وأنني لا أعرفها أنا نفسي. حسنا، هذه هي الآن، هي هنا. الآن أقول كفى. كل شخص يهتم بنفسه. أنا أحمي طفلي، وأحمي نفسي أيضا من الآن فصاعدا بما أن أحدًا لا يفعل ذلك من أجلي

.

كان قد أجاب ببرود:

حسنًا، إن كان هذا ما تريدين. هل أستطيع مع ذلك أن أجعل الطفلين يتناولان الغذاء أم يجب أن أغادر على الفور؟

وهي تخرج من غالاتيا ذلك اليوم لتذهب إلى بيت فلورنس، لم تكن جولييت تملك القوة للذهاب بواسطة المترو. فأخذت سيارة أجرة. كانت

قد فقدت ستة كيلو غرامات خلال ثلاثة أسابيع، وكان وجنتاها غائرتين، وعيناها محاطتين بالزرقة. وكان بول الذي جاء ليحييها بين اثنين من زبائنه قد توقف حين رآها. سألته إن كان بوسعه أن يكتب لها وصفة الدواء المهدئ. تردد وجلس قبالتها، مهمومًا.

سألها، أين أنت الآن مع أوليفييه؟

أجابت، يبدو لي أنني أرى الأشياء بأكثر ما يمكن من الوضوح. ليست القصة مجرد قصة غيرة. قناعتي أن هذه الفتاة مجنونة وشريرة. أود أن تختفي من حياتي. وأن يختفي هو الآخر أيضًا إن كانت لا تزال في حياته. أشعرني مرتاحة الآن بعد أن اتخذت قراري.

وافقت فلورنس، صحيح. يبدو عليك أنك أفضل حالًا.

نظر إليها بول كما لو كانت مجنونة. واجهته بنظرتها.

ألحت، أؤكد لك، إنها أفضل حالًا.

تخلى عن معارضتها واكتفى بهزّ رأسه من اليمين إلى الشمال، بصورة خفية. رشقت جولييت، من ناحيتها، فلورنس بابتسامة حقيقية، هي الأولى منذ وصولها. استعاد وجهها على الفور قليلًا من الحياة والعذوبة، وهو ما عزز نظريتها في سلطة الكلمات التي ما إن تلفظ حتى تصير فعلًا ناجزًا، والتي كان بول، الذي مارس التحليل النفسي خلال اثنتي عشر سنة، يرفض بالطبع تبنيها.

وعلى الفور قام بهجوم مضاد.

الآن سوف يتوجب عليك أن تنتبهي لنفسك ماديًا. منظرك مخيف.

فقدت جولييت ابتسامتها. اغرورقت عيناها بالدموع. ألقت فلورنس على بول نظرة قاسية. سكت، مرتبكًا، ومعترفًا بهزيمته.

هل لديك أخبار عن أوليفييه منذ هذا الصباح؟

هزت جولييت كتفيها متقززة.

تلقيت رسالة هاتفية لدى وصولي إلى المكتب: «تقي بي. سأتصل بك بعد الظهر. حياتي هي أنت.» ومنذ قليل لا يتوقف عن الاتصال. قمت لتوي بإغلاق هاتفي.

اقترحت فلورنس، هل تريدين الذهاب لتتمددي قليلًا؟

أجابت جولييت وهي تنهض مطيعة، أريد ذلك جيدًا. لدي انطباع بأنه مضت علي أسابيع لم أغلق خلالها عيني، لم أعد أحتمل.

ما إن تمددت على سريرهما حتى نامت. أيقظتها رنات الهاتف الأرضي. حاولت النوم من جديد عبثًا، ثم استسلمت للنهوض وانضمت إلى فلورنس وبول في الصالون.

قال لها بول، كان أوليفييه على الهاتف. كان يريد أن يعرف إن كنت هنا. قلت له إنك كنت تستريحين.

تنفست جولييت. في اللحظة ذاتها رن جرس الباب.

قال بول، سأذهب لفتح الباب.

كان أوليفييه من جديد، بلحمه وعظمه هذه المرة. ابتسم لبول بهذا المظهر المرتبك وشبه الفخور في آن واحد الذي يظهر به منذ بداية هذه القصة في مواجهة الناس الذين يعرف أنهم على علم. لم يرد عليه بول ابتسامته واكتفى بمصافحته، ثم ابتعد كي يسمح له بالدخول. اتجهت فلورنس نحوهما وقبلت أوليفييه على خده، قبل أن تتذكر على غير انتظار مسألة عاجلة تستدعيها في المطبخ. أما بول، فقد كان من ناحيته قد اختفى.

بقي أوليفييه واقفًا لحظة أمام جولييت التي، وهي جالسة على الكنبة، لم تكن قد تحركت. مع هزة كتفين مستسلمة، أشارت له إلى مكان بالقرب منها.

إجلس.

استجاب، محتفظًا بصمت سرعان ما وجدته جولييت مضحكًا وجهدت في كسره.

إذن، إلى أين وصلت؟

أتريدين أن أقص عليك؟

طالما أنت هنا.

حكى القصة. كان قد رأى ف صباحًا، وضرب لها موعدًا في إحدى الحدائق. وبينما كان يسير نحو مكان الموعد، ظن أن من المفيد تدقيق ذلك، كان قد حرر هذا النص إلى جولييت «ثقي بي، حياتي هي أنتِ» قبل أن يطفئ جواله خلال عدة ساعات، خوفًا من أن تتصل به.

عند هذه اللحظة من القصة، صدرت عن جولييت تنهدة خفيفة لم يبد على أوليفييه أنه لاحظها. أو إن كان لاحظها لم يفهم سببها.

مع ف كان قد تحدث مطولًا بهدوء. قال، كان ذلك أمرًا حسنًا، رغم أن البداية كانت سيئة.

سألت جولييت، لماذا كانت سيئة ؟

قبل ذلك تمامًا، كنت قد اتصلت بتريستان كي أطلب منه إن كان رقم هاتف طبيبها النفسي معه. هذا الأحمق لم يجد أفضل من أن يهتف إلى ف ليقول لها إنني أريد أن أحجزها في مستشفى.

قالت جولييت، ليست فكرة سيئة.

تجاهل أوليفييه مقاطعتها. أكد لها أنه خلال هذا النقاش مع ف كان أكثر وضوحا من أي وقت مضى من قبل، مكررًا لها أنه مع جولييت قبل عشر سنوات، وأنها مهما تشبثت بما تتخيله ، فقد كان لقاؤه أيضًا بجولييت لقاءا حقيقيًا.

قاطعته جولييت من جديد. وكما هو الأمر دومًا، كانت تزن كل كلمة من كلماته، رغم أنها عرفت تمامًا إلى أي حدّ كان ذلك يزعجه.

« مهما تشبثت»؟ لماذا؟ ما الذي تتخيله؟

لا أدري عن ذلك شيئًا. لكني أفترض أنها تظن أنك وأنا، كان زواجنا زواج مصلحة.

قالت جولييت، رائع. تابع.

قلت لها مجددًا إن حياتي هي أنت، وأننا بيننا أشياء مهمًا وأنني لا أريد أن أفقد كل هذا. استعرضنا اللحظات التي تغابيث فيها، حين كنت غير مسؤول، حين خططنا حين خططتُ لهذه الرحلة إلى روما، حين كنت أقول أشياء، أو كنت قد تركتها تقول أشياء، ما جعلها تفترض أنني رغم قولي على الدوام إنني لست في طريقي إلى الانفصال عن زوجتي، فقد كانت تلك مع ذلك نهاية ممكنة.

مثلًا؟ سألت جولييت، وهي تفكر بهذه الجملة التي كانت ف قد قالتها: «أود لو كانت ميتة»، والتي لم يتوقف عندها أوليفييه.

مثلًا عندما كانت تقول: لم أكن أبدًا سعيدة على هذا النحو.

وكنتَ تجيبها: ولا أنا أيضًا؟

لا، لم أقل لها ذلك. لا، لا أعتقد أنني قلت لها ذلك أبدًا. إلا أن من الصحيح أنني في الاندفاعات العاطفية الأولى لابد وأنني قلت إنني أعثر لديها على أشياء لم يسبق لي أن عشتها منذ زمن طويل، نعم، هذا صحيح.

هزت رأسها بصمت، حزينة حزنًا بلا نهاية.

ثم أيضًا، واقعة أنني كلمتك عنها بسرعة شديدة، قالت لي إن ذلك أعطاها الانطباع بأنني لم أكن من نوع الرجال الذين يتخذون عشيقة خلال سنوات لكنهم لا يتركون أبدًا زوجاتهم.

تردد قليلًا قبل أن يتابع.

قلت لها أيضًا إنه أمكنني أن أقول لها أشياء لن أعود إلى قولها لها الآن أبدًا، حول الجنس، خصوصًا.

قالت جولييت، آه.

لاحظنا كلانا نحن الإثنين أننا هذه المرات الأخيرة مارسنا الحب وأن ذلك لم يكن على هذا النحو الجيد بيننا أبدًا من قبل.

لا، ليس كلانا، فكرت جولييت. أنا لم ألاحظ ذلك. لكنها اعتادت على أنه يعتقد أنه يعرف أفضل منها ما تحسه.

سألت من جديد، حتى في البداية؟

أجاب أوليفييه، لا، أبدًا. قلت لها ... (تردد من جديد ، يتلعثم)... قلت لها إننا في هذه الأيام الأخيرة معك أيضًا كانت الأمور ...(غيرمسموع)...أنك أنت أيضًا كنت تستطيعين...(غير مسموع) ... وبإيجاز، قلت لها إنها هي الأخرى يمكنها في الأسبوع القادم أن تقع على شخص ستكون الأمور معه أيضًا رائعة.

لم تفهم جولييت شيئًا، حاولت عبثًا، مع ماكان ذلك ينطوي على الأهمية، أن تحمله على تكرار ماقال. كانت واعية بما كان أوليفييه يبذله من جهد فوق إنساني كي يتكلم عن هذا، بدا مرهقًا.

نعم، أخيرًا، إن كان يمكن أن يصير ذلك، مثلًا.

تخلت عن ذلك.

وبالتالي؟

وبالتالي، اتفقنا على أنه يجب أن نترك الوقت يمر. محت رقمي من هاتفها الجوال أمام عيني. (كصدى تستعيد جولييت جملة: ألقت بنفسها تحت السيارة أمام عيني! ياله من مسرح، ستقول لها فلورنس فيما بعد وصحيح أن لدى ف رقم أوليفييه في ٣٧٩ نسخة على الأقل في رسائله الهاتفية وفي ذاكرة اتصالاته بها.)

كم من الوقت؟ سألت جولييت، على الدوام؟

أجاب أوليفييه، لا، لم نقل على الدوام. كان واضحًا أن المقصود ترك وقت الصيف يمر لكننا لم نضرب كذلك موعدًا في شهر أيلول/سبتمبر أيضًا. الآن، المسألة هي: لا أدري إن كان علي أن أوقف خطي الهاتفي أم لا.

صدر عن جولييت بعض الهمهمة من المفاجأة.

قالت، هذا جذري بعض الشيء، أليس كذلك؟

طقطق أوليفييه أصابعه، بعصبية.

نعم، ولكن حسنًا ستكون هذه إشارة واضحة. لا أدري في النهاية. سنرى.

فترة.

باستثناء ذلك أرتني تحاليلها. إذن هي مريضة بالشغلة، الشيء، مثلك...

قالت جولييت، كنت سأدهش لو كان الأمر عكس ذلك.

... واختبار الإيدز كان سلبيًا.

أخيرًا خبر جيد.

ينظر إليها أوليفييه حائرًا، لا يدري كثيرًا ماذا يفكر بموقفها. ابتسمت له.

استأنف، وقد تشجع:

ما الذي تنوين عمله؟ هل ستعودين إلى البيت؟

بالتأكيد. لأقبل أرنبي الصغيرين.

حسنًا، إذن سأذهب لأخذ بعض الحاجيات ثم أذهب لأبحث عن فندق. سوف يزيد ذلك من الخسارة، ولكن ..مع الوضع الذي أنا فيه.

إذهب إلى بيت رفيق لك.

قال، ليس عندي رفيق.

ستيفان.

هز أوليفييه رأسه.

ليست لدي أدنى رغبة في أن أحدثه عن ذلك.

أجابت، أوكي، إذن الفندق، رغم عدم معرفة إلى أين يؤدي ذلك جيدًا.

مع ذلك، فإن فكرة أنه لن يكون في البيت عندما ستعود تريحها.

بعد مغادرته خرجت بدورها إلى السطح مع فلورنس لتناول الشراب.

قالت فلو، لم يفهم. ولسوف لن يفهم. وليس قادرًا على أن يقول»لا أفهم». بول وأنا سمعناك كل يوم، ما تقولينه واضح. حين كلّفه بول، حاول أن يقول له أشياء، قال نعم وفي النهاية كان يقول العكس وقد قال لي بول إنه كان يفهم ما كنت تريدين قوله حين قلت إنه لا يسمعك، إنه لم يكن يصغي إليك.

وافقت جولييت بكآبة.

سألت فلو، متى ماتت أمه؟

السنة السابقة على زواجنا.

قالت، أيوا، أيوا. فوق ذلك صرت أفا، هذا يغير كثيرًا من الأشياء بالنسبة إلى الرجال.

لم يكن أوليفييه قد ذهب.

حين كانت جولييت تعود إلى البيت مساء، بدا أنه يحترم وعده. فالدرج الذي يحتوي جواربه وملابسه الداخلية كان قد بقي نصف مفتوح وكيس السفر الصغير الأزرق كان قد اختفى.

كانت جولييت قد قضت الأمسية وحدها مع طفليها، هادئة وجاهزة لهما للمرة الأولى منذ أسابيع. كانت قد لعبت مع إيما التي كانت سعيدة بذلك لعبة العائلات السبع في حين كان يوهان ملتصقًا بها ماضًا أصبعه يستغرق في النوم على ركبتيها.

ثم خلدت إلى النوم واستغرقت فيه دفعة واحدة. استيقظت خلال الليل عدة مرات، قفزًا، ولديها الانطباع بأنها تسمع أصواتًا في الشقة. أرغمت نفسها على ألا تتحرك. كانت الأصوات تأتي على وجه التأكيد من الشقة العليا أو السفلى، فقد كانت هذه العمارة رنانة كثيرًا. لم تعد لديها عادة النوم وحدها، هذا هو كل شيء.

في الصباح دخل أوليفييه إلى الغرفة بثياب الحمام، مبتسمًا وصينية بيديه، حاملًا إليها قهوتها كما لو أن شيئًا لم يكن. تأملت فيه مذهولة، أوقفته على الفور.

ألم تصلك رسالتي؟

لا.

كنت أقول لك إنني سأكون هنا من أجل فطور الطفلين هذا الصباح. انتظرت أن تكوني نائمة كي أعود، نمت على الكنبة. عبثًا فكرت، لم أكن أرى لماذا ليس علي أن أكون هنا. هذه المرة فهمت ف. لم يعد هناك أي خطر في أن تستأنف من جديد.

لم تعلق وتناولت قهوتها وهي تشكره، دون أن تصدر أي اعتراض. كان يوسعه أن يبقى، لم يكن لذلك أية أهمية، فقد كانت قد قررت الذهاب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع لدى واحدة من صديقات طفولتها، في منطقة بزقاني، سوف نمر فقط على البيت لاصطحاب الطفلين بعد خروجها من العمل قبل الذهاب إلى محطة القطار.

مضت شهور وإليزابيت تدعوني وأنت لا تطيقها. ومن ثم لم أعد أراها أبدًا.

بدا على أوليفييه الانزعاج لكنه لم يحتج، شاعرًا أنه لا يملك إلا القليل من الحظ كي يحملها على تغيير رأيها. من بين كل رفيقات جولييت، كانت

إليزابيت بالفعل من كان أقل حبًا لها. كان يجدها جافة ولاذعة، أنانية، وكانت مثليتها المعلنة تضايقه. وكانت إليزابيت من ناحيتها تبادله مشاعره نحوها على نحو واسع ولا تخفي ذلك إلا بالكاد. تنبه إلى التأثير الذي يمكن أن يكون لمحادثتهما على جولييت. هزت هذه الأخيرة كتفيها.

لا تقلق، ليست لدي النية في أن أحدثها عن حكاياتنا. أعرف مسبقًا ماذا يمكن أن تفكر به وليست لدي الرغبة في أن أسمعه منها.

قضت في بيت صديقتها إليزابيت الصغير الميني من حجر الصوان إجازة نهاية أسبوع استثنائية، خارج إطار الزمان، عاشتها كما لو أنها لمحة عما سيكون عليه وجودها إن انتهت إلى الانفصال عن أوليفييه. لم يكن لإليزابيت أطفال. كانت تعلم الفرنسية في كلية بمدينة موريبان وتعيش وحدها وسط كتبها وقططها. كانت ثرثارة كبيرة، ذكية بشدة، فسلية بشدة مسلية بصورة شريرة. وهما متمددتان على كرسيين طويلين في حديقتها المزهرة، كانت هي وجولييت تتبادلان أحاديث طويلة حول موضوعات مختلفة رغم أنها تدور حول القيمة ذاتها حياة إليزابيت، حكايات حب إليزابيت، تلامذة وزملاء إليزابيت في العمل تتخللها نزهات على الدروب الساحلية. لم يرد اسم أوليفييه مرة واحدة، وبالتالي، فقد عفرت جولييت على ضرب من اللامبالاة والغبطة فقدتهما منذ زمن طويل. ضحكت كثيرًا. أما بالنسبة إلى إيما ويوهان، فقد قضيا إجازة نهاية أسبوع لا تنسى بفضل حضور قطط صغيرة كانت مينيت، إحدى القطط التي تبنتها إليزابيت، قد ولدتها لتوها.

مساء الأحد، وصلوا باريس متأخرين جدًا، بعد رحلة دامت ثماني ساعات. كانت محطة لافال تحترق. فوُجهت القطارات الأخرى باتجاه مدينة نانت. حين نزلوا أخيرًا على الرصيف، لم يكن الصغيران وقد أنهكهما التعب قادرين على الوقوف. تعذبت جولييت كثيرًا حتى استطاعت جرهما إلى التاكسي من أجل العودة إلى البيت. كان أوليفييه ينتظرهم، شديد التعصيب. كانت قد أرسلت له رسالة هاتفية لتعلمه بتأخرهم. كان قد ترك لها عدة رسائل يسألها فيها أين كانوا، مقترحًا المجيء بالسيارة لنقلهم، لكنها لم تسمع الرسائل إلا عند وصولهم إلى محطة مونبارناس. حين توقف التاكسي أمام العمارة كان أوليفييه على الرصيف. وبينما كانت جولييت تدفع الأجرة إلى السائق فتح الباب وحمل إيما النائمة على المقعد. ثم أمسك بالحقيبة وصعدوا السلم معًا، بينما حملت جولييت يوهان بين ذراعيها.

حين نام الطفلان أخيرًا، تهالكت جولييت على كنبة الصالون، مرهقة.

وأنت، كيف كانت إجازة نهاية الأسبوع بالنسبة لك؟

كان يبدو على أوليفييه الإرهاق على الدوام. بدت منه إشارة من يده كي يوضح المسألة.

لا شيء تقريبًا.

تقريبًا؟

اتصلت بي مرتين اليوم. في المرة الثانية كنت أتلقى خبر تغيير اتجاه القطارات، ولم أكن أعلم أين كنت مع الطفلين، كنت أنتظر أن تتصلي بي، لم أكن أريد إشغال الخط. لم تقبل ذلك، ظانة أنني كنت أخترع أي شيء.

بقيت جولييت صامتة خلال لحظة. ثم شرحت بهدوء لأوليفييه ما كان يجري في نفسها منذ الأربعاء الماضي مساء، مادام يبدو أنه لا يملك فكرة واضحة جدًا عن ذلك.

الآن، أترى، لم يعد الأمر مجرد حكاية بينها وبينك. لقد أحصيت أنها منذ أسبوع لم يمض يوم دون أن تتدخل في حياتي، في حميميتي، إنها تلحق بنا إلى المسرح، تتصل بي في المكتب، تأتي إلى بيتنا، ذهبت إلى أوبيتيي...

قال، أعرف. ومعك الحق، ليس هذا مقبولًا. ثم إن استمرت على هذا النحو، سأعلمها بذلك. لقد فهمت تمامًا على هذا النحو طلبك مني الذهاب. إن كان ذلك ضروريًا، أنا على استعداد للذهاب من أجل السكن في مكان آخر حتى موعد ذهابنا إلى توسكان. (تردد قليلًا). إخيرًا إن كان لا يزال من المؤكد ذهابنا إلى توسكان؟

كانت جولييت قد فكرت بالأمر طوال إجازة نهاية الأسبوع.

أجابت، نعم، هذا يبدو لي مؤكدًا. إلا إذا حدثت بالطبع من الآن وحتى ذلك الحين أحداث استثنائية لا أستطيع أنا نفسي أن أتنبأ بها.

لم يبد أن هذا الجواب يطمئن أوليفييه. كان يقضم أظافره.

نظريًا، لم يعد هناك إلا أربع وعشرون ساعة.

أربع وعشرون ساعة؟

ستذهب في إجازة الثلاثاء.

همهمت جولييت، هممم. نظريًا. ما الذي تريده منك هذا المساء؟

أن أذهب لرؤيتها في بيتها. بالطبع.

بالطبع.

أحست جولييت بموجة من الرعب تجتاحها.

لابد أنها في مرحلة الإخصاب.

لم تكن تمزح. تابعت بجدية:

أوليفييه. إذا عدت لرؤيتها من الآن وحتى ذهابنا، لا تمارس الحب معها. إنها تريد أن تحمل منك طفلًا، وأنا على ثقة من ذلك. أعرف أنك لا تظن ذلك ممكنًا، ولكنك لا تعرف ما الذي تنطوي عليه قدرة بعض النساء. ثق بحدسي. أنا على ثقة من ذلك.

أجاب أوليفييه مثيرًا دهشتها، أعرف. إنها تريد طفلًا مني. لقد قالت لي ذلك عدة مرات.

خبأت جولييت وجهها بيديها. فكرت، شريطة ألا يكون قد قضي الأمر.

وضع أوليفييه ذراعه حول كتفيها وأرغمها على أن تنظر إليه.

لا تخافي يا جولييت. أنا أيضًا فكرت خلال إجازة نهاية الأسبوع. أنا شديد الوضوح حول بعض الأشياء: لم أعد أريد أن نرى بعضنا، هي وأنا، في الوقت الحاضر. بل ولم أعد أريد أن نتضاجع. لكني أعرف أيضًا أنني لا أريد وأنني لا أستطيع أن أكون فظًا، أو عنيفًا معها. أظنني أعرف الكلمات التي يمكن أن توقف كل شيء، لكنني لن أقولها، حتى ولو دام ذلك وقتًا أطول. إنها هشة، ويجب علي مسايرتها. إذا أمكنني أن أحظى بيومين أو ثلاثة أيام من «الهدوء» هذا مسيء إليها أن تُقال الأشياء على هذا النحو، ولكن لا بأس فإنني أعرف أن ذلك قد حدث لأنني تحدثت معها الخميس صباحًا. أنا واثق بالأحرى، وأظن أن الأمور ستتغير بالنسبة إليها خلال شهرين، وبالنسبة لي أيضًا.

أتظن؟

أنا واثق من ذلك تمامًا. فضلًا عن الخيبة في الحب، هناك بالنسبة إليها الإذلال. هذا أيضًا ستتجاوزه.

هزت رأسها.

ما دمت تقول ذلك. لنذهب إلى النوم.

نهضا كلاهما واتجها نحو غرفتهما. على العتبة، أوقفته.

لماذا لا تريد أن تتركني؟ سيكون ذلك أسهل بكثير.

يبتسم، مداعبًا.

صحيح. جبنًا ربما؟

أجابت، ربما، جدًا.

ولكن لا، لا أظن. لأنني أحب حياتي معك، لأنني أعتقد أنه لا يزال لدينا ما نفعله معًا.

لا يزال يبتسم، ساخرًا: ربما أحب زوجتي، بعد كل شيء، هذا ممكن.

لم تكن لديهما النية، لا هو ولا هي، لكنهما ما إن استقرا على السرير، حتى طفقا، مدفوعين بشيء ما لم يكن الرغبة، لكنهما لم يكونا قادرين

على تسميته، في ممارسة الحب. شعرت بعد ذلك بالحزن. كانت لديها الرغبة في البكاء. ولأنها تعرف أنها لن تنام فقد مدت يدها نحو علبة المهدئ.

قطب أوليفييه حاجبيه.

قال، كانت مجدية ممارسة الحب.

لم تكن قد استمتعت، وقالت له ذلك.

سأل، لماذا؟

كذبت، لا أدري عن ذلك شيئا. لكن لا أهمية لذلك، كان الأمر حسنا رغم كل شيء، سأستمتع في المرة القادمة.

قال، ألهذا أنت حزينة؟

أجابت، لا. كنت حزينة من قبل. منذ زمن وأنا حزينة.

كان أوليفييه حنونا، كما هو دوما بعد ممارسة الحب. مأخذ آخر لجولييت عليه، لأن هذا الحنان المشترى بالجنس لا يساوي في نظرها شيئا هاما. كانت تراه آلية محضة، شكلا متقدما من الاعتراف الحيواني. وهي على خطأ في ذلك، ربما، مثلما أن أوليفييه كان على خطأ في اعتقاده أن كلمات الحب لا قيمة لها إلا حين تكون عفوية.

انتهت إلى الاعتراف، سيكون ذلك أسهل علي لو كان لدي الانطباع بأنك تحبني.

لكني أحبك يا جولييت.

لا أدري. لا تقول لي ذلك أبدا.

قلته لك، الآن.

بهيئة مقنعة، أريد أن أقول.

لديك الانطباع بأنني لا أحبك؟

نعم، غالبا. تعطيني ما لابأس به من براهين الحب وفي الوقت نفسه تعطيني غالبا الانطباع بأنك لا تحبني.

حدق في السقف، مفكرا.

هذا غريب. تقول لي تماما العكس. لا تشك ثانية واحدة أنني أحبها، هي. تأخذ علي فقط أنني لا أعطيها براهين على حبي.

لم تجب جولييت. استدار نحوها كي ينظر إليها، ورأى أنها كانت قد نامت.

٢٣

مساء اليوم التالي، الإثنين، عاد أوليفييه إلى البيت مرهقًا ومنهكًا. كان هو الآخر أيضًا يبدأ في الإحساس بالإنهاك جسديًا. كانت ف قد لاحقته هاتفيًا طوال اليوم، طالبة أن تراه، مهددة بالحديث من جديد مع زوجته. قالت، احتفظت بكل الرسائل الهاتفية. هناك كلمات، وإشارات ملزمة. من السهل جدًا أن يتصرفا كما لو لم يوجدا معًا أبدًا، ولم يتوصل أوليفييه إلى تهدئتها إلا حين ضرب لها موعدًا في اليوم التالي.

أهكذا. ألن تذهب في إجازة؟ سألت جولييت، بهيئة من لا يريد الفش كان الأمر سهلًا، لكنها لم تستطع أن تقاوم.

أجلت ذهابها. لن تذهب في النهاية إلا الأربعاء.

هزت جولييت رأسها. كانت تنتظر ذلك.

لا فائدة من الاعتماد عليها. لن تذهب ما دمت بباريس.

أخذ أوليفييه رأسه بين يديه، قلقًا.

قال، أخاف. أشعر بالشر. سوف يخيم الرعب حتى يوم ذهابنا.

فكرت جولييت لحظة.

سألت، أليس لديك مواعيد مبرمجة في العمل هذا الأسبوع؟

هز رأسه.

لا، لا شيء.

قالت، إذهب غدًا صباحًا مع الأطفال، سألتحق بكم ما إن أستطيع.

أجاب بعد لحظة من التفكير، ليس ذلك سيئًا.

قضيا السهرة في تنظيم الفرار. كانا يقولان «الفرار الخارجي»، في محاولة لتطرية الجو قليلًا. كانت جولييت شديدة الهدوء، أما هو فقد كان يبدو ضائعًا ويترك الأمر لها. بعد أن قدمت هذا الاقتراح تمامًا، ذهبت إلى الحمام لغسل يديها. لحق بها، وجلس على حافة المغسل، منطويًا.

كان يدمدم، لا أدري.

قالت وهي تشعر أنه ينتظر منها أن ترغمه قليلًا، اتصل بتييري.

كرر، لا أدري، هل أنت عازمة؟

كان سؤالًا غريبًا. درسته لحظة قبل أن تجيب.

«عازمة»؟ لا أعزم على شيء هام في هذه الحكاية. لكني مقتنعة، نعم. كما لو كان الأمر نزع فتيل قنبلة. هناك خطر ولكن مهما حصل فسوف يحصل ذلك بعد حين وسيكون ما يحصل دون شك أسوأ. على الأقل، بفعلك ذلك، تضع نفسك في منأى عن ابتزاز جديد.

هز رأسه، وذهب إلى الغرفة وعاد منها بعد ما يقارب الدقيقة.

سألت، ألم يكن تيبيري موجودا؟

نعم، تمّ الأمر.

بهذه السرعة؟ ماذا قلت له؟

أن علي الرحيل، وأنه إن لم أفعل فسوف ينقلب الأمر إلى دراما. قال لي بالتأكيد، بالتأكيد، اسمع، إذا كنت بحاجة إلى أن تتكلم... أعتقد أنه على قدر من الذهول بفعل كل هذه الحكاية.

تنهدت ارتياحا، وشدته نحو الغرفة.

تعال نمارس الحب.

اعترض، لا أدري إن كنت أرغب في ذلك كثيرا.

ألحت، لا يهم، لست في حاجة إلى أن تهتمّ بشيء. بل يمكنك أن تفكر بها إذا أردت، لا يهمني ذلك.

حين صارا متمددين على السرير قبلته بحذر، وهي على استعداد لأن تلقى الصدّ منه. ولكن كالعادة، وكما هو الحال دوما، وكان ذلك في كل مرة مذهلا في نظرها، حين تجرؤ بعد بعض المداعبات على أن تقترب من عضوه، كان ينتصب. كانت مضادات الالتهاب ناجعة، فلم تعد الحرقة إلا ذكرى سيئة ومارسا الحب كما لم يمارساه أبدا من قبل، على الأقل بالنسبة إليها، فقد استمتعت، وهو فيها، دون أن تتمكن من تذكر المرة الأخيرة التي كان الأمر فيها بهذه القوة. بعد ذلك ضمته إليها، وقبلته في شعره، وهي تبتسم.

قالت، لننم. غدا سوف نستيقظ باكرا لإعداد الحقائب.

حين استيقظت حوالي الساعة السادسة، كان قد نهض من قبل وملأ حقيبته. كانت قد خشيت أن يكون الليل قد حمله على تغيير قراره، ولكن لا، كان يبدو مستعجلا أكثر من أي وقت مضى للرحيل. ساعدته على إنهاء الحقائب بطاقة وبفعالية، وأيقظت الطفلين بمزاج مرح. استطاع عشية أمس في خمس دقائق أن يعثر على غرفة لثلاثة أشخاص في فندق بمنطقة بورجونيي بعيدا عن باريس بما يكفي لتلافي الانزلاقات.

عند الساعة الثامنة وخمسة وعشرين دقيقة عانقت الطفلين في السيارة، وفي الساعة الثامنة والنصف كان أوليفييه والطفلان قد رحلوا. صعدت جولييت لتغيير ملابسها كي تذهب إلى العمل. حسب المخطط الذي وضعاه، كان على أوليفييه أن يتصل هاتفيا ب ف حين يصير بعيدا عن باريس، كي يلغي الموعد الذي ضربه لها مساء أمس. بعد كثير من التردد، أخذ جواله وبطاقة هاتف. البطاقة من أجل أن يستطيع الاتصال ب ف من

خلال هاتف عمومي، مؤكدًا لها أنه لم يحمل معه جواله في الإجازة بطريقة قصدية، كي يستحيل الاتصال به. وسوف يزعم أن جولييت كانت معه، وأنهم ذهبوا جميعًا معًا قبل أربعة وعشرين ساعة من موعد رحيلها هي لا مجال لجعل ذلك مشكلة، كما كانت جولييت قد قالت. كان أوليفييه قد وافق، مغضبًا.

ذلك اليوم، بدت جولييت في العمل ذات فعالية رهيبة. اقترحت على زميلها المسؤول التجاري أن يتناول الغذاء معها. منذ وصولها، كانت قد احتاطت مستبقة اتصالًا للتحقق من قبل ف بأن طلبت إلى فتاة الهاتف المركزي وكذلك إلى جيرانها في قاعة العمل المفتوحة أن يقولوا لكل شخص مجهول يود أن يتكلم معها إنها ذهبت في إجازة صباح هذا اليوم بالذات. كانت قد قالت بهيئة قاسية، انا ملاحقة. لم يجرؤ أي شخص على أن يسألها مزيدًا من الشرح.

اتصل بها أوليفييه حوالي الساعة الحادية عشرة من هاتف عمومي، مرتاخا. كما هو متوقع، كان قد أطفأ جواله. أتى لتوه على الحديث مع ف، ومر الأمر بصورة جيدة. بدا عليها أنها تفاجأت، وعدها فقط أن يتصل بها فيما بعد. كانوا بالقرب من نيمور.

قال أوليفييه لجولييت، لن أبقى طويلًا. فالأطفال في السيارة تحت الشمس. قضيت ساعة على التليفون قبل قليل، لقد سئموا.

أغلقت جولييت الهاتف وقد هدأت مشاعرها آنئذ. ثم طفقت تفكر وتحس بالقلق أكثر فأكثر. ساعة على الهاتف معها، ماهذا. وفوق ذلك، بدت ف عاقلة. كان ذلك من وجهة نظر جولييت خبزًا سيئًا. منذ فترة ، كانت قد اكتسبت يقينًا غامضًا بأن أوليفييه لن يخرج من ذلك من دون مأساة. إذا كانت ف قد قبلت فصل الإجازات فهذا يعني أن كل شيء سيبدأ من جديد عند العودة منها. لقد استراح أوليفييه إلى فكرة أن الاستمرار في مكالمتها، ورؤيتها، كانت الطريقة الوحيدة لوضع حدّ لحكايتهما بهدوء. كان ذلك يعني اتصالات هاتفية من توسكان، ونقاشات لا تنتهي، وكان يعني بالنسبة إلى جولييت الجحيم بدلًا من الاستراحة المأمولة، والخشية من تغيير أوليفييه رأيه الممكن على الدوام.

عكفت على العمل بشراسة، وأعلمت زملاءها أنها لأسباب عائلية ستذهب في إجازة هذا المساء نفسه. استخدمت ساعة الغذاء للعمل بصورة فعالة مع هذا العزيز بيسينياك، مراجعة مآلات الملفات قيد العمل، وهي تعطيه بإرادة طيبة قصوى كل العناصر التقنية التي يمكن أن يحتاج إليها لكي يمتدحها خلال غيابها. فكرت، ما أشد فعاليتها اليوم. كانت تخشى في كل

لحظة أن تحضر ف إلى المكتب. كان أوليفييه لسبب تجهله قد اعترف على الهاتف إلى ف أنه كان وحيدًا مع الطفلين، وأن أمهما لن تنضم إليهم إلا في الغداة. بسبب ذلك، كان الكيس الذي كانت جولييت قد أعدته في الصباح للتشويش، بعد أن فكرت أن تنام في مكان آخر، عالمة أن ف قادرة على أن تنتظرها أمام العمارة كي تتحقق من أنهم قد ذهبوا جميعًا، قد صار بلا فائدة.

اتصل بها أوليفييه في الساعة ١٦، من هاتف عمومي أيضًا. كانوا قد وصلوا إلى الفندق. كانت الأمور قد بدأت تفسد. كان قد اتصل ب ف كما وعدها لكنه عض أصابعه ندمًا بسبب ذلك. انطلقت مدومة، صرخت ما لا يدريه حول موضوع زوجته. لا ترفعي سماعة هاتفك خلال الدقائق القادمة، كان قد قال، أظن أنها سوف تتصل بك. طلبت أن تتكلم قليلًا إلى الطفلين، لكن كان هناك جلبة في الخارج، لم يكونا يسمعانها جيدًا. قالت لها إيما: سوف نتصل بك فيما بعد من الفندق.

طوال النهار كانت الغيوم تتجمع في السماء، وكانت الحرارة تزداد ثقلًا شيئًا فشيئًا. نحو الساعة ١٩، بدأ الرعد يقصف والعاصفة تنفجر. كان المطر يهطل مدرارًا على باريس. بعد أن أنهت آخر القضايا الجارية، خرجت جولييت من مكاتب غالاييتا، ملتصقة بالجدران، مختبئة تحت مظلتها. كانت تخشى العودة إلى بيتها، وتنظر إلى كل النساء في الشارع، وتتخيل ف في كل واحدة منهن. كانت تكره أن تشعر بنفسها على هذا النحو في موقف ضعف. لم تكن ف تعرف أين تسكن جولييت، وأين تعمل فحسب، بل إنها تعرفها جسديًا، في حين أنها هي، جولييت، لم يكن لديها أدنى فضول ولم تكن لديها أية فكرة ما الذي كانت تشبهه ما كان يجب تمامًا تسميتها بمنافستها. كانت قد قالت يومًا ما إلى أوليفييه، بصورة عابرة كما لو أنها غير مهتمة، لابد أنها شديدة الجمال كان قد أجاب، لا أعرف، لست واثقًا أنها جميلة حقًا، لنقل إن لديها تأثير ما. كانت تنظر حولها. حميراء، موتور. ما إن صارت في المترو حتى أحست بقليل من الأمن.

بعد عشرين دقيقة من ذلك، نزلت من المقصورة ووقفت قليلًا على رصيف محطة جوريس، لا تجرؤ على الخروج إلى الشارع. ثم خطرت لها فكرة أن تتصل بيولاند التي جاءت رغم غياب الطفلين شأنها كل مساء، كي ترتب الشقة قبل رحيلهم. طلبت إليها أن تأتي إليها إلى المقهى الواقع مقابل مدخل المترو تمامًا. ثم استجمعت شجاعتها وركضت حتى نهاية الرصيف، وصعدت السلالم قفزًا، وخرجت إلى الشارع ودخلت الحانة خافضة الرأس تجلس وظهرها إلى الواجهة الزجاجية. عرضت على يولاند

التي لم تتأخر في الانضمام إليها وقد تفاجأت قليلًا أن تتناول معها كأسًا من شراب الكير احتفالًا بالإجازات. لم تقل وهي تشرب شيئًا وقالت كل شيء، ألقت أفكارًا غامضة، وهي تتصرف كما لو أن مربية أطفالها كانت على علم منذ زمن طويل بمشكلاتها الزوجية. كانت يولاند تستمع بتعاطف. قالت، آسفة. معك حق في أن تقاتلي. لا يجب قبول كل شيء مع الرجال. بقيت جولييت متأملة. كم شخص منذ بداية هذه الحكاية كان قد قال لها: لا يجب قبول كل شيء؟ وتابعت يولاند، كنت أشعر تمامًا أنك لست على مايرام. يجب الانتباه إلى الطفلين، هما أيضًا يشعران بالأشياء. لا أدري إن كنت لاحظت أن إيما صارت مختلفة منذ عدة أيام. أجابت جولييت، لا، لم أر شيئًا. ردت يولاند، أنا نعم. إنها متوترة، لم تعد تريد أن تقول لي لا صباح الخير ولا إلى اللقاء.

بعد أن شربت كأسين من الكير أرادت يولاند ركوب المترو والعودة إلى بيتها. أوقفتها جولييت، وتوسلت إليها قبل الذهاب أن تصحبها حتى الشقة. وافقت يولاند. لم يصادفا أحدًا على الطريق، وسمحت جولييت أخيرًا وهي تعتذر بشدة إلى يولاند أن تذهب. ما إن أعادت غلق بابها وقفلته حتى جلست إلى مائدة المطبخ واتصلت بالفندق. كان لأوليفييه صوته المتوتر في الساعات الحرجة. قال، لقد نمنا جميعًا. كنت أريد أن يناما، ثم أتصل بك لكني لن أبقى طويلًا.

قالت، اتصل بي ما إن تستطيع ذلك، أود أن أعرف ما يجري، فأنا قلقة.

بعيد ذلك أخذ هاتفها يرن. مرتين. والرقم الذي يصدر عنه الاتصال مجهول. لم تفتح هاتفها. اتصلت بدلًا عن ذلك بفلورنس من هاتفها الأرضي كي تعلمها بآخر الأحداث. لكنها ستعتذر عما قريب لاضطرارها إلى إنهاء المكالمة لأن جوالها يرن من جديد. تركته يرن عشر مرات في الفراغ. هذه المرة، تركت رسالة. كان تريستان الشهير، المهذب، المشرّب بالسكر، يعتذر عن اتصاله غير اللائق لا أدري تمامًا كيف أقدم نفسي، فالأمر محرج قليلًا لا، هذا ما كانت ف قد قالته حين اتصلت بجولييت لدى غالاييتا، قائلًا لها أنا صديق فيكتوار س ...، سوف تبدو لك مبادرتي غير لائقة ولاشك ولكن هل يمكنك لو سمحت أن تتفضلي بالاتصال بي أرجوك فالأمر مهم وسأكون لك شديد الامتنان. فكرت جولييت وهي شبه تملة، إذهب إلى الجحيم. إذهبا إلى الجحيم كلاكما. كيف يمكن لهذا الغبي الأبله هذا المخبول هذا الشخص القذر أن يتصور ثانية واحدة أن لدي أقل نية أن أتكلم معه؟

أكلت الشمام الذي أعدته لها يولاند، وأعدت لنفسها قدحًا من الكير جديدًا لا لم يكن ذلك بفعل اعتياد الكحول، بل بفعل الدفاع الذاتي. كانت

قد قالت على الهاتف لفلو بطريقة متقطعة، غير متماسكة، أنا مستعدة لكل شيء، هل تعرفين، مستعدة أن أمارس العهر كي أتلافى أن تحمل هذه الفتاة منه، كي لا يكون على يوهان وإيما أبدًا أن يقضيا نهاية الأسبوع بصحبة هذه المجنونة. كان صوتها عجينيًا، والرابط بين طفليها والعهر غير واضح، ولكن من الممكن الافتراض أن كل هذه الفترة التي كانت تمارس خلالها الحب مع أوليفييه بلا رغبة حقيقية، وبطريقة مقصودة، وإرادية، مستخدمة اللذة التي كانت تعرف منحها له سلاحًا في الحرب التي كانت تضعها في مواجهة ف، كانت قد تركت آثارها. وتابعت، في ما يتعلق بأوليفييه وأنا، سترى، لم أعد أعرف حتى إن كنت لا أزال أحبه، فلدي أحيانًا الشعور بأنني أكرهه.

فجأة رن جوالها والهاتف الأرضي الموضوعان جنبًا إلى جنب في وقت واحد مقًا. بقيت جولييت ثانيتين مرعوبة وهي تنظر إليهما، ويدها في الهواء، مترددة، تهوم فوق الجهازين. كانت كما لو أنها منومة مغناطيسيًا. الجوال يعلن: رقم مجهول. وكان الهاتف الأرضي أقدم عهدًا. فلم يكن يظهر عليه رقم أو اسم المتصل. ترفع السماعة، لا ترفعها؟ وإذا كان الجواب نعم، فأيهما؟ كان ذلك يستدعي لعبة، إحدى هذه الألغاز التي كانت جولييت تحب طرحها من وقت إلى آخر على رفاقها في المدرسة الداخلية. كانت تجد ذلك طفوليًا. كان يكفي بعض المنطق. معظم رفاقها كان يعجز عن حل اللغز.

محكوم بالإعدام مسجون في غرفة ذات بابين. أحد البابين يؤدي إلى المقصلة، والثاني نحو الحرية. أمام كل باب، هناك حارس. أحد هذين الحارسين يكذب باستمرار، والآخر يقول الحقيقة دائمًا، لكن السجين لا يعلم هذا من ذاك. يملك الحق في طرح سؤال على أحد الحارسين قبل أن يدفع أحد البابين. ما الذي عليه أن يسأل كي يفلت من الموت؟

بعد أن فكرت خلال ثانية، عزمت جولييت. هجمت يدها بحزم على سماعة الهاتف الأرضي. كانوا على اللائحة الحمراء وحتى الآن، بأي معجزة؟ لا يبدو أن ف قد نجحت في الحصول على رقم هاتف بيتهم.

سمعت الإرهاب في صوت أوليفييه.

قولي لي حين تصلين غدًا، أرسلي لي رسالة هاتفية. فأنا أشعل جوالي قليلًا جدًا، لا أريد أن تنتبه إلى أنني أستخدمه. ستكون كارثة. اتصلت بها مرة أخرى. جرت الأمور على نحو شديد السوء. الآن يترك لي تريستان رسائل، فقد التقطها مرة أخرى على الطريق العام. إنني مرعوب. أصطنع الغياب. لا أبقى على الهاتف.

شكرت جولييت السماء أنه على مسافة أربعمائة كيلو متر من باريس، محصورًا مع طفليه، لا يستطيع أن يتركهما وحدهما هناك.

سأل، هل تلقيت رسائل منها أو منه؟

كذبت، لم أسمعها. لدي قطار متجه إلى ماكون حوالي الساعة ١٠، لكني لا أعرف إن كانت لا تزال فيه أمكنة فارغة.

قال، ديجون جيدة أيضًا. أرسلي لي رسالة نصية تعلميني فيها بمكان وساعة وصولك، سأكون بانتظارك.

كانت لهجته مخيفة. كانت ترغب في أن تقول له، كعشية الأمس، إنها لم تكن خطيئته، هي التي كانت حتى ذلك الحين تأخذ عليه أنه لا يشعر بنفسه مسؤولًا. ليست خطيئتك يا حبي، لست مسؤولًا إن وقعت على مجنونة، هذا موجود أعرف قبل لك العكس دومًا ولكن لأننا لا نملك الحق في قول ذلك، فهذا ممنوع كليًا ممنوع ومع ذلك فهو حقيقي، كل النساء لسن بالضرورة لطيفات، فيهن الشريرات أيضًا، والسيئات، لسن الأكثرية بالطبع لكن ثمة منهن مع ذلك، الكثيرات، في كل مكان، أما المجنونات حينئذ فلا نتكلمن عنهن، بل إن هناك من المجنونات أكثر من غيرهن، فالمجنونات يملأن الشوارع، وينشرن القذارة، أستطيع أن أكلمك عنهن كما تعلم، أنا نفسي كنت كذلك قبل أن أعرفك، مجنونة أحيانًا.

رنّ جوالها مجددًا. هذه المرة لا بد أنها ف. فكرت جولييت، فلتهلك. وتنبهت مع بعض الرعب أنها تفكر بذلك، حقًا. قبل أسبوع من ذلك أسبوع؟ بدا لها أن ذلك قبل أشهر ، كان أوليفييه قد قال لها: لو حدث لها شيء ما فسينتهي الأمر بيننا، وكانت قد خافت من ذلك. الآن لا يهمها الأمر. فلتهلك. فليكرهها أوليفييه، هي، جولييت، طوال حياته، فليطلقان. لكن إيما، ولكن يوهان لن يقضيا أبدًا إجازة نهاية الأسبوع مع هذه المرأة.

كان الوقت متأخرًا. كانت تشعر بالنعاس، فذهبت للنوم. سوف تعد حقائبها غدًا. كانت ثملة كليًا، على كل حال.

ماذا كانت ف قد قالت؟ الأطفال قادرون على فهم كل شيء. وبالتالي يعلم الله وحده ما الذي أمكن لإيما أن تسمعه في المساء الذي جاءت فيه ف إلى البيت. الأطفال قادرون على فهم كل شيء. بأي حق تقرر هذه المرأة ما يستطيعون وما يجب عليهم فهمه؟ شعرت بالحقد يتصاعد في نفسها واكتشفت نفسها ذئبة. قالت لنفسها، هوذا إذن، قبل أن تستغرق في ما يشبه غيبوبة كحولية أكثر مما يشبه النوم.

كان ذلك هذا إذن.

غريزة الأمومة.

الجزء الثالث

أطفأ أوليفييه جواله، وأخرج رأسه من تحت اللحاف الذي هرب تحته كي يخنق همهماته ونظر حوله. كان يقطر عرقًا. ميز في العتمة وجه يوهان الهادئ، نائمًا إلى جانبه على السرير لشخصين. على السرير الصغير المجاور، كانت إيما تدير له ظهرها، لكنها كانت ساكنة وتبدو هي الأخرى نائمة.

تعذب كثيرًا كي ينيمهما. كانا يطلبان حكاية، وفي عجلة الرحيل، نسيت جولييت أن تضع في حقيبتيهما كتبهما. حفر أوليفييه في رأسه عبثًا. كل قصص الجنيات التي كان يجب أن يتذكرها اختفت من دماغه، المزدحم في حالته بأفكار لم تكن، من ناحيتها، قابلة للقص. فلجأ إلى الأغاني. دمدم أغنية الأسماك الصغيرة في الماء تسبح تسبح تسبح وأبدًا لم نرَ أبدًا لن نرى أسرة السلحفاة تركض وراء الجرذان. لكن ذلك لم يكفِ. وحين استنفذ مافي ذاكرته، كان قد أطفأ كل الأضواء وقرر، آمرًا، الصمت. وقد انتظر طويلًا متمذذًا بالقرب من طفليه في العتمة، مفتوح العينين، أن يكفا عن التحرك. حين صار تنفسهما، أخيرًا، منتظمًا، أرغم نفسه على مزيد من الصبر ثم وبكثير من الاحتياطات استغرق كليًا تحت اللحاف، رغم الحرارة، وأشعل هاتفه الجوال وسمع الرسائل. بعد ذلك، كان قد اتصل بجولييت هامسًا.

كان ذلك كابوسًا.

أتى على الحديث هاتفيًا مع امرأتين باكيتين واحدة بعد الأخرى، إحداهما صارخة، في جنون، والأخرى شبه خرساء بفعل الألم الذي تحاول عبثًا إخفاءه عنه، واحتواءه. تساءل، مذهولًا، كيف وصلوا جميعًا إلى هذه الحالة، كيف أمكنه، هو، أن يثير مثل هذه البلبلة.

لا يشعر بنفسه مذنبًا بفعل ذلك.

يعتقد أن كل ذلك خطيئة جولييت، خطيئة هذه الجملة التي قالتها له ذات يوم: لست واثقة من إرادتي أن أشيخ معك. يعتقد أنه في اللحظة التي قالت فيها ذلك، افتقدها. هي التي تعرفه أفضل من أي شخص افتقدها، هوالذي كان دومًا يثق فيها، في حبها، ثقة مطلقة. الخيانة بدأت هنا. هذا ما يعتقده.

إنه يحنق على جولييت.

إذ يحتاج أوليفييه لكي يحافظ على توازنه إلى أن ينعكس في عيني امرأة، وجولييت تعرف ذلك جيدًا. كان بوسعها أن تتوقع وقد حرم من نظرتها هي أنه سوف يشعر بنفسه وقد سقط، وأصابه الدوار، فيتعلق بأول نظرة آتية كالإمساك بغصن لإيقاف السقوط، للاستناد عليه ومحاولة استعادة التوازن.

لكن جولييت لم تتوقع شيئًا من هذا.

وكان المرض الجنسي النقطة التي جعلت الكأس يفيض. عندما كان أوليفييه يقول إلى جولييت إنها تقول إنك أنت التي نقلتها إلي فطفقت جولييت بالضحك، كانت قد أخذت وجهها بين يديها، وضربت رأسها بالطاولة، ثم نهضت وذهبت تبحث كل الأوراق الملف الطبي الاختبارات قبل الزواج، التحليلات التي قامت بها كل مرة حبلت فيها ألقتها أمامه، وقذفتها في وجهه وصارت مجنونة هي الأخرى فجأة، وهنا قال لنفسه إنه صار من الملح أن يوقف هذه القصة مع فيكتوار، وأن ذلك سوف ينتهي نهاية سيئة.

كان يتساءل كيف يفعل الآخرون، شيء ما شديد الخفة في البداية، والأبعاد التي يتخذها من بعد، لم يكن يفهم كيف كان ذلك ممكنًا.

كانت إيما تضطرب في نومها. كانت تتأوه بهدوء. تنهد أوليفييه، وفتح عينيه ونهض بحذر كي لا يوقظ يوهان. عبر الخطوتين اللتين تفصلانه عن سرير ابنته وانحنى عليها. كان ضوء مصباح يرشح عبر الستائر، مضيئًا وجهها. لم تعد إيما تتحرك. كانت تنام وفمها مفتوح، وخصلة من شعرها ملتصقة بفعل تعرقها على جبينها. وكما في كل مرة ينظر إليها وهي نائمة كان قلبه يخفق مأخوذًا بجمال ابنته.

أراد أن يبعد خصلة الشعر عن جبينها، ويمس وجهها، ويحس تنفسها على ظهر يده. فجأة خطرت له فكرة أن فيكتوار ربما كانت في هذه اللحظة حاملًا منه. اقشعر بدنه، وأغلق عينيه، وانتصب وعاد إلى سريره.

ما إن خلد إلى النوم، وعيناه لا تزالان مفتوحتين محدقتين في السقف، حتى حاول السيطرة على القلق الذي شعر به يجتاحه وأعاد الحساب. تعود آخر علاقة جنسية مع فيكتوار إلى ١٨ حزيران/يونيو أي منذ خمسة عشر يومًا بالكاد.

نظريًا، كان حذرًا. في كل مرة كانا يمارسان الحب، فيكتوار وهو، كان يستخدم الواقي فقد كان لدى فيكتوار علبة منه، موضوعة في خزانة.

كانت قد أخرجته للمرة الأولى في الوقت الذي كان في أوج إثارته، بعد التقدم في المداعبات، فاعتذر مع بعض الحرج بوجوب الانقطاع، نظرًا لنقص التجهيز المناسب، لأن كل ذلك لم يكن بالنسبة له متوقعًا، وغير مقصود كليًا، ولم يكن من عادته أن يحمل معه واق في جيبه. وهي مستلقية على السرير نصف عارية، وضعت ذراعها تحت رأسه دون أن تتوقف عن تقبيله، وفتحت الدولاب دون أن تراه وقذفت بالعلبة على السرير، مهتمة بأن تحدد له أنها تتناول على كل حال حبوب منع الحمل. بدا له ذلك عندئذ طبيعيًا. أما الآن فإنه يتساءل لماذا. لماذا كانت فيكتوار تتناول حبوب منع الحمل في حين أنها لم تكن، كما كانت تؤكد، على علاقة برجل منذ شهور، بل منذ سنوات؟ حتى لو كانت قد كذبت حول هذه النقطة، أو فضلت أن تسكت عن بعض اللقاءات العابرة، ألم يكن يفترض استخدام الواقي حمايتها لا من الإيدز فحسب بل كذلك من حبل غير مرغوب فيه؟ دون الحديث عن حكاية المرض الجنسي الأخير الذي على الرغم من قيامه بقدر ما يستطيع لإخفائه عن جولييت كان يلقي بلا مراء ظلًا على علاقة الثقة المطلقة التي كان يقيمها أوليفييه حتى ذلك الحين مع الواقي، بدلًا من أن يقيمها حتى ذلك الحين مع فيكتوار.

ظل خفيف، حقًا، لكنه مستمر.

ظلّ تعبره في عتمة هذه الغرفة في الفندوق الماكوني على فترات غير منتظمة أضواء السيارات التي تعبر الشارع، ويمتد حتى يأخذ أبعادًا كارثية.

وبرعب متزايد، يتذكر الحكاية التي كان ستيفان يقصها، الذي كان يحب هذا النمط من النوادر. ففي نظره يقوم بعض النساء المستعدات لكل شيء كي يحبلن دون موافقة شريكهن بثقب الواقي بثقوب دبابيس لا تُرى قبل وضعه، دون أن يرى أحد ذلك، في علبته. أمام الشك الذي ظهر على وجوه مستمعيه، كان ستيفان يبالغ في أصالة المعلومة. كان قد أخذها عن طبيب نسائي من أصدقائه، كان قد وضع تقنية لإحدى مريضاته بل ونصحها بماركة محددة كان غلاف الواقي الخاص بها سهلًا على الفتح والإغلاق دون ترك أي أثر. هو نفسه، كما كان ستيفان يؤكد بالطبع هذا النوع من الأحاديث لم يكن ممكنًا إلا حين يكون الرجال فيما بينهم ، هو نفسه إذن لم يكن يستخدم إلا الواقي الذي لا يمكن الشك في مجيئه مباشرة من الصيدلية وكان ينصح بقوة جميع أصدقائه باعتماد طريقته. كان يوصي

أيضًا بأن عليهم ما إن ينتهي الفعل الجنسي ألا يتركوا الواقي في مكانه بل أن يلقوا به بأنفسهم في فتحة التواليت وإن لم يكن ذلك ممكنًا أن يحملوه معهم. وكان يُخرِج من جيبه مقالًا مقصوصا من صحيفة إقليمية كان يسرد، ضمن تفاصيل قضية جرمية، كيف أن امرأة لفحت نفسها بإدخال واق استخدم لتوه في رحمها، تمامًا بعد مغادرة عشيقها. من حول ستيفان، كان رفاقه يتبادلون النظرات مبهورين، تتقاسمهم الرغبة في الضحك وعدم التصديق. قال أحدهم، هذا هراء. وارتعب آخر، هل هذا ممكن؟. وحده بول، الذي كان يسمع خلال ممارسته مهنته كثيرًا من الأشياء، لم يقل شيئًا.

أما بالنسبة إلى أوليفييه، فقد كان يهز كتفيه مبتسمًا. لم يكن ذو طبيعة حذرة. من ناحية جولييت، بالطبع، كان يمكن لمثل هذا السلوك أن يكون عسيرًا على التصور. ولكن حتى قبل زواجهما، لم يكن قد واجه أبدًا هذا النمط من النساء المتلاعبات، غير الشريفات، اللواتي يصفهن ستيفان. كان واثقًا أنهن لا يوجدن إلا في الخيالات الذكورية، المنبثقة عن مخاوف سلفية توقظها الجنسانية الأنثوية لدى الرجل والتي كانت قد قادت خلال العصور إلى كل ضروب الرعب التي نعلمها، من ملاحقة الساحرات إلى التشادور(الملاءة) مرورًا بالختان.

ومع ذلك كان ثمة شكٌ قد استقر، خلال الأيام الأخيرة، في داخله.

المرة الأخيرة التي رأى فيها فيكتوار، كان قد ألحّ ألا يكون لقاؤهما في بيتها، بل في الخارج، في حديقة. فعلت كل شيء كي يغير رأيه، بلا نجاح، وقد فوجئ أوليفييه بالسهولة التي استطاع بها للمرة الأولى أن يصمد أمامها. رغم أنه لم يصدقها حينئذ، فقد كان يتذكر تنبيهات جولييت. فضلًا عن ذلك، منذ أن كان قد رأى فيكتوار وقد شوههها الغضب والألم، مازجة التهديدات بالتوسلات، منقيئة الشتائم لزوجته، صارخة ومومئة تحت أنظار المارّة المصعوقة، فقد تضاءلت رغبته نحوها إلى حدٍّ كبير. حتى في ذلك اليوم، بينما كانت تبدو وقد عادت تقريبًا إلى حالتها الطبيعية، وكانا يتناقشان وهما يسيران في الحديقة، ورغم كل الجهود التي كانت تبذلها وهي ملتصقة به كي تقنعه باللحاق بها إلى شقتها، كانت لمعة الرعب، كي لا نقول الجنون، التي كان يراها الآن في عينيها قد ثبطت لديه كلّ اندفاع شهواني، على الرغم من الحنان الذي كان يحتفظ به نحوها والذي بدأ بصورة تدريجية يصطبغ بالشفقة.

عليه أن يعي هذه البداهة: الحريق الذي كان قد ألهب أحاسيسه خلال

الأسابيع القليلة التي دامتها علاقته مع فيكتوار كان في طريقه إلى الانطفاء.

حريق، تلك هي الكلمة. عنيف وكاسح. اللذة التي كان يحسها في ممارسة الحب معها، في المرات الأولى، تركته شكاكًا وحائرًا بعض الشيء. هل يعود حقًا لشخص فيكتوار أم هو مجرد أثر ثانوي لشعور المخالفة هذا، الجديد بالنسبة إليه، الذي كان يستشعره بسبب خيانة زوجته؟ إلا إذا كانت الأبوة، وبلوغ سن الأربعين، والإحباط المتراكم خلال هذه الأشهر الأخيرة قرب جولييت المتباعدة بشدة قد استثار فيه هذا التغير الذي جعله يشعر بأقل مداعبة، بل وبالمتعة، بطريقة أشد حدة مما كان يشعر به من قبل على الإطلاق. كان ذلك، كما يفكر أوليفييه متمددا في العتمة باحثا عن النوم، كما لو أن شيئا ما تمزق فيه، وكانت فيكتوار بالطبع قد تورطت أكثر في الحفرة، وهي التي لم تشك أبدًا بسلطتها الشهوانية، متعطشة لممارستها عليه. ومن ناحيتها، ربما لكي تطريه، كانت تؤكد أنها لم تعرف مع أي رجل آخر ما تشعر به بين ذراعيه، ولا تتردد، خلال الحب، في التعبير عنه بطريقة كانت تحرج بعض الشيء أوليفييه، وتضاعف استثارته.

يأسف الآن لذلك، لكنه تحت تأثير هذه الأحاسيس المجهولة، كان قد استسلم قليلًا بصورة لفظية. فكلمات الحب التي كانت تطلبها منه كانت تصدر وحدها، والتصريحات والأيمان وكل هذه الكلمات التي كانت فيكتوار ترغب في سماعها، والتي ترغب كل النساء دوما في سماعها والتي لم يكن حتى ذلك الحين قد منحها، حتى إلى جولييت، إلا بعدد تردد كبير، كانت قد خرجت بلا تحفظ من بين شفتيه، متذمرًا بمرح مع حماسة ورعونة كلاب صغيرة بقيت محبوسة وقتًا طويلًا. كان أوليفييه قد تركها تتقافز بتساهل مرح لاسيما وأن فيكتواركانت تعرف جيدًا أنه لم يكن حرًا، وأنه يشعر بنفسه محميًا بالرابطة التي تربطه إلى جولييت، ويظن أنه يستسلم للمرة الأولى في حياته بلا خطر وبلا عقاب إلى الثمالة العذبة للانفعالات الغرامية، مطمئنًا كما كان إلى أن هذه الكلمات يمكن أن تبقى بلا نتيجة. حين رأى خطأه، وأنه صفر للكلاب الصغيرة لحملها على دخول القن، كان الوقت متأخرًا جدًا. كانت فيكتوار على يقين من أنها امرأة حياته، وتضحك من مماطلاته، ومما كانت تسميه تأجيلاته، مقتنعة كما كانت بأنها تمسكه بواسطة الأحاسيس، وهو ما لم يكن خاطئًا كليًا، أو على

الأقل لم يكن كليًا كذلك في بداية حكايتهما، إلا إذا.

إلا إذا، فكر أوليفييه وهو يتقلب من جديد على سريره.

حين قرر التحدث مع جولييت، عند عودته من أوبينيي، ارتسمت عليه جولييت آسف ولكن تلك كانت الكلمة، لا يمكن قول ذلك بطريقة أخرى وهنا، كان هو الشيء نفسه بصورة غريبة، ليس تمامًا الشيء نفسه لأن الحب الجسدي مع امرأتين مختلفتين مختلف بالضرورة على الدوام، لكن اللذة التي أحسها معها كانت بالقدر نفسه من القوة، بل وأقوى ربما من تلك التي عرفها مع فيكتوار، كان ذلك غريبًا حقًا، مع أن جولييت لم تكن قد فعلت شيئًا خاصًا، كانت جولييت هي نفسها، بل إنها لم يبد عليها أنها وجدت أن شيئًا ما كان قد تغير في طريقتهما في ممارسة الحب ويا للعجب، إذن كان عليه أن يقبل أنه هو الذي كان قد تغير، أن شيئًا ما كان قد تمزق في الواقع، بفضل فيكتوار ربما، لكنه تمزق فيه هو، تمزق نهائيًا وفي هذه الشروط نظرًا لهذه الواقعة الجديدة، لهذه الواقعة المقلقة كليًا، لم يعد يرجيذا لماذا، أيًا كان ما أمكنه قوله أو أفهمه لفيكتوار، كان عليه أن يترك زوجته، لاسيما وأنه لا يزال على الدوام يحبها، كان على قناعة بذلك أكثر فأكثر، على كل حال كان يحب ممارسة الحب معها، ويحب طفليهما وحياتهما معًا، ولم يكن ذلك بالأمر السيء أصلًا، أيًا كان ما تقوله فيكتوار عن ذلك، كان ذلك كثيرًا، رغم أن فيكتوار من جهة أخرى ونوباتها التي يجب تسميتها بالهيستيريا كانت تخيفه أكثر فأكثر.

هذا ما وصل إليه.

وهذا ما حاول أن يشرحه لفيكتوار بأكبر قدر ممكن من الرقة، خلال لقائهما الأخير، آملًا لا يزال، ضد كل احتمال، أن تنتهي إلى أن تبدو عاقلة وقادرة على فهمه.

وهو ما لم يكن عليه الوضع، بل على العكس.

كل محاولة من محاولاته للقطيعة انتهت إلى مأساة. وبدلًا من أن تسهّل عليه الأمر، كانت فيكتوار تتعلق به، وتناضل، وتتمزق ألمًا. كان لديه الانطباع بأن عليه أن يذبح خروفًا، هو الذي لم يكن يتحمل العنف، الذي كان يرتعب من الدم. ومثل خروف، فضلًا عن ذلك، كانت تنظر إليه بهاتين العينين الصافيتين المليئتين بالدموع، متوسلة، دون أي مأخذ، موجهة كل عنفها ضد نفسها وخصوصًا ضد زوجته، التي يأتي كل الشر منها، زوجته الصغيرة الطيبة التي لا تحبه، ولم تحبه أبدًا، والتي لا تستحقه، والتي

تستغل الحب الذي يمحضه طفليه كي تتمسك به، كي تقفل عليه، وهو ما يجعل عسيرًا على أوليفييه أن يغرس السكين، أن يتخلى عن هذه الصورة المثلى عن نفسه التي كانت فيكتوار تمدها له، والتي كان يرى انعكاسها في عينيها والتي سيتوجب عليه الانفصال عنها في الوقت نفسه الذي ينفصل فيه عن فيكتوار والتي بات يفتقدها.

ومع ذلك، كان سيجب عليه أن ينتهي من ذلك.

كان النوم قد بدأ تدريجيًا في التسلل إليه. وكان يستغرق فيه بارتياح، متعللًا بوهم مواس بأن الأسابيع الأخيرة يمكن أن تمحي بصورة سحرية، وأن كل ذلك يمكن ألا يكون إلا حلمًا مزعجًا. حين أيقظته فجأة فكرة بأنه إذا كانت فيكتوار بفعل خارق ولكن لا، هذا مستحيل إذا كانت فيكتوار قد نجحت في أن تحبل منه لا، لا، لا، يا إلهي افعل ألا يكون الأمر هكذا، رحمة بي ستكون الخسائر لا رجعة عنها، ستكون الخسائر بلا حدود، كارثية، تسونامي لايرى كيف يسعه أن يفلت منه مجددًا.

فتح عينيه، قلقًا، وكان قلبه يلكم صدره بلا توقف.

نظر في ساعته. الساعة الثالثة. ومن جديد ينزلق تحت اللحاف، ويشعل جواله ويسمع رسائله. لا رسالة جديدة. لا شيء جديد منذ أن أمطره تريستان بالشتائم قبل عدة ساعات، قائلًا إنه حال دون فيكتوار في اللحظة الأخيرة وأن تضع حدًا لحياتها، وأنها تتمدد الآن شبه غير واعية على الرصيف، وأنه ينتظر سيارة الإسعاف.

تردد في الاتصال به، وحزم أمره بألا يفعل شيئًا، مع شعور دفين بأنه يتصرف تصرفًا قذرًا، في عمق لا يمكن لحسن الحظ لضميره أن يصل إليه. أطفأ هاتفه، وخرج من تحت اللحاف، وتمدد على ظهره، مظلومًا، وعيناه مثبتتان على سكك الضوء المتوازية على السقف، وطفق، وقد تخلى عن النوم، ينتظر انبلاج الصباح.

يصل قطارها السريع حوالي الظهر. كانت جولييت قد حاولت الاتصال بأوليفييه في اللحظة التي كانت تصعد فيها إلى القطار لكن جواله كان لا يزال مقفلًا كان يشعله بتقتير ولكي يطلع على رسائله فقط. صبرت لحظات في محطة القطار السريع القاحلة في عمق الريف. وصل أوليفييه أخيرًا. ما إن لمحا أمهما حتى هرع يوهان وإيما نحوها مع صرخات صاخبة. ضمتهما بين ذراعيها. ثم قاموا بالبحث عن مطعم لتناول الغذاء، واختاروا مطعم بيزيريا على ضفة نهر السون. في السيارة، وهو يحترس في كلماته بحضور الطفلين، اكتفى أوليفييه بالقول إلى جولييت إنه لم يتلق رسالة لامن ف ولا من تريستان منذ الساعة ١٥ ر٢١ أمس، ولم يعودا إلى ذكر الموضوع حتى حلول المساء.

وصلوا إلى آنسي في نهاية النهار، وذهبوا للتنزه على شاطئ البحيرة حيث جلسوا لتناول الشراب على الرصيف. وبينما كان الطفلان يلعبان، حكى أوليفييه أخيرًا إلى جولييت محادثاته الهاتفية عشية الأمس مع ف. خلال أول اتصال هاتفي، كان قد أعلن لها أنه غادر باريس، فضحكت. سألت، بعد النقاش مع زوجتك خطرت لك هذه الفكرة؟ كان قد وعد بالاتصال بها بعد ذلك بقليل، كان ذلك خطأ، حماقة حقيقية، تنهد أوليفييه، لأنه كان قد فهم آنئذ أنهما كما تفكر ف سوف يلتقيان من جديد ما إن يعود من توسكان. عندما قال لها أن لا، وأن المقصود في نظره قضاء الصيف على الأقل، انهارت فيكتوار.

كانت تصرخ، إذن انتهى الأمر، أليس كذلك؟

كان قد أجاب، لا أتوصل إلى قول ذلك، قوليه أنت.

أهذا ما تريده، أن أقول ذلك، تنتظر أن أقول أنا أن كل شيء انتهى؟

قال ذلك ببعض الصعوبة، سيكون ذلك جيدًا. (كان قد توصل إلى الاقتناع إلى أنه بتخليه إلى ف، على الأقل شكليًا، عن مبادرة القطيعة، فإنه يوفر عليها الذل ويسهل عليها الأمور.)

انتهت المحادثة عند ذلك. بعد هذا، تركت له رسائل، اتصل بي، أتوسل إليك، ثم تريستان بدوره. بعد ذلك عمل تريستان على الاتصال بجولييت تحققت على جوالها من ساعة الاتصال، ١٥ ر٢١. بعد ذلك، لم يعد ثمة شيء. بدا على أوليفييه التوتر إلى حدّ أقصى، ولكن من جهة أخرى، لاشيء كان

يمكن الحيلولة دونه ودون الاتصال، من جانبه هو، كي يستعلم عن أحوال ف. فكرت جولييت، إذن، في الأساس، لم يكن عليه أن يكون قلقًا على هذا النحو. والواقع، أنّ جزءًا كبيرًا من القلق الليلي الذي كان يزعج أوليفييه كان قد تلاشى مع النهار.

قال، آمل أن تكون قد هدأت. آمل أن تذهب لقضاء إجازتها غدًا. عليها أن تذهب لتحضير مسابقة المدرسة القومية للإدارة في الجنوب مع رفيق لها طالب وهو الآخر عاشق لها، حسب ما قالته لي.

قالت جولييت، بالتأكيد. لها أصدقاء أليس كذلك؟

بقيا صامتين لحظة، ينظران إلى سطح البحيرة الصقيل والمتلألئ. كان الوقت باكرًا على الموسم، فكانا شبه وحيدين على الشاطئ.

قال أوليفييه، على كل حال لقد فهمت الفرق بين قول: «يجب التوقف هذا مستحيل»، وهو ما قلته، وقول ما لا أستطيع قوله: «انتهى.» لا أستطيع.

تساءلت جولييت من جديد لماذا كان ذلك صعبًا، لكنها أحجمت عن التعليق بأي شيء.

إذن؟

إذن لدي مشروع رسالة ستعثر عليها عند عودتها.

رسالة تقول؟

يجب أن أعثر على الكلمات التي يمكن أن تفسر بصور إجمالية لماذا يستحيل ذلك، في الوقت الذي أكون عادلًا فيما يخص قصتنا.

لم تكن جولييت واثقة من أنها فهمت تمامًا.

فيما يخص قصتكما أم قصتنا؟

قصتنا، نعم، كل مرة أحاول فيها أن أشرح لها، تقول، إذن كل ما جرى بيننا لم يكن شيئًا؟ يجب أن أقول لها أن لا، إنه كان شيئًا.

لم تلح جولييت. من الأفضل التوقف عند الفكرة العامة لأنه لا يزال ينوي القطيعة، وعدم التوقف عند تفاصيل مؤلمة.

وإذا اتصلت بك رغم الرسالة، وأرادت أن تراك؟

سأقول لها إن ذلك مستحيل، أتصور.

مستحيل، دومًا. وليس «لا أريد». لا. ظروف مستقلة عن إرادتي تجعل قصتنا مستحيلة.

في المساء، وقد صارا وحيدين في غرفتهما بعد نوم الطفلين، أشعل

أوليفييه جواله ونظر في علبة الرسائل. لاشيء على الدوام.

قالت جولييت التي بدأت، هي الأخرى، في اعتبار هذا الصمت العفاجئ غريبًا، واحدٌ من أربعة أشياء.

واحدٌ من أربعة أشياء:

إما أنه حدث لها شيء ما أمس مساء، فهي في المستشفى غائبة عن الوعي أو ما لا أدريه، لكني لا أظن ذلك أبدًا. ما كان صديقنا تريستان سيحرم نفسه من أن يعلمك بذلك.

وإما أنك كنتَ مُقنِعًا جدًا واعتقدا كلاهما أنك لم تترك جوالك في البيت فحسب، بل أنك لا تسمع حتى رسائلك.

وإما أنها تفكر أنك قذر كبير وتخلت عن القضية ولن نسمع عنها شيئًا لكن ذلك يمكن أن يدهشني كثيرًا للأسف.

وإما أنها قررت أن تجعلك تخشى عليها بأمل أن تتصل بها.

شخصيًا أميل إلى الفرضية الرابعة.

وتابعت جولييت، أعدتْ التفكير بما قلته لي قبل قليل، ولدي فضول لأن أعرف كيف ستعمل على إفهامها أن العلاقة مستحيلة بينكما. لأنها ممكنة بقدر ما، إذا نظرنا إلى الأشياء بطريقة موضوعية. لا بل إنها عادية كليًا، فنهاية زواج ، ذلك يحدث كل يوم. لاسيما إذا كان همك الرئيسي في الوقت نفسه أن تكون عادلًا مع قصتكما. شخصيًا، يبدو لي أنه ليس لديها أدنى شك حول الطابع الاستثنائي والفريد لقصتكما. بالمقابل، سوف يكون المقصود إن شئتَ أن تفهمك أن تكون عادلًا مع قصتنا نحن. وفي النهاية، ما الذي تظنه هي على وجه الدقة؟

إنها تظن أنني لن أتركك بسبب افتقاري إلى الشجاعة، دون شك. بسبب تربيتي الكاثوليكية، أيضًا.

تضحك جولييت.

الجانب الكاثوليكي فيك؟ أقلتَ لها إننا لم نتزوج في الكنيسة، وإن طفلينا لم يُعمّدا؟

هز أوليفييه كتفيه.

على كلّ حال الحقيقة، كما تعلم جيدًا، هي أن قصتكما ليست مستحيلة على الإطلاق. من الأفضل أن تتوقف عن أن تقول لها ذلك. وإلا، فستنطلق القصة من جديد مع عودتنا.

قال أوليفييه، معك حق. يجب ألا يبدأ ذلك من جديد. يجب أن أتوصل

إلى أن أقول لها أن كل شيء انتهى. لكني لا أتوصل إلى ذلك. لا يمكنني أن أقول لنفسي إنني لن أراها أبدًا. لأنها شخص مهم في حياتي.

يا لك من حكيم، يا لك من حكيم يا ألمي. أرغمت جولييت نفسها ذهنيًا على النفاذ إلى الطفل الذي كانه بين ذراعيها وعادت إلى وسواسها

.

هل ضاجعتها منذ زيارتك الشهيرة لها في شقتها؟

لا. لا، لكن هذا، في نهاية الأمر، ليس مشكلة. بل إنه لا يكاد يذكر.

إنه كل شيء إلا أنه لا يكاد يذكر، هكذا يفعل الأطفال.

أغلق أوليفييه عينيه.

أعرف، يا جولييت.

في الغداة، لم يكن هناك على الدوام أي خبر من ف. قضت جولييت النهار بانتظار إشارة، كلمة حنونة. وفي المساء بكت في غرفتهما بهدوء بانتظار أوليفييه، الذي كان قد نزل إلى السيارة. فكرت، ما فائدة الاستشراس، هذا البرود، هذا الغياب للحنان، ما أبعد هذا عن الحب الذي حلمت به. الزوج يصنع الزواج، والمرأة تصنع الأسرة. أين قرأت هذه الجملة؟ منذ عدة أيام يعود إلى خاطرها هذا المَثلُ الغبي بلا توقف، ويعذبها بصورة أليمة. تقول لنفسها من جديد للمرة الألف: فليذهب، بعد كل شيء. لكن من المستحيل تصور انتصار الأخرى، مستحيل خصوصًا تصورها وهي تقبل يوهان وإيما. كان أوليفييه قد قال لها وهو يضحك أنّ ف، دون أن تعرفهما، تحب كثيرًا طفليهما. كانت معدة جولييت تتشنج.

كانت لا تزال تبكي حين وصل أوليفييه. ولمجرد حك الجرح والتألم أكثر، هرعت إلى المواجهة إذ جعلته يتكلم من جديد عن الطابع «الاستثنائي» في نظره لهذه العلاقة. قال لها ذلك من جديد، صحيح، لم أعرف أبدًا ما عرفته هنا، في السادسة والأربعين، مثل هذا الاستسلام، الاستغراق في الحنان، الاندفاع لقول أحبك. أطلقت صرخة، وطفقت في النحيب. نهض غاضبًا، وسار خطوتين باتجاه باب الغرفة، وعاد.

قال، لن أكلمك أبدًا. لن أتكلم أبدًا معك.

ولكن قبل عشر سنوات، كنا عاشقين، أيضًا، أليس كذلك؟ ألا علاقة لهذا بالأمر؟ أكان هذا لاشيء؟

قال، ولكن لا، طبعا نعم، ربما، بالتأكيد، لم أعد أذكر أن ذلك كان الشيء نفسه ولكن بالتأكيد إن فقدان ذاكرتي هو من يفعل هذا.

فيما بعد، وقد هدأ، يقول لها: أنت، أنت اللقاء. اللقاء الذي نتج عنه كل شيء، الزواج، الطفلان. أقول فقط إن هذا اللقاء، معها، هذا اللقاء، في السادسة والأربعين، في الستّ والممنوع، لا أظن أنني عشت شيئا مماثلًا من قبل، هذا كل شيء.

قال، استسلام. لو قال عنف، لو قال نضال، لا يُقاوم. لم يقل إلا استسلام. بل إنه لم يدافع حتى عن نفسه، لم يفكر بالإساءة التي سيسببها لها لحظة واحدة.

سوف ينامان لكن جولييت لا تستطيع النوم. تستحوذ عليها فكرة أنه لا يتذكر أنه كان عاشقًا لها. وخصوصا ربما أن الحقيقة التي تستشرس في ألا تراها هي ههنا: أنه لم يحبها أبدًا. وأن ما كانت تعتبره صعوبة في التعبير عن مشاعره لم تكن إلا افتقار حقيقي إلى الحب وأن هذا الحب في نظره، ربما، هو الأول.

نهضت للذهاب بحثًا عن منوّم في الحمام. سألها، ماذا تفعلين؟

أتناول منوّمًا.

كنت أظن أنك تناولته من قبل.

أخذت ربع حبة، وهي لا تكفي. أتناول دواء كي أنام فعلًا.

لحقها وجلس على حافة حوض الاستحمام، غاضبًا.

أستحق ذلك. ولكن لماذا أفعل ذلك إذن، لماذا أنا هنا، لماذا أفعل هذا لها.

تقول له: أفكر من جديد بما قلته لي، بأنك لا تتذكر أنك كنت عاشقًا لي، أتألم.

لم أقل هذا أبدًا.

تنهد.

تعبت.

قالت جولييت، لنذهب إلى النوم.

كانت الليلة طويلة.

في اليوم التالي لم يتحدثا عن شيء أبدًا.

كان ذلك أكثر حذرًا.

في السيارة، في الطريق إلى إيطاليا، استمعوا إلى أسطوانة لقصص مسجلة من أجل الأطفال. وهي تفكر بذلك في المساء، انتبهت جولييت إلى أن يوهان طوال الساعات التي دامتها الرحلة، كان قد فتح فمه ثلاث مرات.

المرة الأولى كي يقول: أحب المعكرونة بالجبن.

المرة الثانية: عند عودتنا إلى البيت، هل يمكننا أن نضع الدب الصغير وبني؟

المرة الثالثة، كانت جولييت قد نسيت.

منذ فترة لا بأس بها كانت السيارة تجتاز منطقًا موحشًا تتناوب فيه الأراضي الصناعية المهملة مع المناطق السكنية البشعة. ألقت جولييت نظرة قلقة نحو أوليفييه الذي أدار وجهه بينما يقود السيارة نحوها، ساخرًا.

هل أنت على ثقة من اختيارك هذا البيت؟

غرقت في كرسيها وحدقت من جديد في الطريق وهي تعض أظافرها. كالعادة لم يهتم أوليفييه بشيء ومحضها ثقته بالنسبة إلى الاستئجار. بعد كل شيء هي التي كانت تريد الذهاب نحو الشمس. حين وجدوا البيت أخيرًا حيث كانت المالكة تنتظرهم، تنفس الصعداء. كان المبنى منعزلًا في نهاية درب ترابي طويل، كان بسيطًا لكنه نظيف مع حديقة أكبر بكثير مما كانت تتخيلتها. نوافذ في الدور الأول، تطل على منظر الريف الذي يمتد حتى عتبة القرية المبنية على هضبة. وقبل أن يلمحوها، سمعوا أجراس الخراف التي كانت ترعى بحرية على مقربة.

حين غادرت المالكة، كانت الشمس تبدأ في المغيب. كان الطفلان جائعين. قرروا الذهاب لتناول العشاء في القرية قبل فتح الحقائب. في اللحظة التي كانوا يغادرون فيها البيت رنّ هاتف جولييت، رقم يبدأ برقمي ٠٤، مجهول منها. لم ترفع السماعة وخرجت إلى الحديقة، بوجه عابس.

سأل أوليفييه، ممن؟

أجابت بجفاء، رفيقتك، كما أتصور.

تجهم وجه أوليفييه غير مصدق.

ما الذي يحملك على التفكير هكذا؟

قلت لي إنها ستذهب إلى منطقة نيس كي تعمل للمدرسة القومية للإدارة، رقم يبدأ برقمي ٠٤، لا أعرف كثيرا مثله.

لماذا لا تتصل من جوالها؟ احتجّ قبل أن يكمل هو نفسه، آه، نعم، كي لا تتعرّفي رقمها.

وأضاف بعد صمت: ألم تترك رسالة؟

ذلك برهان لو احتاج الأمر على أن قناعتها كانت ناجزة.

أجابت جولييت، لا، لم تترك ف رسالة. لايهم، لقد ساءت السهرة

.

قالت إلى أوليفييه، كل شيء سوف يبدأ من جديد عند عودتنا إلى باريس. أنا واثقة من ذلك.

أجاب، لا أظن. هذا مستحيل.

انقضت الأيام التالية حسب الطريقة ذاتها. خلال النهار، يلعبان مع الطفلين، ويذهبون إلى الشاطئ أو يزورون المنطقة. ثم في المساء، بعد أن يخلد يوهان وإيما إلى النوم، كانا يتكلمان تحت الشجرة.

كان أوليفييه تحت العرزال سجينها.

كانت جولييت تستغل الوضع بوعي كامل. كانت تعذبه كما تشاء طوال أمسيات بكاملها، وهي تزجّفه بأسئلة لم يكن في الماضي ليتساهل في سماعها أكثر من دقيقة قبل أن يغادر هارنا. لم يكن بوسعه التخلص منها، وفي أعماقه، كان يجد بعض السكينة.

تحت العرزال كانت جولييت تنسج من حوله شبكتها من الكلمات.

في الأمسية الأولى يقول لها:

كنت حقًا مقتنعًا أنك لم تعودي تحبينني. ذات يوم بكيت وأنا ألاحظ الفراغ الذي كان قد اتسع من حولنا.

أجابته، لم أكف أبدًا عن حبك، لكني لم أكن سعيدة، ولم أكن أعرف كيف أقول لك ذلك. بما أن الكلام لا يفيد في شيء. وجب علي أن أفكر أن الخوف وحده من أن تفقدني يمكن له أن يجعلك تستجيب. ولقد نجحت في ذلك، كما ترى.

أضافت بعد لحظة:

ليس تمامًا كما كنت آمل، وإنما تقريبًا.

في لحظات مثل هذه، يحدث لجولييت أن تفكر بأن كل شيء يسير نحو الأفضل، حتى وإن كانت نتيجة هذه القصة التي يقومان الآن بكتابتها تبدو لها على الدوام مريبة.

وبالتالي استمرت في الحفر.

وهي تحفر، تحفر، مع كلماتها كما لو كانت مجارف صغيرة، معاول صغيرة.

سألت، ألا تعتقد أن حبًا ما يصير في لحظة ما فريدًا لأننا اخترناه، ألا تعتقد أننا نقرر أن نحب، وأن نستمر في الحب، وأن نكف عن الحب؟ ألا توافق أن ثمة هناك حصة للإرادة في الحب؟

أجاب، نعم، أوافق على ذلك. وإلا فلن أكون هنا معك.

بعد ذلك مارسا الحب. لم يعد ذلك من جانب جولييت استراتيجية. كانت قد تحدثت عن العهر ولكنها في الحقيقة استعادت مذاق اللذة التي كان أوليفييه يعرف تمامًا منحها لها. بالطبع، كانت هي التي تقوم دائما بالخطوات الأولى، وترسم الإشارات الأولى. لكنها كانت تبدأ في أن تلمح،

كما هو الأمر دومًا بين الزوجين، أن ما كانت تأخذه على أوليفييه كان هو بالذات ما فتنها فيه. وبالتالي، فإن سلبيته النسبية كانت تسمح لها بترك رغبتها تتصاعد وتقرر إيقاعها، وكان شعورها به شيئًا فشيئًا يتحرك تحت قبلاتها يمنحها إحساسًا بالقوة التي كانت تبلغ أوجها حتميًا في لذة نادرة الحدة. ذات ليلة، وهي متمددة بالقرب منه في امتلاء ما بعد الحب، مزحت.

لماذا لست أنت أبدًا من يبادر؟ يجب دائمًا أن أكون أنا التي ألتصق بك.

ابتسم، ساخرًا.

لكن ذلك كان جيدًا مع ذلك، كان الأمر يستحق.

أجابت، كان ذلك جيدًا.

إذن هذا دومًا أفضل من لا شيء

كان هذا دومًا أفضل من لا شيء.

انقضت الأيام على نحو أقل جودة. كان أوليفييه باستمرار على وشك الانزعاج، معها كما مع الطفلين اللذين ولم يكن ذلك صدفة ولا شك كانا يبدوان صعبين ومضطربين بصورة غير طبيعية. ذات يوم، تشاجرا وعضت إيما يوهان الذي رماها انتقامًا بحصاة على رأسها. كان أوليفييه شديد الغضب، وجولييت فزعة. تعبث منكم! صرخ باتجاه الطفلين، وهو ما كان يحدث له أكثر فأكثر غالبًا، دون أن تتمكن جولييت من أن تحدد بيقين ما إذا كانت ضمن من تنطوي عليه كلمة «منكم» لكنها ما عادت تستسلم للأوهام. في كل مرة يفيض فيها غضبه على هذا النحو تتلافى جولييت وهو أن تلتقي نظراتهما، عالمين أنهما كلاهما يفكران بالأمر نفسه. كان شبح الانفصال ينتصب بينهما، وكان كلاهما مرعوبين.

ثم هدأت الأمور.

بصورة عامة، وللحدّ من مخاطر الانفجار، كانت جولييت تبدو مع أوليفييه مطواعة، مترويّة إلى حدّ الخنوع. كان البيت التوسكاني على مستوى توقعاتها، وكان أوليفييه نفسه يوافق على أن المنطقة كانت رائعة. تتساءل جولييت كيف أمكنها أن تترك نفسها تحاضر إلى هذا الحد. كيف وجدت نفسها كالعجلة أمام هذا الذكر اللطيف لكنه البعيد، الذي يمارس الحب معها بلطف، ويضع يده أحيانًا على كتفها، لكنه لا يشعر أبدًا بالحاجة إلى ضمها بين ذراعيه، وأن يهمس لها كلمات محمومة. فحاضرة في أن تنتبه إلى ألا تسخطه، ألا تناقضه، في وضع أنثى خاضعة، في حين أنها ترغب أحيانًا في أن تصرخ قائلة إنه نذل، إنه قد خان ثقتها، إنه قد أغرقهما كلاهما في رداءة لم تردها، لم تستحقها والتي ترعبها. هل يسعه

ذات يوم أن يعترف بالأضرار التي سببها لها في هذه القصة؟ ومن جديد خطرت لها فكرة أنها في طريقها إلى أن تدع حظها يفلت منها، حظها في أن تخرج من هذا الزواج تاركة لأوليفييه الدور السيء، أن تستعيد حريتها مع ضمير نقي، قادرة على أن تقول فيما بعد إلى طفليها: «فعلتُ ما استطعت فعله.» لكن رؤية ف مقتربة من يوهان وإيما على سريريهما، وهي تقرأ لهما قصة قبل أن تقول لهما مساء الخير، سرعان ما تخترقها بالألم وتعزز عزمها على أن تنتصر في المعركة، في يقينها المؤلم بأنها لا تملك الخيار.

ذات ليلة، سمعت أوليفييه ينهض، ثم يعود للنوم قربها. كان الطفلان ينامان نومًا رديئًا، وكان الجو حارًا. همست: أتنام؟

أجاب: لا، وأنتِ أيضًا؟

لا.

ما الذي يجري؟

كنتُ أتساءل لماذا أيقظتني ذات يوم قبل زمن ليس بالبعيد، كي تقول لي إنك تحبني، ولماذا منذ ذلك الحين لم تعد تشعر أبدًا بالحاجة إلى ذلك.

قال، لا أدري. ذلك المساء أحسست فجأة بوعي حاد بما أوشك أن أفقده.

ولم تعد تشعر بذلك الآن؟

قال، لا أستطيع التفسير. أراك، وأنظر إليك، وأتعرف المرأة التي اخترت، وأراك جميلة. ولكن بين هذا وبين أن أشعر بالحاجة إلى قول «أحبك»...

كانوا قد ذهبوا لزيارة برج بيزا. شعرت طوال النهار بعدم اختصاصها في الفن، وفي العمارة، وكانت تقرأ في عيني أوليفييه اللوم الذي كان يوجهه لها لعدم معرفتها ما تقول أمام تمثال. أو أنها كانت تتخيل ذلك. كما هو الأمر غالبًا، كان يمشي مسرعًا، من دون أن ينتظرها، عدة أمتار أمامها هي التي تلائم خطوتها مع خطوة يوهان. ويتحدث عن التفاهم. يسير الأزواج عمومًا يدًا بيد، أو على الأقل جنبًا إلى جنب، أكان لديهما أطفال أم لا. كان لدى جولييت الانطباع بأنها امرأة عربية، تسير على مسافة عشر خطوات وراء زوجها. في الوقت الذي كانت تدخل فيه مكتب البريد لإرسال بطاقات بريدية، بقي جالسًا في الخارج على مقعد. فالانتظار أمام شباك المعاملات يبدو له بلا نهاية. حين عادت نحوه، بادرته: كلي أمل أن يبتكروا في إيطاليا موزعات آلية للطوابع.

أجاب بإشارة، وهزة كتفين، وتذمر جعلها تهتز.

انفجرت، ماذا هناك؟ أنت غاضب، أليس كذلك؟ ماذا يعني ذلك، هز الكتفين هذا؟

كان أوليفييه ينظر إليها، حائرًا وعدوانيًا.

أجاب، لا، هذا يعني الأمل أن يبتكروا موزعات آلية للطوابع، هذا كل شيء.

كان الطفلان ينظران إليهما قلقين. هدأ غضب جولييت.

قالت، اعذرني، ظننت فعلًا أنك غاضب.

ثم بذلت جهودًا لتبديد الضيق. جهود، تأتي دومًا، دومًا من قبلها. كانت فلورنس قد قالت: لا يمكنك وحدك أن تجعلي العلاقة تسير.

وهاهو أوليفييه يعود إلى هذا.

قال، ثمة لحظات كاليوم أحس فيها بمثل غياب التفاهم هذا بيننا. نحن في إيطاليا، نزور أشياء لا تصدق ويبدو الأمر كما لو كنت لا ترين شيئًا، كما لو لم يكن بوسعنا أن نتقاسم شيئًا ما.

تلقت الظلم وجاهًا، وتحاول التبرير. ثم شيء ما فيها يثور.

أنا التي كنت أظن أن هذه القصة قد انتهت فعلًا، أننا نذهب سوية كي نتواجد معًا من جديد. أدرك أن هذه الإجازة هي فترة اختبار يجري خلالها تقييم علاقتنا، ووزن اتفاقاتنا واختلافاتنا، وأنني أنا أيضًا موضع مراقبة، ومقارنة. ما العلامة التي حصلت عليها اليوم؟ لا حظ هناك، تفاهمنا المعماري قريب من الصفر، فقدت كل النقاط التي كسبتها في الجنس، هذه الأيام الأخيرة.

كفى، جولييت.

ولكن ما الذي علي أن أبرهن عليه؟ بالطبع كان الأمر أفضل معها. أنا لدي الحياة اليومية، والطفلين. لا أدري إن كنت واعيًا، لكني لا أستطيع البقاء إلى ما لانهاية مستعدة، بانتظار اتخاذك لقرارك. ستأتي لحظة أقول فيها كفى، أو أنني أقرر التوقف عن حبك.

قال، إنها حلقة مفرغة. ألا يسعنا النوم؟ نقضي ساعات في الحديث ليلًا ونهارًا تعبنا، نجرّ بعضنا، وكل شيء يبدو ثقيلًا. أنا رأيت لتوي كابوسًا مرعبًا، استيقظت وأنا أبكي، حلمت أن علي أن أقتل أحدًا وأن يوهان أيضًا يريد أن يقتل نفسه. أمر رهيب. بالطبع يجب أن يتوقف ذلك.

قالت، لننم.

خلال نهار وليلة كاملة، لم يتكلما أبدًا عن شيء.

كان أوليفييه قد حمل رواية المرأة المقطوعة لسيمون دو بوفوار، التي كانت ف قد أعطته إياها. وجولييت التي لم تكن قد قرأتها أبدًا استعارتها منه يومًا على الشاطئ وقرأتها دفعة واحدة، مرعوبة. كانت تتوقع قصة هوى. كانت في شكل يوميات خاصة، قصة تنفيذ قتل، هبوط إلى الجحيم

لامرأة مهجورة.

قالت جولييت لنفسها، كانت قصة أمها.

لم تكن جولييت تتعرف نفسها أبدًا في هذه اللوحة لزوجة تقليدية في سنوات الستينيات، لكن ذلك مجرد تفصيل. الأكثر إقلاقًا كان أن «العشيقة» في الكتاب لم تكن تقوم إلا بدور الحضور الشكلي، في حين يؤدي الزوج فيها دورًا ثانويًا، وأن حبهما لم يكن يُرى إلا عبر المحنة التي كان يُغرق فيها القاضة. تستكمل الرواية عند عودتها إلى شقة سوداء خالية، وتنتهي بهذه الكلمات: أنا خائفة. «لا شيء يقارن مع علاقتنا»، كان أوليفييه قد قال مبتسمًا، مع هز كتفيه وهو يغلق الكتاب. كانت جولييت مرتاحة وهي تسمعه يقول ذلك لها. كانت تجد في هذه القراءة تأكيدًا لجنون ف الغريب، وحده عقل مريض أو مسكون بالكراهية يمكنه أن يتصور فكرة إهداء مثل هذه الرواية لعشيق كي تقنعه بالانفصال عن زوجته. فكرت ثانية بالرسالة الهاتفية المكتوبة «أريد أن تكون ميتة»، وأحست بانزعاج عميق. من جديد خطرت لها فكرة أن ف تتمنى الشرّ لها حقًا. كان ذلك هو الإحساس نفسه بأنها وهي وحيدة في دهليز مترو أو في الشارع ليلًا كانت تسمع وقع خطوات وراءها. كان ذلك مبالغة لا عقلانية، لكن الماضي علمها أن الخوف كان أحيانًا ناصحًا جيدًا. ضوء «الخطر» أضاء في رأسها. حاولت تجاهله، لكنه استمر في الإضاءة المتناوبة.

٢٧

كان قد مضى أسبوع. استقر أوليفييه حاملًا دفترًا تحت الشجرة وقد بدا مرتاحًا، ومبتسمًا، ومداعبًا.

سوف أفرغ هذه الزجاجة من نبيذ الكيانتي وأنهي هذه الرسالة.

إلى أين وصلت فيها؟

أتقدم. لدي مشروع إرسالها بالبريد غدًا.

ماذا تقول لها؟

أن انتهى الأمر، بصورة إجمالية.

هل تكتب رسالة طويلة أم قصيرة؟

طويلة بالأحرى.

قطب حاجبيه ونظر إليها مستفهمًا.

هل تعتقدين أن علي أن أكتب رسالة قصيرة؟

هزت كتفيها بإشارة الجهل.

استغرق ثانية في دفتره وفكر، وقلمه في الهواء. ملأت جولييت بدورها قدحًا من نبيذ الكيانتي.

وعيناها ثابتتان على العتمة أمامها، أطلقت فجأة:

حين أعيد التفكير بالمحادثة الهاتفية التي كانت لي معها، إنها حقًا معطوبة هذه الفتاة.

رفع رأسه وقد بدا حيرانًا.

لماذا تستخدمين هذه الكلمة؟

أية كلمة؟ معطوبة ؟

نعم، «معطوبة «. إنها كلماتها هي، هي التي تقول هذا. أنت لا تقولين أبدًا «معطوبة «.

تنهدت جولييت. إنها لم تعد تستطيع استخدام الكلمات التي تريدها.

بالطبع نعم، نعم، أقول «معطوبة «. كل الناس يقول «معطوبة».

تجهم أوليفييه، غير مقتنع. ألحت جولييت.

لم تلفظ هذه الكلمة حين كانت معي على الهاتف، إذا كان هذا ما تفكر به.

ما دمت تقولين ذلك.

كيف تنهي رسالتك؟

أتريدين قراءتها؟

كان يتكلم جديًا، مشيرًا إلى دفتره. ترددت، وقد فوجئت، ثم تخلت عن

أن تعذب نفسها. لابد أن في الرسالة حتمًا كلمات فائضة في نظرها. لكنها لن تذهب مع ذلك لتصحيح رسالته في القطيعة.

فيما بعد، في غرفتهما، متمددة عارية على السرير، وعيناها محدقتان في السقف، تقول:

كانت هناك الثقة. لم تكن الأمور سهلة، لكن الثقة كانت هناك.

قلت ذلك من قبل، قال لها ذلك بلا عدوانية وهو يجلس قربها، واضعًا يده على فخذها.

وتلاحظ، مرة أخرى، كم يحب جيدًا أن يستعيد جملتها، وأن يشير إلى تكراراتها، كما لو أنها تقوم كل يوم بامتحان شفهي في مواجهته.

ربما قلتُ ذلك من قبل، لكنه مع ذلك صحيح. لقد كذبت علي.

من الممكن رؤية ذلك على هذا النحو. من الممكن القول إنني كذبتُ عليك. من الممكن القول أيضًا إنني قلت لك الحقيقة في نهاية ثلاثة أسابيع فقط، تمامًا لأنني لا أستطيع أن أكذب عليك. الحقيقة غير كاملة، الحقيقة على مراحل، لكنها الحقيقة مع ذلك.

صحيح. من الممكن رؤية ذلك على هذا النحو.

هما شديدا القرب. لتحاول أن نرى ذلك على هذا النحو، فكرت. مارسا الحب.

في الغداة صباحًا، عند الاستيقاظ، وجدته مضطربًا.

حلمتُ بأنك تلومينني، وكنت تعيسًا.

أخذته بين ذراعيها، وقد دهشت من اكتشاف مفاجئ. أيًا كانت صعوبة قبول ذلك بالنسبة إليها، كان أوليفييه يجهل فعلًا الشعور بالذنب. فما دام يعرف نفسه ولاشك في أعماقه عاجزًا عن تحمله، كان يستبعده حتى قبل أن يعيه، ويخرسه بالخصومة. كل لوم يفعل ذلك لم يكن يطلق كاستجابة إلا العدوانية، بدلًا من الاندفاع نحوها، والتعبير عن الأسف الذي كانت تأمله على الدوام. كان، بكتابته رسالة القطيعة هذه، يمضي إلى أقصى ما يمكنه فعله. فهو ليس مسؤولًا عن غياب الانفعال لديه بعد كل شيء.

على الطريق إلى الشاطئ، وضع الرسالة في علبة البريد.

فيما بعد، وفي وقت متأخر جدًا من اليوم نفسه، على السطح وقد تمددا على كرسييهما الطويلين وحدهما في الليل، أشعل جواله، ووجد رسالة نصية من ق.

«أرسل لك قبلة من شاطئ خالٍ تحت الشمس.»

قامت جولييت بجهد كبير كي لا تدع شيئًا يبدو عليها، لكنها قبلت ذلك بصعوبة. أدرك أوليفييه ذلك.

إذا كنت تفضلين، يمكنني ألا أحدثك عن ذلك، ليس مهمًا.

لا تصدق. ألا يزال قادرًا على الكذب عليها بالنسيان، أن يخفي عنها رسائل من ف؟ ألم يكن قد فهم أن الحقيقة الكلية والكاملة بينهما هي حظهما الوحيد في الخروج من هذه القصة؟

قالت، أترى، إنها لم تمت. إنها في صحة جيدة. لن تتخلى عنا أبدًا.

ستتخلى. لقد أرسلت الرسالة ظانة أنني سأقرأها بباريس. حين ستعود إلى باريس ستكون الرسالة بانتظارها.

أتظن أن ذلك يكفي؟ قل لي ثانية ما كتبته لها.

ابتسم أوليفييه، ساخرًا، وكأنه يقول: أترين، كان عليك أن تقرأيها.

بدأتْ ب: يوجد الكثير من الأشياء التي يجب تقال لكن الأساس هو معرفة كيف وصلنا إلى هذا المشهد العجيب.

قاطعته، أي مشهد؟ هناك عدة مشاهد، من وجهة نظري.

مشهد يوم رحيلي هربي. ثم أتكلم عن «انتهى هذا»، عن الفرق الموجود بين قول «هذا مستحيل»، «يجب التوقف»، وبين «هذا انتهى»، اختلاف لم أكن أقدره أنا نفسي، بل أنت وتريستان أيضًا من جعلاني أفهمه. ولماذا لا أستطيع قوله.

لماذا؟

نعم، شرحتْ لها لماذا.

ولماذا؟

لأنه يبدو لي أن ذلك سيكون شتيمة للطابع الفريد لما سبق وعشناه معًا. ولأنني أعتقد أنني أنتظر أن تقول ذلك هي.

ممم. وبعد ذلك؟

بعد ذلك أعود إلى الأسبوعين الأخيرين، إلى الرعب الذي عشته رعب رفع سماعة الهاتف، العودة إلى بيتي ورسالة الأبله الآخر (تريستان) الذي تظاهرتْ الاستخفاف به لكنه أرهبني. أقول أيضًا إنني أعرف لأنها قالته لي أنها احتفظت بكل رسائلي، أنها أعدت ملفًا ضدي مع كل التصريحات التي قلتها والتي تعادل في نظرها التزامات كي تتمكن من إخراجها لي قائلة: حين يُقالُ ذلك، لا يمكن .. إلخ. وأنها بالمقابل كانت تلغي الرسائل، لأن ثمة رسائل، ليس كثيرًا، ليس بالقدر الكافي، لكن كان ثمة رسائل، كانت تقول العكس. كانت تلغي كل الرسائل التي تقول: يجب التوقف، هذا أكثر مما تحتمله جولييت.

أهذه هي الحجة التي استخدمتها؟ هذا أكثر مما تحتمله جولييت؟

أليس هذا صحيحًا؟

لم يكن ذلك محتملًا من قبلي فقط، أليس كذلك؟ نوبات الهيستيريا، والإغماءات في الشارع، والاتصالات التي تدوم ثلاث ساعات، مهما فعلت، لا أستطيع الاعتقاد بأن ذلك كان حسنًا بالنسبة إليك. لا بالنسبة إليك، ولا بالنسبة لها.

قال، كان ذلك مرعبًا. الرعب. لا يمكنني أن أتصور أن ذلك سيبدأ مجددًا. ما الذي قلته لها أيضًا، إنني من بين الاثنين أنا من كان عليه أن يكون الأكثر حذرًا، بما أنها بين الاثنين كانت هي التي لم يكن لديها أي شيء تفقده. وأنهي الرسالة بقولي إنني أعددت أموري كي لا أتابع جامعة الحزب الاشتراكي الصيفية، إلا إذا أعلمتني أن بوسعي المجيء وأن كل شيء سيجري على ما يرام إن أوحى إليها الصيف بالنصيحة.

لحظة؛ ثم أضاف:

لدي الأمل بأن تكون قد سارت منذ رحيلنا جزءًا من الطريق، وأنها بدأت الحزن، وأنها ستفهم.

أجابت جولييت مرتابة، الرسالة التي أتت على إرسالها إليك لا تسير في هذا الاتجاه. أخشى أن شيئًا ما في اللحظة الراهنة لم يتغير في نظرها.

بالنسبة إلي، الأشياء تغيرت، هناك الإجازة، تقاربنا كلانا.

فكرت جولييت بمرارة، لقد نجحت إذن في الاختبار.

قالت، يبدو أنك مسرور. أنت مسرور أساسًا لأنك تلقيت أخبارًا عنها.

أنا مسرور أنها ليست في غيبوبة، نعم. في الأسبوع الماضي بعد رحيلنا كنت حقًا مرعوبًا. لكني كذبت عليها حول الجامعة الصيفية. سيزعجني كثيرًا ألا أستطيع الذهاب إليها. لكني كتبت هذا كي لا تتمكن من التفكير أن ثمة هناك موعدًا ضمنيًا.

وباستثناء ذلك، هل لديكما مواعيد مهنية أخرى؟

أجاب، لا، لاشيء هام أو لا يمكن تلافيه.

في الغداة، كانت أمسيتهما الأخيرة تحت العرزال. كان الطفلان نائمين. شربت جولييت وقد كانت مرتاحة عدة كؤوس على السطح، وطلبت إلى أوليفييه وقد صارت ثملة بعض الشيء إلى ماذا كان يلمح في رسالته، حين كان يتحدث عن التصريحات التي كان قد أدلى بها والتي احتفظت بها ف ضده. حدق بها أوليفييه حذرًا.

قال، كلمات حب.

أية كلمات؟

لم يجب. تبادلا التحدي لحظة بالنظرة، ثم استأنفت جولييت.

سوف أقولها وتجيب بنعم أو بلا. أحبك؟ لم أكن أبدا بمثل هذه السعادة؟

أشياء كانت تدور حول الطابع الاستثنائي لتلك اللحظات، نعم، لكني قلت لك ذلك من قبل.

أشياء حولنا؟ أريد أن أترك زوجتي؟

لا.

إذن ماذا حولنا؟

ظننتك لا تريدين أن تعرفي بعض الأشياء.

لكن هنا أسألك ما أريد معرفته.

لكني لستُ مرغمًا على أن أجيبك.

سكتت. بعد كل شيء، هل كانت حقًا ترغب المعرفة؟ كان أوليفييه قد استأنف.

قلت لها أشياء مزعجة بالنسبة لك لو سمعتها، هذا أكيد.

مثلًا؟

لن أقولها لك. لكن كل ما قلته لها تقريبًا عنك مزعج عند سماعه، كما أفترض.

لحظة. يضحك. استفهمته بالنظر.

لا أستطيع أن أمنع نفسي من أن أتساءل ما الذي تتخيليته عندما أقول «أشياء مزعجة عند سماعه». لم أقل أشياء من نوع: «إنها عجوز» أو «إنها سيئة التكوين»، إن كان هذا ما تعتقدينه.

كادت تختنق وهي تشرب، فسعلت.

أشكرك.

تابع أوليفييه:

صدقيني إن استطعت، لم أنوِ أبدًا تركك، كان يمكن أن يخطر لي أن أقول لنفسي هذا صحيح، يوجد أناس يطلّقون، هذا موجود، لكني لم أنوِ ذلك أبدًا بالنسبة إلي. لقد عرفت على الدوام الجانب الجنوني في طريقتها. تعرفين ماذا يقول بارت في شذرات من خطاب.

أجابت، آسفة، لم أقرأ بارت.

يشرح أن هذا هو المقصود في الشعور العاشق، قولُ هذه الكلمات. كنت أعرف أنني لن أعيش معها شيئًا، لكني بدل ذلك كنتُ أقولُ هذه الكلمات.

أجابت مرتابة، آه، آه. الكلمات أو البراهين، يجب الاختيار، أليس كذلك؟

بمعنى ما.

مادامت قد وصلت إلى حيث هي الآن، عزمت على أن تحدثه عن الفكرة التي تشغلها منذ عشية الأمس.

هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالًا؟ أمس قلت أنك كنت تستطيع ألا

تكلمني عن رسالتها. هل تستطيع ذلك حقًا؟ ألا زلت قادرًا على أن تخفي عني بعض الأشياء ؟

لم يجب. فكرت، وأضافت:

أفكر من جديد باللحظات التي قضيتها معها، بعد أن حدثتني عنها. هل مارست الحب معها بين أوبينيي وبين حفلة احتفالها بالانتقال إلى شقتها الجديدة؟

أحشت، جسديًا تقريبًا، النرفزة التي كانت تتصاعد في نفسه، كما لو أنها كانت في جسده. أجاب بلهجة جافة:

ههنا أوقفك على الفور، ليست لدي ذاكرة تأريخية، أنا عاجز عن تذكر ذلك.

هل تعني أنك أقسمت لي أن ما كانت قد قالته لي كان مزيفًا بعد اتصالها الهاتفي في غالابيتا؟

ما دمت تقولينه، فلابد أنك على حق، تتذكرين هذه الأشياء أفضل مني.

أقسمت لي أن ذلك مزيف في حين أنه كان صحيحًا.

بالتأكيد، لأنني لم أكن أريد أن تكون هي التي تقوله لك.

منطقه الحتمي. الكذب المبرر، المعذور، بفعل الضرورة.

لكنني منذ الإجازة، أقول لك الحقيقة.

تنهدت.

أوكي، أصدقك، لابد لي من أن أصدقك. لكنك تفهم أيضًا أن بوسعي أن أرتاب، بعض الأحيان، من الآن فصاعدًا؟

مرة أخرى، لاحظت عجزه عن تطمينها.

في الغداة اتخذا الطريق من أجل العودة إلى باريس.

سأل يوهان، هل سنجتاز الحدود؟

ما إن وضعت جولييت قدميها في غالابيتا نيتوورك حتى تسارعت المزعجات إليها. ففي غيابها، تأخر مشروع ماجلان تأخرًا كبيرًا واشتكى الزبون. استدعيت إلى مكتب المدير العام كي تشرح الأمر. استدعي أيضًا سميها التجاري وعلى أنه مسؤول بقدر مسؤوليتها فإنه سرعان ما سينخلص بلباقة وينظر إليها وقد صالب ذراعيه، هادئ الأعصاب، تنزحلق على الأرض التي سبق له أن ملأها بالصابون بدقة. كابدت جولييت بصبر مآخذ شاتيل وهي تلقي نظرة وصينة على ساعتها. كانت يولاند قد ذهبت في إجازة ولم تكن مربية الأطفال التي حلت محلها خلال الصيف حرة قبل يوم الخميس. كان لابد لجولييت من الذهاب عند الساعة ١٧ بصورة مطلقة كي تستعيد طفليها من مركز التسلية، بعد المشتريات، والحمام وإعداد العشاء، أنهت يومها مرهقة.

أما أوليفييه فقد عاد من المجلة بمزاج ممتاز. كانت ف قد تركت له رسالة، كل شيء على ما يرام، هي الأخرى كانت قد فكرت خلال هذين الأسبوعين من الانفصال، وتلقت رسالته وكانت موافقة، وتتمنى له إجازة طيبة، وتأمل أن يستمرا في اللقاء بوصفهما صديقين.

نظرت جولييت إلى أوليفييه مشدوهة. وابتسمت.

قالت، لا أصدق ذلك.

فقد على الفور ابتسامته، وهز كتفيه.

كان عكس ذلك سيدهشني.

هل أجبتها؟

أرسلت لها رسالة أتمنى لها فيها أيضًا إجازة طيبة. تصورت مثلك أنها ربما سوف تغير فكرتها وتتصل بي خلال نصف ساعة. لكن لا، أرسلت لي رسالة هاتفية لتشكرني. وهذا كل شيء.

كل شيء.

نعم.

وبالتالي؟

ماذا؟

تهكمت جولييت، أي حلت القضية، نهاية سعيدة، هيا أرسلوا العناوين؟

يبدو أن ذلك لا يسرك.

لا، هذا لا يسرها، أبدًا. كانت تشعر بنفسها قلقة، خائبة، محبطة. كان أوليفييه يتكلم من قبل عن إمكانية العشرة مع ف بطريقة صداقية. لم

تكن ترى كيف يسعها منعه حتى ولو كان هذا المنظور يثير جنونها. كانت تعتمد على نوبة هستيريا جديدة، مشاهد، صرخات غضب. أسوأ ضربة يمكن لهذه الفتاة أن توجهها لها كانت أن تظهر فجأة بمظهر العاقلة. لم يكن أوليفييه بالطبع ينوي ثانية واحدة أن يتخلى ببساطة عن رؤيتها لمجرد احترام زوجته. بعد كل شيء، كانت جولييت أيضًا ترى من وقت لآخر بعض عشاقها القدماء.

كزرت. لا أصدق ذلك. لا أرى كيف يمكن الانتقال من علاقة كهذه إلى علاقة صداقة صافية وهادئة. ربما فيما بعد. لا في مثل هذه الاستمرارية، لا دون قطيعة صريحة.

أجاب أوليفييه ببرود، لا أدري. لا أعرف ولا شك مثلما تعرفين هذه الأشياء. بالنسبة إلي، هذا يبدو ممكنًا.

كان قد تناول الغداء مع تيبري، رئيس التحرير، الذي كان قد دفعه عفويًا إلى التخلي عن فكرة الذهاب إلى الجامعة الصيفية للحزب الاشتراكي، التي يقع موعدها في نهاية شهر أغسطس. لا بسبب المشكلات الشخصية بما فيها جولييت بقدر ما كان ذلك نظرًا إلى وجوب تواجد رئيس دائرة بباريس طوال هذه الفترة. كان أوليفييه قد قبل، لكنه أظهر بعض الأسف. والآن وقد صار كل شيء واضحًا مع ف، كان يفكر ببعض الانفعال باللحظات السارة التي كان يسعه أن يقضيها هناك. ولم تكن تشغله على الإطلاق فكرة ما يمكن لجولييت أن تعانيه طوال هذه الأيام، وحين قالت بلا حذر عند منعطف محادثة: لا أستطيع منعك...، اختلج: منعي؟

سكتت.

في الغداة، قضت جولييت فترة مؤلمة طوال بعد الظهر. كانت قد نجحت صباحًا في معالجة المشكلات الأكثر إلحاحًا وفي امتصاص قليل من التأخير المتراكم في مشروع ماجلان. كان بقي ملف فيكتوار، «جبهة الغرب»، كما كانت تقول الآن كي تتلافى تسميتها. «ماذا هناك على الجبهة الغربية؟» صارت، منذ أن كانت بتوسكان، طريقتها في سؤال أوليفييه إلى أين وصل في علاقته مع ف. كان بوسعها أن تختار الشرق أو الجنوب. لماذا الغرب؟ لم تكن تعرف عن ذلك شيئًا. رياح الغرب التي تحمل المطر، في الغرب لاشيء جديد... منذ عشية الأمس، يخفق قلبها قلقًا من فكرة عودة أوليفييه إلى استئناف الكذب عليها. كانت قد قالت له في الليلة الأخيرة بتوسكان:

عدني أن ذلك لن يبدأ مجددًا بباريس.

كان قد سألها، ماذا على وجه التدقيق؟

ضروب الكذب، أنصاف الحقيقة، ضروب النسيان.

وقد أحس ارتسام ظل لوم ما، انكمش أوليفييه دفعة واحدة.

هي الأخرى تقول إنني كذبت عليها، غريب هذا.

معها حق. ليس هذا متنافرًا.

بالطبع. بوسعي أن أكذب عليكما كلاكما.

لم تحصل منه على أية ضمانة.

حاولت عبثًا الاتصال بأوليفييه عدة ساعات. كان قد قطع جواله ولم يكن يجيب على هاتفه الأرضي. تخيلت الأسوأ كان سلم الأسوأ عندها قد تغير بصورة محسوسة خلال هذه الأسابيع الأخيرة، حتى صار تمامًا معادلًا لدرجة تفاعل أوليفييه مع ف.

لم يتصل أوليفييه بجولييت إلا بعد مغادرتها المكتب. كان قد نسي هاتفه الجوال في البيت. وهي تعود مع الطفلين، رأته في الواقع موضوعًا على الكنبة في المدخل، مطفأ. أشعلته بلا تردد. أشارت الشاشة « ٣ اتصالات غيابيًا» (اتصالاتها ولا شك)، وصورة علبة التسجيل مضاءة (لكنها كانت هي نفسها قد تركت رسالة).

كانت العلامة في صورة مغلف رسالة تضيء مشيرة إلى وجود رسالة جديدة.

أطفأت الهاتف الجوال.

كان البحث في تلفون زوجها لا يتلاءم مع الفكرة التي كونتها عن نفسها.

على الأقل كانت تلك هي الحالة دومًا حتى الآن.

صار من الواجب على فكرتها عن نفسها أن تتغير جديًا لأن عدم التلاؤم هذا لم يعد يبدو لها، فجأة، واضحًا أبدًا.

لم يعد دور المرأة التي لا مأخذ عليها واللائقة التي كانتها في ماض بعيد من الآن فصاعدًا سوى واجهة، على مسافة بعيدة من المخلوقة المثيرة للشفقة، والتي تأكلها الغيرة، التي صارتها. كرهت نفسها وكرهت ف أكثر لأنها كانت من صنع هذا التحول. أعادت التفكير في ساعات العذاب والقلق التي قضتها بعد الظهر لمجرد عدم قدرتها على الوصول إلى أوليفييه، وتساءلت إن كان هذا قسمها في الوقت الحاضر.

كان الجواب نعم، دون أي ظلّ من الشك. شعرت بسببه بمرارة قوية. وفكرت أنها وقد وصلت إلى ما هي عليه، فلتكف عن حجب وجهها ولتمض حتى نهاية الرداءة. أعادت إشعال الجوال، ونقرت على القائمة حتى وصلت إلى «الرسائل»، واختارت «القراءة». كانت الشاشة صغيرة، ولا تُظهِر إلا قائمة بثلاث رسائل. ثلاث رسائل من فيكتوار، تحت اسم عائلتها.

لاشك أن هناك رسائل أخرى في الأسفل، لكنها لم تتحقق.

نقرت على الرسالة الأولى الأحدث: «شكرًا، وأنا كذلك. قبلات.» الثانية: «البقاء صديقين، ممكن؟ أود ذلك.» الثالثة: «أرسل لك قبلة من شاطئ قاحل تحت الشمس.» كانت الرسالة التي كان أوليفييه قد تلقاها الأسبوع الماضي بتوسكان. تحت هذه الرسائل الثلاث، كان هناك رسالة أخرى، كان مرسلها رقمًا مجهولًا. لم تفتحها، وأطفأت التلفون وانتظرت عودة أوليفييه.

سأل بمرح حين وصوله، ماشي الحال؟ ليس على مايرام، في الظاهر، أتمّ وهو يرى وجهها العابس. أجابت، قضيت ساعتين بعد ظهر هذا اليوم في الاتصال بك، لم يجعلني هذا ذات مزاج ممتاز. بعد ذلك أشعلت جوالك ورأيت رسائلك مرعب هذا، لم أكن أظنني أصل إلى هذا ذات يوم. من الأفضل لك أن تغير رمز الدخول.

لم يعلق أوليفييه بشيء، لم يكن يبدو ذلك مزعجًا في نظره. أكد لها أنه ليس لديه أي خبر من ف، وأنه كان بكل بساطة يتنزه هنا وهناك. لا حاجة للقلق، فعلًا. لم يكن في الرسائل الهاتفية ما يناقض ما قاله لها أوليفييه في العشية، لكن جولييت لم تعد تعرف إن كان عليها أن تصدقه.

ما إن نام الطفلان، حتى ضمته، وعزته في المدخل، وأجلسته على كرسي الصالون، وجلست فوقه وبمطلق الحق، دون أية كلمة، أدخلت عضوه المنتصب فيها، ومارست معه الحب بعنف، وبلا حنان، مستخدمة إياه كما كان يمكن لها أن تفعل مع مجهول واقف في بار. لم يكن يبد على أوليفييه أنه يعي ذلك لا بل بدا عليه أنه ذلك يروقه، لكنها لم تستخلص من ذلك أي تعزية. كان وضعهما بلا مخرج، ولم يكن الحب الجسدي يحلّ شيئًا.

في الغداة، حين عاد أوليفييه، سألته من جديد ، أليس من أخبار دومًا عل الجبهة الغربية؟

تردد.

أجاب، لا شيء ذي أهمية. جاءت إلى المجلة وأودعت لدى موظفة الاستقبال شريط فيديو لكن ذلك كان، كيف أقول، قضية معلقة ، تابع بسرعة. فيلم وثائقي كنا تحدثنا عنه، كانت وعدتني أن تعيرني إياه.

هزت جولييت رأسها.

رسائل؟ لا وجود لرسائل.

سألت حالمة، مجرد شريط فيديو؟ لدى موظفة الاستقبال؟ ألم تصعد؟

أجاب حذرًا، لا. على كل حال، كانت مسافرة إلى الجنوب اليوم.

لم تلح حينئذ لكنها صباح اليوم التالي، وهي تشرب قهوتها، هاجمت.

قالت، هناك مع ذلك أمر غريب. كيف عرفت أنها سافرت أمس؟

أرسلت لي رسالة تقول لي فيها ذلك.

قلت لي أمس لا رسائل هناك. وتابعت دون انتظار الجواب، لأنه كما ترى لا يسليني حقا أن ألعب دور الشرطي، ولكن إذا انتهى الأمر بينكما وتتكلمان مع بعضكما كل ساعتين وترسل لك ثلاث رسائل يوميا، فسوف يشكل ذلك بالنسبة لي مشكلة، على المدى البعيد.

أجاب بصورة جافة، ليس هناك أي خطر أن يحدث ذلك.

لو كانت جولييت امرأة أخرى، لكانت قد توقفت عند هذا الحد. لكن جولييت، باعتبارها جولييت، لا تستطيع أن تمنع نفسها من أن تكون نفسها وعلى الرغم من أنها تشعر في هذه اللحظة على وجه التدقيق بصورة واضحة أن أوليفييه يرغب في قتلها، فإنها لم تتخلّ عن الأمر بسبب ذلك.

ومع شريط الفيديو لم يكن هناك شيء؟ ولا مجرد كلمة؟

هبّ أوليفييه حانقا.

نعم، كانت هناك رسالة، ولم أعد أتذكر ما تقوله، إن كان هذا ما تريدين معرفته، ليس لك إلا أن تقرأيها.

خرج كالإعصار من المطبخ، وعاد مع ورقة مطوية قذف بها على الطاولة.

هي ذي، لقد هزتني هذه الرسالة إلى حد لم أعد معه أعرف ما هو مكتوب فيها. لكن إقرئيها، سوف تتذكرين قطعا كلمة كلمة ما كتب فيها بعد عشر سنوات.

نظرت إلى الرسالة من بعيد كما لو كانت نفاية نووية دون أن تبدي أي نية في الاقتراب منها.

لن أقرأها. قل لي، أنت، ما تقوله.

تردد أوليفييه قليلا، ثم استعاد الرسالة، وبسطها، وقرأ بسرعة بلهجة حاقدة.

«بعد أن قرأتك، ليس لدي خيار آخر...الكف عن الإرهاب الذي، كما تقول، أسببه لك...أحتفظ في قلبي بذكرى لحظات مذهلة... آمل مع الزمن؟؟؟ نسج علاقة أخرى.. أقبلك. فيكتوار.»

(فكرت جولييت، معجز هذا الاسم. بفضله، أقل رسالة، أقل رسالة إلكترونية توقعها تتحول إلى صرخة نصر.)

قال وهو يدعك الرسالة التي ألقى بها إلى سلة المهملات، هل أنت سعيدة؟

أجابت، عنيدة، لا أصدق ذلك. مستحيل أن تقبل قطيعتكما على هذا النحو. أو أنها تكذب، أو أنها كانت تكذب من قبل.

كان يجب اصطحاب الطفلين إلى مركز التسليات، فتأخرت جولييت بمحض الصدفة وهي تبحث عن مفتاحها في حين كان أوليفييه ينزل مع الطفلين، ودون أن تكون قد خططت لذلك راحت إلى سلة المهملات وألقت نظرة على الرسالة. كانت الكلمات، المكتوبة باليد، هي تمامًا تلك التي كان أوليفييه قد قرأها لها. أعادت الرسالة إلى سلة المهملة خجلى وانضمت إلى زوجها وطفليها عند أسفل العمارة.

اجترت طوال النهار. لم تكن تتوصل إلى أن تفهم لماذا أخفى عنها أوليفييه وجود هذه الرسالة التي كان محتواها في نظره مطمئنًا. لم تكن اللحظة المناسبة، كما قال. (دومًا هذا التنسيق الخبير بين الحقيقة والكذب، الشفافية والنسيان. لكن ذلك لخيرها كما يبدو.)

لاسيما وأن جولييت كانت خائفة من اللهجة العقلانية والمتوازنة للرسالة. كانت تقريبًا رسالة يمكن لها أن تكتبها. (وإن كان الأمر عند التفكير، لا. أيًا كانت عقلانيتها وتوازنها، كانت محررة بلهجة تثير الشفقة شديدة الدلالة على ف والتي كانت بالتأكيد تجرح أذنها. فكرت برسالة القطيعة التي كانت قد أرسلتها إلى أوليفييه في بداية حكايته مع ماريا، حين تبين بوضوح لجولييت أنه لم يكن جاهزًا لقضاء حياته معها. في ذاكرتها، كانت رسالة حافلة بالتهكم، تحفة من اللامبالاة الساخرة المكرسة لجعله يشعر بكل ما يفقده. هذا الهدف كان قد تم ولاشك بلوغه بما أنه عاد إليها بعد عدة سنوات.) ولكنها في النهاية، كانت رسالة معقولة. والحال، كانت جولييت قد فهمت منذ وقت طويل أن حظها الوحيد في استعادة أوليفييه يكمن في اختلال ف العاطفي، في مظاهر شخصيتها العنيفة، الهيستيرية (مرض الحالة الوسطى بين عاطفتين؟ لم تكن جولييت تعرف شيئًا عن كل هذه الأمراض، لكنها وعدت نفسها أن تستعلم). بوسع أوليفييه أن يتأثر من وضعها بل وأن يحزن، لكن هذه الهشاشة كانت تخيفه بوجه خاص. هل أمكنها أن تنخدع إلى هذا الحد ب ف؟ ندمت على ترددها الذي حال دونها ودون استعادة الرسالة من سلة المهملات كي تقرأها ثانية وتحتفظ بها، لحاجة ما.

بدأت مربية الأطفال التي استخدمت لفترة الصيف عملها ذلك اليوم. كانت طالبة شديدة الحيوية تستخدمها جولييت منذ عدة سنوات خلال فترة الإجازات، وريثة روحية للمربية المثالية ماري بوبينز تسمي نفسها على وثائق أجورها جولي، لكنها لسبب غامض تسمي نفسها زويه. كانت

أكثر سلطوية وأقل وذا من يولاند، لكنها تطفح بالنشاط وكان الطفلان يحبانها. في نهاية النهار، استغلت جولييت الحرية التي يتيحها لها وجود زويه وتأخرت لتناول قدح مع زملائها. حين عادت إلى بيتها، كانت رائحة حلويات تفوح في الشقة. كان يوهان وإيما وقد خفما وألبسا البيجاما جالسين على السجادة، يقهقهان أمام مشهد الدمى المتحركة الذي ارتجلته مربيتهما. كانا قد تناولا العشاء من قبل. وكان المطبخ كامل النظافة والترتيب، وعلى المائدة حصتان هائلتان من (التورته) الحلوى الذي أعد لهما، هي وأوليفييه، تنتظراهما. ألقت جولييت نظرة أرادتها عفوية تحت مفسلة المطبخ. قضي الأمر. كانت زويه وكان عليها أن تتوقع ذلك قد غيرت كيس المهملات وأنزلته إلى مقصورة القمامة. خطرت لها لحظة فكرة الوصول إلى أسفل سافلين أن تنزل بحثا عن الرسالة في برميل القمامة قبل أن يخرجه حارس العمارة إلى الشارع، وتراجعت في اللحظة الأخيرة. بعد كل شيء، لم يكن لذلك أية أهمية.

في المساء، اعترف لها أوليفييه أنه بعد ذهابها، صباحا، كان قد صعد ثانية إلى الشقة واستعاد الرسالة من سلة المهملات.

من يدري، ربما سأحتاج إليها كي أذكرها بها يوما ما. لماذا تضحكين؟

خلال محادثاتهما اللامتناهية، أثناء إقامتهما في توسكان، كان أوليفييه قد شرح لجولييت أن أحد الأشياء التي جذبته نحو ف كانت فكرة منح أسرة لابنها. كانت قد قصت عليه أن والد توم كان يحتج بمشكلاتها الصحية كي يحاول أن يسحب منها حق الاحتفاظ به.

تستطيعين أن تتصوري ما الذي كان هذا يفعله بها. لو كنا نعيش معًا، هي وأنا، لقدم ذلك لها حجة ضد هذا المخبول. لقد تركته لأنه كان يضربها، كما يبدو.

لم يخف على أوليفييه ارتياب جولييت.

أكانت خاطئة أم على صواب، لم تعد تولي أي مصداقية لما يمكن أن تحكيه ف. حسب أوليفييه، عاشت طفولة مدللة، وربيت على أيدي أبوين معجبين بها. كانت تقدم في نظر جولييت كل أعراض فتاة صغيرة مدللة.

كان أوليفييه قد أنهى.

جديًا أظن أن هذا الرجل كان حقيرًا حقيقيًا. هذا ما قاله لي تريستان أيضًا.

أجابت جولييت دون تفكير، أحذر من الناس الذين يلدون أطفالًا من رجال قذرين، وقد روعتها هذه القدرة الاستثنائية التي تملكها ف كي تضع نفسها دومًا في موضع الضحية.

لم تكن الإجابة شديدة الدهاء، بل لقد كانت حمقاء كليًا، لكن أوليفييه كان يملك ذوقًا طيبًا بألا يبدو واعيًا ذلك.

كان قد أجاب، يمكن لكل الناس أن يخطئوا. لكني أعترف أنه حدث لي أن فكرت أنه إن كان يضربها، فذلك لأنها تثيره حتى النهاية بفعل هذيانها.

وكان قد أضاف مبتسمًا: لم نقع على أكثرهن سهولة.

وكانت قد أجابت، هذا ما اخترته بنفسك فتضحك.

وعلى الفور، اكفهر وجهه.

منذ أن كانت قد قرأت المرأة المقطوعة، أحست جولييت بقلق يتصاعد في داخلها إزاء فيكتوار ما كان يجب تسميته الحقد. كانت تكره ما ترى أنها ستصيره بخطيبتها، تكره هذا العنف الذي كان يتضخم في نفسها. في توسكان أيضًا، ذات مساء، شربت خلاله أكثر مما يجب، كانت قد قالت لأوليفييه: ما لا أستطيع أبدًا أن أغفره لها، ما يحملني على الرغبة في تحطيم رأسها بين حجرين، هي أنها أرادت أن تنام معك إلى جانب ابني الصغير. هل قالت فعلًا: تحطيم رأسها بين حجرين؟ نعم، لاشك. كان

أوليفييه قد نظر إليها برعب.

كانت جولييت تعلم مع ذلك أنه كان عليها أن تلوم أوليفييه وأوليفييه وحده على ذلك، وأن من الظلم صب جام غضبها على ف، إذ ما الذي تأخذه عليها في الأساس؟ ليس اختلالها على وجه التأكيد لم تكن جولييت متأكدة جدًا من أنها متوازنة تمامًا هي نفسها أو بصورة أدق كانت تعرف نفسها قادرة على أن تفقد عقلها جديًا، لكنها كانت تتحدى ولم يدرك أحد ذلك حتى الآن، وهو الأمر الجوهري. ربما كان الأمر مماثلًا بالنسبة إلى كل الناس، كل امرئ يسيطر بقدر ما يستطيع على حصته من الجنون، وحدها الفيضانات المبالغ فيها كانت تعاقب أما بالنسبة للباقي، ما يفكر كل شخص أنه يحسه في سريرته، الأفكار، الغرائز الأشد شيطانية، التخييلات الشريرة، طالما أن كل ذلك يبقى مكبوحًا بصلابة ضمن قميص قوته الداخلية فذلك لا يعني أحدًا.

كانت المشكلة أن قميص قوة فيكتوار الداخلية لو كانت تملك واحدًا، كان ذات جودة مشكوك بأمرها كثيرًا.

لم تكن جولييت تتوصل إلى قبول الطريقة التي كانت فيكتوار تتكلم عنها بها، والاحتقار الذي كانت تبديه نحوها. بأي حق تحكم عليها وتحكم على الزوج الذي تؤلفه مع أوليفييه؟ كان لجولييت أيضًا في الماضي علاقة مع رجل متزوج علاقة جعلتها تتألم يقينًا أقل، وعلى كل حال أقل زمنًا من الزوج الذي كانت قد شوهته بصورة لامبالية. وكانت فلورنس، التي كان لها أيضًا علاقة مشابهة في حياتها قد قالت لها مؤخرًا: هذا دورنا في دفع ثمن ما فعلناه في الثلاثين من عمرنا. فكرت قليلًا بامرأة عشيقها حينئذ، ورغبت في أن تطلب المغفرة منها. لم يبق لجولييت من هذه الحكاية أي أثر جراح ملتئم، ولكن بالنسبة لها هي؟ ومع ذلك، فإن جولييت حتى حينئذ، حتى في أوج الغرام، لم تتخيل نفسها أبدًا تقول وهي تتحدث عن زوجة عشيقها: «أود لو تموت»، لم تكن لتتخيل أبدًا الاتصال بهذه المرأة في مكتبها، ولا أن تحضر إلى بيتها، ولا أن تفعل بصورة عامة عشر ما جعلتها ف تكابده.

أي صدمة أمكن أن تكابدها ف كي تبرر مثل هذه التصرفات؟ لم تكن جولييت تعرف عنها شيئًا والأسوأ أنها كانت لا تهتم بها. وحتى البرهنة على عكس ذلك، تبقى ف مسؤولة عن أفعالها، ولا يعطيها وضع الضحية الذي لم تكن تكف عن فرضه كل الحقوق. فالطريقة التي استخدمتها واستغلت بها هشاشتها، سواء أكانت حقيقية أو مصطنعة، كي تحقق أهدافها، كانت بكل بساطة غادرة، وكان غضب جولييت يتجاوز إلى حدّ

كبير ألمها الشخصي، كانت مسألة أخلاق، وكانت المرأة فيها هي التي تشعر بالإهانة، المرأة التي اعتقدت في العشرين من عمرها بالقدرية، بأن النساء يمكن لهن وعليهن أن يكن قويات ومتضامنات في مكان «حار وبسيط، غني وموجز، فصيح ومخلص»، النسوي، يالها من مهزلة. وكانت فيكتوار تقول عن نفسها نسوية. كان ذلك مبكيًا.

عشرة أيام بعد عودتهما، عاد أوليفييه من المجلة مهمومًا.

قال محرجًا، سقطة صغيرة على الجبهة الغربية.

كانت جولييت تطبخ. قطعت إشارتها، لكنها عملت على ألا تبدي أقل علامة انتصار، وألا تترك شيئًا يفلت منها يقترب من قريب أو من بعيد من مثل «لقد سبق أن قلت لك ذلك»، مكتفية بأن تستفهم زوجها بالنظر.

حالتها سيئة جدًا، تتعذب مع ابنها، وزوجها السابق، وهي في الجنوب. ويبدو أن رفيقها ضربها، تعرفين مع من كانت تعمل معه في المدرسة القومية للإدارة.

فتحت جولييت عينيها، لا تجرؤ على تصديق حظها. هذه المرة، كان هو الجنون بصورة واضحة. حتى أوليفييه، كما يبدو، لا يأخذ ذلك على محمل الجد. أرسل لها نظرة هي في آن واحد مذهولة ومتواطئة، وابتسامة في زاوية الشفتين. هزت جولييت رأسها لكنها لم تعلق بشيء. كان الارتياح يمتزج في نفسها بالغضب.

فكرت، ويستمر الأمر، ولكن من أسوأ إلى أسوأ، مذهل أن تتوصل هذه الفتاة إلى جعلها تفعل ما تريده، أن تبحث في رسائل ليست موجهة لها وتحلم بقتل وحشي والآن، أسوأ من كل شيء، لا هذا يثير الاشمئزاز حقًا في وضعها في هذا الموقف، هي، جولييت، موقف الشك في كلمة امرأة تزعم أنها قد اعتدي عليها، مثير للاشمئزاز، ولكن هنا مع كل ما يمكن من إرادة طيبة بدأ يطفح الكيل، هذه الفتاة لا تستطيع قضاء أسبوع مع رجل ما دون أن تجعل نفسها موضع ضرب غريب غريب مع ذلك، صعب على التصديق، إنها مجنونة كليًا نقطة انتهى كليًا مريضة لا لأنه لا وجود لنساء يتعرضن للضرب بالطبع هن موجودات ولسن قليلات تعرف جولييت ذلك جيدًا هذا يوجد بكثرة، أكثر مما نتصور، جولييت في موقع يجعلها تعرف ذلك وإن كانت الآن وهي تفكر بذلك جولييت لم تتعرض للضرب أبدًا من قبل رجل اغتصبت نعم عدة مرات ضربت أبدًا ما سبب ذلك غريب.

باستثناء ذلك، ما الذي تقوله لك؟

الشيء نفسه دومًا، هذا مستحيل، كيف يمكن الانتقال من حكايتنا إلى هذا، لست على حق، في هذه الأشياء.

وأنت؟

قلت لها إننا لن نستأنف الكلام مجددًا، وأن تعود إلى رسالتي.

أن تعود. تمنت جولييت البرود الإداري في الكلمة المختارة. لم تكن ف لتحبها.

ثم قطع الاتصال، فأطفأت هاتفي الجوال، أظن أنني سوف أطفئه من جديد، ليس ذلك مزعجًا، أليس كذلك؟

بعد فترة متأخرة مساء جلست جولييت على ركبتي أوليفييه، وداعبت شعره. ورغم أنه حاول أن يخفي ذلك فقد كان عصبيًا.

قال، هذه مشكلة. نعرف تقريبًا كيفية نقوم بتصريفها، ولسوف نصرفها. لكنها مشكلة.

أضاف، لست دهشة، كنت قد قلت لي ذلك.

لا، لم تكن جولييت دهشة. كانت قلقة قليلًا، ومرتاحة في سرها. هذه النوبة الجديدة من غضب ف كانت تطابق توقعاتها. كان كابوس فيكتوار عاقلة تتسلل إلى حياتهما يبتعد. ها هي، وقد عادت مجنونة، صارت من جديد معروفة مسبقًا.

في الغداة عاد أوليفييه من المجلة هلعًا، في وقت متأخر من المساء كان الطفلان نائمين. كانت الأزمة تتصاعد منذ عدة ساعات. كانت ف قد عادت إلى باريس، وحاصرته في المجلة. انتظر هبوط الليل كي يهرب عبر كاراج السيارات. كان قد عاد قبل دقائق بالكاد حين رن هاتفه. كانت ف عند أسفل العمارة مع ابنها. أحست جولييت بساقيها تصيران كالقطن، وقلبها يخفق بقوة في صدرها.

دهشت، مع ابنها؟

أكد أوليفييه، نعم. يبدو أنها مرعوبة تمامًا. لا يمكن تركها مع طفل عمره ثلاث سنوات على الرصيف.

وإذن؟

قال أوليفييه، إنها تصعد.

نظر إليها قلقًا.

أتريدين؟ هل توافقين؟

إنها الساعة الحادية عشر ليلًا، تقريبًا.

هزت رأسها ببطء هل لديها الخيار حقًا؟ لو رفضت، سينزل أوليفييه. ثم، فلننته.

سوف تتحقق من أن طفليهما مستغرقان في النوم، وأن باب غرفتهما مغلق جيدًا.

فكرت، هذه المرة، ها نحن مغا.

هذه هي المعركة الأخيرة، إننا نمس حل العقدة في القصة.

في مواجهتهما مغا، سوف يتوجب على أوليفييه أن يكون واضحا.

يتجه أوليفييه نحو المدخل. تلحق به، مسرورة أنها تلبس ثوبا وأنها برونزية البشرة، وأنها تشعر بنفسها جميلة.

قبل أن يفتح، ألقى عليها نظرة أخيرة. نكاد نقول متوسلا.

نحن مغا في مواجهة هذه المسألة. لا تكوني قاسية، ماشي؟

وافقت.

في كل حرب، حميمية أو عالمية، لعبة التحالفات هي المفتاح. منذ ذهابهما إلى توسكان، وصلت إلى الاقتناع بأن أوليفييه قد غير معسكره.

إنهما مغا.

سوف تسير الأمور على ما يرام.

هي بالمدخل، وقد انتعلت كعبًا عاليًا جدًا، وأمسكت يد طفلها بيدها. حميراء بالفعل، ومن الممكن بصعوبة أن تكون أكثر احمرارًا، شعرها الطويل المجعد المهمل على كتفيها، ولكنها، بمعزل عن هذا كما تفكر جولييت، عادية بصورة مدهشة. أنيقة ولاشك، وإن كانت بوجه خاص في نظر جولييت على الدوام فهندمة بعض الشيء من أجل أمسية صيفية. ولأنها لا تريد أن ترق، لم تلق جولييت على الطفل إلا نظرة عابرة. أما أوليفييه فاهتم بتوم، وسأله إن كان عطشانًا أو نعسانًا، وبحث عن لعبة كي يقترحها عليه.

اقترحت جولييت وقد تركزت كل طاقتها من أجل قمع الاضطراب الذي يهيمن عليها، الأفضل ربما أن نجلسه أمام فيديو في الصالون، أما نحن فسوف نذهب للحديث في المطبخ.

ألقى على فيكتوار نظرة استفهام. وافقت. لم يكن يبدو عليها أنها بهذا الجنون، بل إنها ليست مجنونة على الإطلاق. فهي، على العكس، شديدة الرصانة، فتاة من أسرة طيبة، حسنة التربية. حين وصلت حيت جولييت بإشارة من الرأس، بلا ابتسامة بل بطريقة لبقة، كما لو كانت تقوم بزيارة مجاملة عادية، كما لو أنها جاءت تتناول الشاي، كما لو كان طبيعيًا أن تحضر إلى بيت عشيقها في الساعة الحادية عشر مساءً، وصبي صغير ناعس يتعلق بثيابها. وجهها شاحب شحوبًا قمريًا لكن هذه ولا شك بشرتها الطبيعية، على كل حال إنها هادئة ولا تحمل أي أثر للدموع. تساءلت جولييت إن لم يكن أوليفييه يخدعها منذ أسابيع. فالمرأة التي يقع عليها نظرها لا تنطوي على شيء من الجنون الذي كان يصفه لها قبل دقائق، مهددة بإلقاء نفسها تحت السيارة، وتنهالك على رصيف الشارع. تكاد لا ترى فيها إلا امرأة لطيفة. وعليها أن تبذل الجهد كي تتذكر رسائل الشتائم التي أسمعها إياها أوليفييه، والمحادثة الهاتفية التي جرت بينهما. حتى صوتها كان يبدو لها متغيرًا.

دخلوا الصالون نصف المطفأ، ومع الحركة شفت جولييت رائحة عطرها، عطرها المجهول الخاص بغريبة، المفكرّ بالطبع، والذي تعجبت من أنه أمكن أن يعجب أوليفييه. أما بالنسبة إليها فهو لا يستدعي شيئًا آخر سوى الغرابة. أجلس أوليفييه الصغير توم على كنبة، واقترب من مسجل الفيديو، وجعل كومة من الأشرطة تسقط أرضًا بفعل اضطرابه.

قالت جولييت، ضع له فيلم الدب الصغير الأسمر.

في اللحظة ذاتها، رنّ جوال أوليفييه.

نعم، هي هنا. كل شيء على ما يرام.

قال مخاطبًا ف، إنه تريستان.

أجابت، إنه مزعج.

أغلق تريستان هاتفه.

قال أوليفييه، لقد سمع.

تضع جولييت الصداقة، وقد قيل ذلك، فوق أي اعتبار. و سرعان ما كُنس الشعور الطيب الذي أوحته ف لها وهي تدخل.

قالت جولييت، من المؤكد أنها منفرة.

ذهبوا ثلاثتهم إلى المطبخ.

أجلس أوليفييه ف على كرسي الأطفال الخاص بإيما. واتخذت جولييت مكانًا على الطرف الآخر من المائدة وبقي هو واقفًا، على مسافة متساوية من كلٍّ منهما، مستندًا إلى الفرن. لا تتوجّه ف إلا إليه، بصوت خفيض، متجاهلة جولييت التي تراقبها.

بالنسبة لمعركة نهائية كان الجو ملبدًا بالأحرى.

لا شيء، لا شيء على الإطلاق، يشبه حلبة مصارعة.

بالأحرى مباراة نهائية في التنس على ملعب رولان غاروس، الجمهور أخرس، صامت. متوتر.

هي ف التي تبدأ أولًا، ودون أن تخاطر، ترمي كرات طويلة، سهلة. إنها تتحقق.

تبدأ:

منذ ثلاثة أسابيع اعتمدت استراتيجية أكياس الرمال لكنها لم تكن ناجعة. ليس ذلك ممكنًا. إنها غير ملائمة. فالكلمات تنطوي على معنى، رغم كل شيء، الكلمات تريد أن تعني شيئًا ما.

حتى الآن، لا تستطيع جولييت إلا أن تكون متفقة مع ف. فهي تراها فجأة مفعمة بالحس السليم.

أجاب أوليفييه، لم أقل لك أبدًا إنني كنت أريد أن أترك زوجتي

.

انتبه، صعد الحكَم حتى الشبكة. إنه هو الذي يردّ الكرات.

ليس الحكم، في الواقع.

في الواقع، إنه بديل مختلط.

سوى أنها وأوليفييه يلعبان معًا وأن ف، من ناحيتها، تلعب وحدها.

لا. لم نكن نتكلم عنها. لم نكن نتكلم عنها أبدًا. لكن هل تتذكر حين تكلمنا

عن النزوة، قلت لي إنها بالنسبة لك لم تكن نزوة.

ربما، قلت لك ذلك ولا شك، هذا ممكن.

والمرات الأخيرة التي التقينا خلالها، كان يبدو عليك السرور.

هل تعنين الغذاء، وحديقة النباتات، وتلك اللحظات؟ كانت تلك مواعيد مغتصبة، رغم ذلك.

ربما، لكنها كانت لحظات كيف أقول ذلك غرامية؟

نعم، لاشك، نعم.

كان أوليفييه مرتاحا، مركزًا، يعيد كل كرة بهدوء، ولم يكن لدى جولييت ما تفعله، تستطيع البقاء في أقصى الملعب، تاركة أفكارها تهذي.

تدخن.

من وقت إلى آخر، يلقي أوليفييه نظرة نحوها، يبحث عن موافقتها، لكنها تتظاهر بأنها لا ترى شيئا.

فكرت جولييت، لم يكن عليه أن يقول لها أحبك.

ليس له إلا ما يستحق.

فكرت جولييت، قول أحبك يعني الاندراج في الديمومة، بخلاف قول أرغب بك أو أنني مرتاح معك. قول أحبك، وف على حق، هو قسم، يتضمن الزمن والشمولية، أحب كل ما أنت، سأحبك دومًا أو على كل حال زمنًا طويلًا. لا يمكن القول أحبك وبعد خمس دقائق لم أعد أحبك، وإنما يمكن ذلك بعد خمسة عشر عامًا نعم، ما هو العمر الضمني لكلمة أحبك؟

لأي مدة من الزمن نوقع حين نقول هذا؟

ما هي مدة العقد؟

تتمسك ف بتذكير أوليفييه كلمات الحب التي قالها لها، مثل دائن يقدم اعتراف الدين، إنه سلوك مثير للشفقة، مرتبك، وتكتيك شديد الرداءة، ما الذي تأمله بفعلها هذا. كلمات الحب ذات قيمة محدودة جدًا في الزمان ولا قيمة لها إلا عند اللحظة المحددة، في اللحظة التي تقال فيها، تكتب، إنه نقد شديد التقلب، يعرف هبوطات مذهلة، ففي ليلة واحدة تتلاشى قيمته، يوسع ف أن تدفع أمامها عربات كاملة من الكلمات وأن تلقيها على قدمي أوليفييه هي عذاب لا طائل من ورائه فهي لا تساوي شيئا، كيف يسعها ألا تعي ذلك.

يذكرها أوليفييه في ردة بكل التصريحات التي قام بها والتي تقول العكس، من أنه لن يترك زوجته، وأنه لا يمكن حب شخصين في آن واحد.

فكرت جولييت، في الأساس، المأخذ الرئيس الذي يمكن أن تأخذه على أوليفييه ليس أنه مليء بالتناقضات، فهو أبعد من أن يكون الوحيد، بل

بالأحرى إلقاءه لها مبعثرة دون الاهتمام بالأثر الناتج عن ذلك. في الحب ندين للآخر بالحدّ الأدنى من الإيجاز المفيد، لا يمكننا أن نضع هنا على هذا النحو كلّ مشاعرنا ومفارقاتنا الكثيرة، بوصفها قطع تبديل إن جاز القول، ثم تدبر الأمر لكي يقوم كل هذا بعمله، كي تقتطع منه الفكرة الدالة، وتستخلص منه الشعور العام، وتركيب كل هذه القطع بطريقة يسير الأمر معها كي يكون لذلك معنى.

تأبدت المباراة. يُسمع صوت مسجل الأشرطة قادمًا من الصالون. تقول جولييت إلى أوليفييه:

انتهى الشريط، كما أظن. ضع له بيب بيب و كابوت، إذا سمحت.

تغيير المكان.

يذهب أوليفييه إلى الصالون لوضع شريط آخر. بقيت جولييت و ف وحدهما في المطبخ، وجهًا لوجه. طلبت ف سيجارة من جولييت، التي قدمتها لها بلياقة، ثم تسألها، بلياقة اجتماعية:

هل أعجبتك إيطاليا؟

تركت جولييت ضحكة تفلت منها، ترفع عينيها إلى السماء مع هزة كتفيها. قالت، نعم، كان الأمر حسنًا، نعم.

ما إن عاد أوليفييه إلى المطبخ، حتى استؤنف الحديث، لكن اللهجة تغيرت. صارت ف أكثر عدوانية، صارت تتقدم نحو الشبكة، وباتت كراتها أكثر جفافًا.

سألت، إذن لماذا؟

أجاب أوليفييه، لأن.

لأن ماذا؟

لأنني لا أريد أن أطلق.

بدت المباراة رابحة. من أجل المجد، ومن عمق مضربها، تحاول جولييت بدورها قذف كرة. ساء ما فعلت.

سألت، ولماذا لا تريد أن تطلق؟

أجاب أوليفييه متوجهًا إلى ف دومًا، لأنني لا أريد أبدًا هذه المصيبة، لأنني حين أستيقظ في الصباح وأنظر إلى جولييت لا أشعر بالنفور كما يبدو لي أن علينا أن نشعر حين نريد ترك أحدهم.

خسارة كاملة. ضربة كرة سحقت في الشبكة. سوف تلتقط جولييت كرتها، ذليلة.

قالت، هذا تصريح.

انتهت المباراة.

انتصرت ف رغم الهزيمة.

نهضت، تقدمت نحو جولييت، وفجأة قدمت يدها.

جولييت وقد فوجئت، تصافحها.

هذا يسمى الصعق

تثبت ف عينيها الصافيتين كقاتلة نروجية في عينيها، وتتحداها:

على كل حال، سوف يستأنف الأمر من جديد.

ثم تستمر، بلباقة ملحوظة من جديد:

هل تسمحين أن يرافقنا أوليفييه حتى السيارة؟

تجمدت جولييت وابتلعت ريقها بصعوبة، وأسفت أنها صافحت اليد الممدودة.

هزت رأسها.

مصعوقة.

حين صعد أوليفييه، ألقت جولييت نفسها عليه وصرخت: ألا تستطيع أن تقولها، أليس كذلك؟ لا تستطيع أن تقول إنك تحبني.

تضربه بقبضتيها، بكل قواها. يحاول هو أن يسيطر عليها، ويمسك بذراعيها بأفضل ما يستطيع، هذه المرة نجح، نجح في أن يجنبها هي الأخرى.

هدأت أخيرًا وتهالكت على الكنبة.

خاب أملي كثيرًا.

خاب ممن؟

صرخ وهو يضرب صدره بدوره، مني ، مني. كنت أظن أنني قمت لمرة واحدة بما يجب القيام به.

في الشارع سألته ف: إذن لم تعد تحبني؟

أجاب: انتهى.

قالت جولييت، لقد فهمت إذن أنك لا تزال تحبها كما أفترض.

أخذ رأسه بين يديه.

إذا كان يجب أن أقول لها انتهى، قلت لها انتهى، الآن يجب أن أقول لها لم أعد أحبك، والمرة القادمة يجب أن أقول لها لم يسبق لي أبدًا أن أحببتك، أليس كذلك؟

قالت جولييت، ما لم أفهمه على الدوام، هو...

لم يدعها أوليفييه تتابع.

زمجر، لو تستطيعين التوقف، لو تستطيعين التوقف فقط عن بدء جملك ب «ما لم أفهمه، هو...»، فعلًا، سيكون هذا حسنًا.

نظرت إليه جولييت دهشة. كانا قد توقفا عند محطة وقود على قارعة الأوتوستراد. كانت تقف قربه، تحمل الشراب والحلويات التي اشترتها لتوها من الدكان، في حين كان يملأ الخزان بالبنزين.

سألت، لماذا؟

إنها عدوانية إلى حد كبير أشعر بنفسي معتدى علي، مرغمًا على تقديم التفسيرات.

كررت مرتبكة، عدوانية.

عدوانية، نعم.

قالت في نفسها بصمت وهي تصعد إلى السيارة، إعادة صياغة جملي مع الانتباه إلى ألا أبدأ جملي أبدًا ب «ما لم أفهمه».

بدأ الجزء الثاني من إجازتهم لتوه. كانوا في الطريق إلى منطقة فانديه. حين صاروا من جديد على الأوتوستراد، أشعلت جولييت الراديو، كانت ساعة الأخبار.

«...في الفيبوبة. كانت الممثلة ماري ترنتينيان قد أدخلت مستشفى فلنيوس، في ليتوانيا، حيث كانت تقيم من أجل العمل في فيلم قيد الإخراج. كانت جراحاتها نتيجة شجار عنيف مع صديقها، برتران كونتا، مغني فرقة نوار ديزير...»

قالت جولييت، أمرٌ لا يصدق.

سألت إيما، ما الذي حدث ماما؟

أسكتني.

استمعت جولييت بانتباه إلى أن انتقل الصحفي إلى الموضوع التالي، ثم غيرت المحطة عدة مرات، باحثة عن مزيد من المعلومات. لكنهم كانوا يقولون الشيء نفسه في كل مكان. نجهل كل شيء عن ظروف الحدث، نعرف فقط أن الممثلة كانت في حالة خطرة وأن رفيقها كان قد أدخل المستشفى هو الآخر في حالة ذهول. كانت جولييت تحب ماري ترنتينيان كثيرًا. وكانت شديدة الحساسية لسحرها ولجمالها. أحست بصورة غريبة نفسها مذهولة بهذا الخبر. على محطة أخرى، كانت تذاع أغنية ستحملنا

الريح، لتوار ديزير بالصدفة دون أي شك. رفعت جولييت إصبعها عن مفتاح الراديو، واستغرقت في كرسيها، واستسلمت وعيناها ضائعتين في الفراغ للموسيقى.

لا أخاف الطريق، يجب أن نرى، يجب أن نذوق فيه، متاهات في عمق الكليتين وكل شيء سيكون على ما يرام...

وصلوا إلى بورنيك عند منتصف يعد الظهيرة. استقبلهم والد جولييت مبتسمًا على عتبة بيته، على شاطئ المحيط. منذ أن عثر لنفسه على رفيقة جديدة عبدة جديدة، كما كانت جولييت تفكر ، هدأت علاقاته بابنته إلى درجة أنها بعد سنوات من القطيعة صار بوسعها الآن أن تنوي قضاء عدة أيام في بيته. كانت مونيك تهدئ الأمور بل وتوصل جيروم تحت تأثيرها إلى التظاهر بالاهتمام بالطفلين. ساعد أوليفييه على نقل الحقائب حاملًا حقيبة بكل يد كي يبين جيدًا كيف أنه في السبعين من عمره لا يزال في صحة جيدة. وهو يقوم بذلك أعلمهما أن أحدًا أمس مساء كان قد اتصل هاتفيًا وطلب الكلام مع أوليفييه. شعرت جولييت نفسها على الفور وقد تجمدت.

صرخ بصوت مرعد فقد كان ثقيل السمع: كانت تريد أن تعرف متى ستصلوا. لكنها لم ترد أن تقدم نفسها، ولا أن تترك رسالة. غمز ابنته. لو كنت مكانك يا جولييت لأخذت حذري.

ونظر إلى أوليفييه بهيئة ماجنة ومتواطئة. رغبت جولييت في أن تعضه.

لكن أوليفييه وقد ارتبك، غمغم شيئًا ما حول العمل. شعر بنظرة جولييت تضغط عليه، مثقلة باللوم. نعم، لابد أنه أخبر ف أن والد جولييت يملك بيتًا في بورنيك، وأنهم سيذهبون لقضاء الجزء الثاني من إجازتهم فيه. كان ذلك قبل الأزمة الأخيرة، في اللحظة التي كان لا يزال فيها يتصور القدرة على الاحتفاظ بعلاقة طبيعية معها. كانت ف تعرف اسم عائلة جولييت ولم يكن عليها إلا أن تبحث عن الرقم في دليل الهاتف.

نظر من جديد في تلفونه. منذ أن جاءت إلى بيتهما السبت مساء، كانت فيكتوار قد حاولت عدة مرات الاتصال به على جواله، لكنها لم تترك أية رسالة. الآن، كان يرتعد خوفًا من فكرة أن تتصل به من جديد في بيت جيروم أو ما هو أسوأ أيضًا، أن تحضر على غير انتظار. أن تكون ذليلة على هذا النحو أمام أبيها، وأن تتحمل توسلها المزيف وتعليقاتها غير اللائقة سيكون ولا شك أكثر مما تستطيع جولييت احتماله. قرر أن يستبق الأمور وأن يتصل بفيكتوار في الغد صباحًا، راجيًا السماء أن تظل هادئة

حتى ذلك الحين.

مساء في غرفتهما، وقد تمدد على السرير، نظر إلى جولييت تتعرى. في حضور أبيها، كانت جولييت طوال السهرة شديدة الحساسية، عصبية وغاليا خرقاء. ظهرت الفتاة الصغيرة التي كانتها، بالرغم عنها، على السطح. وجدها فجأة مؤثرة.

قال، لديك جسد فتاة بالغة.

ابتسمت له، دهشة، وجاءت تتمدد عارية لصقه. وضع ذراعه حولها آليا، وهو يفتش في السقف، باحثا عن البرغشة التي يسمع دويها المتواصل. كان قد وقف في زاوية من الغرفة. ما إن لمحها حتى تخلص من عناق جولييت معتذرا، وقفز على قدميه، ورفع قميصه الذي جعل منه كرة متماسكة وقذفها باتجاه البرغش بحركة دقيقة وسريعة، قاتلا الحشرة. تأمل في بقعة الدم الصغيرة على السقف الأبيض، راضيا، وألقى بقميصه أرضا واستدار، واقفا وعاريا، نحو جولييت، باحثا عن إعجابها. كانت ورأسها مستند على ذراعها، تراقب، ضاحكة، رجلها في وضع الصياد منتصرا.

قالت، برافو.

في الغداة، عندما خرجت من الحمام، كان أوليفييه قد اختفى.

أجابت إيما أمها حين سألتها أين ذهب، ذهب إلى الشاطئ.

انعقدت معدة جولييت. بعد أن غضبت بلا سبب ضد طفليها، اجتازت الحديقة الصغيرة الرملية التي تفصل البيت عن البحر ، ودفعت الحاجز الخشبي ورأت أوليفييه يمشي بخطوات سريعة طولا وعرضا وهاتفه على أذنه، صامتا، مقطب الحاجبين. كان الوقت لا يزال باكرا والشاطئ صباخا شبه قاحل. بقيت واقفة وقتا طويلا تراقبه، منتظرة أن يلمحها في النهاية. حين انتبه أخيرا إلى حضورها، اقترب قليلا منها. جلست على الرمل. ابتعد من جديد. نهضت وتظاهرت بالذهاب، انضم إليها على الطريق المؤدي إلى شارع الشاطئ، وتوقف على مسافة مترين منها، دون أن ينظر إليها. جلست على المقعد الحجري وسمعته يقول بصوت عذب: «لا، لا يجب أن تفعلي هذا، أكيد.» إذا مانظر إليهما من علِ، فلا بد أن حركاتهما كلاهما تستدعي حركة حشرات راقصة غريبة. تخيلت جولييت وجه ف على الطرف الآخر من الخط، ووضعت فوقه في خيالها بقعة الدم التي خلفتها الناموسة على السقف حين سحقت عشية الأمس. نهضت واتجهت نحو الطريق، دامعة العينين. كانت تتردد بين الذهاب من جهتها تبكي بوفرة من الإحباط، ومن الغضب، وبين أن تظهر عاقلة، كالعادة، وقررت

آسفة، كالعادة، أن تتبع الخيار الثاني. عادت إلى بيت أبيها تبحث عن طفليها، والذهاب معهما لشراء الخبز. عما قريب ستكون المحادثة الصغيرة لأوليفييه مع ف قد دامت ساعة من الزمن. ما إن أوشكوا على مغادرة البيت حتى رأوه يمشي الآن على الطريق، آتيا باتجاههم، متحدثًا على التليفون. هرع الطفلان إليه فأوقفهما بإشارة، فجزتهما قائلة: دعوا أباكما، إنه يعمل، سوف ينضم إلينا.

التحق بهم فعليًا بعد ذلك بقليل، أمام كشك الصحف.

ولما كان لا يشك في حالة الغضب التي تتواجد فيها، خاطبها بلطف، فتلاشى غضبها.

تركت لي رسالة مكتوبة كي أتصل بها. أردت أن أقول لك ذلك، لكنك كنت في الحمام. لقد خفت حقًا أن تتصل بي في بيت جيروم.

وإذن، ماذا تقول؟

لاشيء. إنها تبكي.

وأنت، ماذا قلت لها؟

أنني لا أرى ما الذي بوسعي أن أفعله. أنني لم أعد عاشقًا لها. قاطعتني على الفور قائلة ماشي، ماشي. فهمت. بدت كما لو أنها تعرف ذلك جيدًا، لكني أرى أنه لم يكن في الواقع غير مفيد. أن أقوله.

أجابت جولييت، لاشك أنه لم يكن.

اشتريا الصحف والخبز، ثم جلسا على رصيف مقهى بمحاذاة الشاطئ، حيث يسعهما منه مراقبة الطفلين يلعبان على الرمال.

قال أوليفييه، قلت لها إنك كنت الأهم في حياتي.

تلاشى كل التوتر الذي راكمته جولييت خلال الساعة التي انقضت. استدارت برأسها لتخفي وجهها عن أوليفييه.

قلت لها ذلك؟

نعم، بالتأكيد. سبق وأن قلت لها من قبل.

وهل هذا صحيح؟

بالطبع. تمامًا. ليس هناك شيء أكثر أهمية منك في حياتي. لا شيء.

بقيا صامتين لحظة، يستمعان إلى صوت الأمواج. ثم فتحت جولييت واحدة من الصحف كانت الصحف جميعها تكرس عدة صفحات لمأساة فيلنيوس. كانت ماري ترنتينيان لا تزال بين الحياة والموت. لم يعد هناك أمل، حسب الأطباء الليتوانيين. وبناء على طلب أسرتها، سوف يتم على كل حال نقلها إلى باريس للقيام بمحاولة أخيرة. حاول برتران كونتا وضع حدّ لحياته حين علم نتائج ما كان لا يزال يبدو حادثًا رهيبًا في عنفوان

الشجار، دفعت ماري بعنف، فاختل توازنها، واصطدم رأسها أثناء سقوطها بمشعاع التدفئة.

حدث الشجار مساء ٢٦ تموز/يوليو المساء الذي جاءت فيه ف إلى بينهما.

وهما في غرفتهما مساء، سألت جولييت أوليفييه:

ولم تعد تحبها، حقًا؟

أجاب واثقًا من نفسه، ياحقًا عن رد فعلها، لا. بعد فترة أضاف: هل أنت خائبة؟

تنظر إليه دون أن تفهم. كانت تبتسم.

خائبة؟

هل تريدني متقلبًا؟

هزت رأسها من اليسار إلى اليمين ببطء، دون أن تجيب. لاشك أن أوليفييه سيبقى على الدوام في نظرها سرًا.

مضت عدة أيام دون أخبار من فيكتوار. بدأت جولييت تقول لنفسها إنها ربما خرجت هذه المرة من حياتهما.

قال لها أوليفييه، كنتِ على حق. أترين، إنني أتبع نصائحك. خلال مرات ثلاث اتبعت فيها نصائحك: المرة الأولى، حين ذهبنا إلى آنسي، والمرة الثانية حين قلت لها: «انتهى»، والمرة الثالثة حين قلت لها «لم أعد عاشقًا».

وهل هذه هي الحقيقة؟ لم تعد تكذب علي، هل أنت واثق؟

قال، لا. مستحيل. حتى بواسطة النسيان. على كل حال في كل مرة يرتد ذلك علي. الآن، أقول لك كل شيء. كل شيء تمامًا. أقل رسالة نصية أتلقاها أحدثك عنها. أقل شيء يجري من الآن فصاعدًا بيننا، هي وأنا.

ذات مساء وقد أويا إلى النوم باكرًا أراد أوليفييه المرهق أن ينام داعبته، ومارسا الحب، ثم قالت له:

آسفة لأنني منعتك من النوم.

أجاب، لا تجدين صعوبة أبدًا في منعي من النوم.

وقد نامت على ظهرها، كما هو الأمر من الآن فصاعدًا بعد ممارسة الحب تفكر بفيكتوار، بلا إرادة منها، بالحظ الذي امتلكته، بأوليفييه الذي يداعبها، والذي يقول لها كلمات الحب، الذي لم يعرف ذلك أبدًا، كان يمكن لذلك أن يجعل جولييت أيضًا مجنونة.

وددت ذلك، أنا الأخرى. أن تقول لي إنك لم تعرف هذا من قبل أبدًا، قالت، وعيناها المفتوحتان محدقتان في البعيد أمامها.

ينتصب على كوعه كي يواجهها، ويرغمها على أن تنظر إليه، بصبر غير معتاد.

قال، لكني لم أعرف ذلك أبدًا. لا شيء هو نفسه حتى من بعيد يمكن أن يقارن مع ما عشته معك، لا أتوقف عن قول ذلك لك.

تعتقد بإخلاصه، وتتعجب من البقاء باردة بصورة غريبة عند سماعها هذه الكلمات. هل تأخر الأمر؟ لا تتوصل إلى هزّ الحزن الذي استقر في نفسها منذ بداية هذه الحكاية، المستقرّ كما يبدو لها نهائيًا.

تلقى في الغداة رسالة نصية من ف، وأراها إياها:

«لا زلت أتألم بالقدر نفسه. أحلم أحلامًا مرعبة.»

ثم بعد خمس دقائق من ذلك:

«هل أنت على ما يرام، أنت؟»

وفي اليوم التالي رسالة أخرى:

أعطني إشارة حين تستطيع.»

أرسل لها رسالة نصية بدوره، يقول فيها إنه لا يتمنى مكالمتها، ولكن إن كان لابد من ذلك حقًا، فإن بوسعه القيام بذلك حوالي الساعة ٢٢.

جولييت مفتونة ببرودته، والكلمات التي يختارها، التمني، الاستناد. هذا البرود الذي يريحها هي، أو على الأقل يطمئنها، والذي، في الوقت نفسه، يجرحها، لأنها تضع نفسها على الدوام مكان الآخرى، وتتخيل ما سوف تشعره وهي تتلقى هذا العنف، لا يمكنها أن تحول بين نفسها وبين ذلك.

يصل الجواب بعد دقائق: «أقبلك قبلات حبّ عذبة.»

النضال ضد هذه الفتاة يشبه توجيه لكمات في الماء، لا يفيد ذلك شيئا، بعض اللطخات، بعض التجاعيد، ثم ينغلق الثقب على الفور. أخذ أوليفييه غالبًا على جولييت كونها قاسية، لكن هذه الفتاة هي االطوفان، لا وجود لأي تهذيب، الدموع فقط، الحذر. فالماء غدار.

ينظر أوليفييه إلى جولييت، يحاول فهم ضيقها.

هذه الرسائل لا تغير شيئا بيننا، أليس كذلك؟ ليست أكثر من إزعاج، مثل عجلة مفزورة.

عجلة مفزورة؟

نعم، مجرد إزعاج في النهاية، لا أكثر من ذلك.

فكرت جولييت أنها لا يمكن أن تحب لو كانت مكان ف أن تُعامَل باعتبارها عجلة مفزورة. ولا كإزعاج أيضًا.

في الصباح التالي، رسالتان جديدتان. لقد استؤنف الأمر في الظاهر ولن يتوقف أبدًا. ذهبا إلى المقهى على الشاطئ، وتناقشا لمعرفة إن كان من الأفضل أن يتصل بها أوليفييه بحضور جولييت أو لا. وللانتهاء من ذلك ينزل على الرمل، ويبقى على مسافة ثلاثة أمتار منها، تراه لكنها بسبب الهواء والبحر، لا تسمع الكلمات التي يقولها.

سألت حين عاد يجلس بالقرب منها، بعد نصف ساعة، إذن؟

انهارت عندما قلت لها إنك على علم بكل هذه الرسائل وكل هذه

الاتصالات الهاتفية سألتني إن كنت أطلعتك على رسالتها النصية أمس مساء وقلت لها نعم فطفقت تصرخ.

تصرخ ماذا؟

عدم احترام، نازي، أنا إنسانة مع ذلك، من مثل هذه الأشياء.

المتعة العكرة في أن تجد نفسها فجأة في دور الجلاد. تعيد التفكير برسالة ف: أنتما حقًا زوجان مثيران للغثيان.

وفيما عدا ذلك؟

تريد أن تعرف كيف هي الأمور إن كنت أفكر فيها وكيف هي الأمور بيننا.

وقلت لها؟

قلت لها الأمر على مايرام، وإنني أعتقد أننا تغلبنا، أتكلم عن تفاهم مستعاد. طرحت علي أسئلة حولك وفي النهاية غضبت وقلت لها تريدين أن تعرفي كيف نمارس الحب هذا ماتريدين؟

وكيف انتهى ذلك؟

قالت إنها ستحبني على الدوام. لكني أعرف تمام المعرفة إنها ترهات، تقول هذا كي تزعجني لأنها تعلم أن ذلك يؤثر بي، ليست لدي الرغبة في أن تنتهي حطامًا، لكنها هذا الخريف سوف تقع من جديد في حب رجل هذا واضح.

هذا يؤثر فيه.

إذن كانت هذه هي الاستراتيجية، فكرت جولييت، دفع كل شيء، الحب الأبدي، البقاء هناك متلبدة تترقب صبرًا لا ينفذ، انتظار الساعة المناسبة، الصدع بينهما الذي لا يمكن له إلا أن يحدث، الانحراف، الصدام، ذلك بالنسبة إلى أوليفييه مخرج نجاة وبالنسبة إلى جولييت سيف ديموقليس، ولكن متى سوف ننتهي من ذلك لم يعد بوسعها العيش دومًا في الرعب على هذا النحو يجب أن يتوقف هذا أخيرًا.

وبعد يومين من ذلك رسالة تصل من جديد: «هل تريد أن تتصل بي؟ مشتاقة لك.»

جولييت في المخزن الكبير تتسوق، تتضور قلقًا منذ الصباح. فكرت، ياله من تخمين لا يحتمل. كما لو أن شيئًا لم يكن. مشتاقة لك. كما لو أنه لم يقل لها انتهى، كما لو أنهما سوف يلتقيان خلال بضعة أيام. واضح أنها تشتاق إليه. لم ينقص إلا ألا تشتاق إليه. حان الوقت لأن تتعلم ف أنه لايمكن انتظار أن يواسينا الآخر عند انتهاء قصة الحب. نتدبر أنفسنا. نبكي في عزلتنا، نرسل رسائل شتائم، نتدبر الأمر. قليل من الكرامة، ومن

الفكاهة، بل وحتى من الكبرياء، هذا يساعد، بالطبع.

عند عودتها تجد أوليفييه في الغرفة.

قال لها، انتكاس كبير.

أجابت، هذا لا يدهشني.

اتصلت من رقم مخفي في الوقت الذي كنت أرسل لها خلاله رسالة تقول إن ذلك لا يبدو لي ذا فائدة كبيرة أن نتبادل الحديث، فرفعت السماعة.

إذن؟

بدأ ذلك هادئًا بالأحرى. قصت علي حلقا حلمت به، كانت ضائعة في شقتنا التي كانت واسعة، قلقة بصورة تامة، كان ذلك رهيبًا. شرحت لها لماذا أقول لك كل شيء الآن، مباشرة، أنني انتبهت إلى أنني في كل مرة لا أقول لك فيها الأشياء فور وقوعها، خلال شهر يونيو بل وحتى بعده، لأنني كنت أظن أنه لا أهمية لذلك، وأنها حديقتي السرية، فإن ذلك ينتهي على كل حال بأن يُعرف على الدوام، ومن ثم فقد قررنا الآن العمل على هذا النحو. كانت تصغي.

ثم تصاعدت الأمور شيئًا فشيئًا. قالت: «لكن بوسعك رغم ذلك أن تترك لي مكانًا صغيرًا، صغيرًا جدًا في حياتك؟»قلت لها أن لا، أنها تستحق أفضل من مكان صغير في حياتي على كل حال وأنه لا يجب أن نتحدث ولا أن نتقابل ما دامت لم تتوقف عن الاهتمام بي كليًا، حينئذ طفقت تصرخ، وأنها سوف ترتكب حماقة ما، الشيء المعتاد. انتهيت إلى إغلاق الهاتف، وتلقيت رسالة من تريستان يطلب فيها إلي أن أتصل به. ولم يتوقف جوالي عن الرنين. أخشى أن تتصل بي هنا. لقد فصلت الهاتف الأرضي سرًا. آمل ألا ينتبه جيروم إلى ذلك.

فكرت جولييت خلال لحظة.

قالت، إنه ينتظر اتصالاً من السياك.

انتزعت عبثية كل ذلك منهما ابتسامة، مع أنه لاشيء في ذلك ما يضحك، على الإطلاق. جلست جولييت على السرير، ووجهها بين يديها.

لن ننتهي من ذلك أبدا.

إنه بالقرب منها، يحيطها بذراعه.

لماذا تقولين هذا؟ بالطبع سوف ننتهي من ذلك، أعرف جيدًا أن ذلك شديد الطول، لكني أؤكد لك أننا نتقدم. لدى كل أزمة جديدة تقال أشياء، أعتقد أننا نتقدم مع ذلك.

فكر.

أرغب في الاتصال بتريستان، ما رأيك في ذلك؟

كما تريد.

ما إن خرج أوليفييه، حتى بحثت جولييت في أغراضها عن طبعة الجيب لرواية المرأة المقطوعة التي لم تعد تنفصل عنها منذ أن كانت في توسكان، وقلبت الصفحات بسرعة.

«تستطيع مع ذلك أن تترك لي مكانًا صغيرًا في حياتك.»

كانت الجملة موجودة في الصفحة ٢٤٢.

لكن في كتاب سيمون دو بوفوار كانت الراوية، المرأة المخدوعة، التي كانت تتلفظ بها.

ولم تكن العشيقة.

فكرت جولييت، هذه الفتاة مريضة حقًا، إنها تنحرف عن الخط كليًا، إنها تخطئ الدور، فهي تقول نصي، منذ البداية تخطئ الدور، يا إلهي، لهذا لا تتحمل أن نذهب معًا إلى السينما أو إلى المسرح، ففي الكتاب لا يذهب إلى المسرح إلا مع عشيقته، إنها تشعر تمامًا أن شيئًا ما لم يكن على ما يرام، وجعلها ذلك ترتعب. وكذلك الإجازات. الاتصالات الهاتفية. تنتهي نوبللي في الكتاب إلى الاتصال بالرجل في بيته، وتبنزه بالانتحار، يتردد، وفي النهاية يذهب إليها، لا، ليس أوليفييه، خابت ثانية، لا حظ هناك، معنا لن يمر الأمر، ليست هذه قصتنا، ليست قصتي على كل حال. لابد أنها قد فقدت عقلها.

حين عاد أوليفييه بعد عشر دقائق، كان مبتسمًا. وسوف تشعل جولييت سيجارة رغم أن الساعة ليست إلا الرابعة بعد الظهر، وهو ما كان على النقيض تمامًا من عاداتها.

قال وهو يجلس قربها، لن تدخني في هذه الساعة.

عدتُ إلى التدخين في الأول من حزيران، لم أمس سيجارة واحدة منذ أن كنا في توسكان. استهلاكي مرتبط مباشرة بإيقاع وحدة اتصالاتك معها. إذن، تريستان؟

لقد طمأنني بالأحرى. قال لي إن الأقسى في نظره قد حدث. إنه يظن أنني أغلقت في وجهها الهاتف، قال لي فقط ألا أفعل ذلك، وأنها لا تتحمله. قلت له إننا تكلمنا خلال ساعة، لم يكن ذلك ما فهمه. قال لي أن أعتبر أنها مجنونة، أن القطيعة ستأخذ وقتًا أطول مما تأخذه قطيعة عادية. وأنه عرف أسوأ من ذلك. سألته إن كان يتحدث عن حكايات مماثلة مع رجال آخرين، أم عن بداية حكايتي معها، بقي غامضًا لكني أظنني فهمت أن المقصود رجال آخرون.

رفعت جولييت حاجبيها. حين كان أوليفييه قد فكر الاتصال بالطبيب

النفسي الذي يتابعها، هرع تريستان كي يقول لفيكتوار إنه يريد إدخالها مستشفى الأمراض النفسية. الآن، هو الذي يؤكد أنها كانت مجنونة.

وافق أوليفييه، نعم، حسنًا، أكيد، ليس واضحًا كليًا. لكنه هذه المرة كان جيدًا بالأحرى، أؤكد لك. قال لي إنه يستغل اللحظات التي لا تتواجد خلالها كي يذهب في إجازة، هل تصدقين. لا أتوصل إلى تخيل حياته العائلية، لهذا الشخص.

قالت جولييت، صعب.

إنه يعرف ذلك بالطبع، أن ذلك يبدو جنونًا. قال لي: لا يمكنك أن تعلم إلى أي حدّ هي وحيدة. كي تأتي وتسرّ إلي أنا بهمومها، تصور.

لم تكن جولييت تتصور ذلك.

قالت، ما ينقص هذه الفتاة، رفيقة جيدة.

نهاية الإقامة اقتربت. ذهبا بعد العشاء ليحجزا من أجل الغد أمكنة في مطعم على الشاطئ، ستكون ولا شك أمسيتهما الأخيرة. ثم سارا على امتداد شاطئ البحر، كان الجو حارًا، وكان ثمة أناس في الماء.

وهما عائدان، عثر أوليفييه على رسالة نصية من ف:

«هل ستتصل بي غدًا؟»

قال لها في السرير وهو يأخذها بين ذراعيه، كانت جيدة هذه الإجازة. أليس كذلك؟

ضحكت.

نعم.

لقد عدنا بوصفنا زوجين. أليس كذلك؟

نعم. أخيرًا ، عليك أنت بالأحرى أن تقول ذلك. إنه أنت بالأحرى الذي أضاعنا، بوصفنا زوجين.

لم يكن الأمر بهذه السهولة، تعرفين ذلك جيدًا.

أجابت، أعرف.

كان ذلك نهارهما الأخير في بورنيك. كان الجو يزداد حرارة. ذهبا صباحًا باكرًا يستحمان. ما إن خرجا من الماء وتمددا على الشاطئ حتى رنّ هاتف أوليفييه.

قال، مذهل، أفتح تلفوني وفي الثانية التي تلي ذلك تتصل بي.

كبس الملمس المخصص لتجاهل الاتصال، كان قد تلقى أيضًا رسالة نصية تطلب منه من جديد أن يتصل بها.

لهجة رسائلها تغيظ جولييت، « هل تريد...»، «هل ...»، أود لو أن..». هذه اللهجة الطفولية، والخاضعة، والشاكية قليلًا في آن واحد، تتبدى في

عدة كلمات. هل تجهل العدوانية؟

في نهاية بعد الظهيرة بدأت رسائل أخرى في الوصول.

«اتصل بي أرجوك. انا محصورة في الريف بالقرب من روش سور يون.»

تقول جولييت ساخطة، إنها مجنونة تماما.

أوليفييه هو أيضا لا يصدق.

قال، هذا مؤكد.

ما الذي تفعله في روش سور يون، أولا؟

لا أعرف شيئا عن ذلك. كان عليها أن تذهب لقضاء بضعة أيام في ريه، لدى هذه أو تلك من كبار شخصيات الحزب الاشتراكي.

ما الذي تنتظره منك؟ أن تذهب لاستقبالها؟

قال أوليفييه ساخرا، بالتأكيد.

ليس لها إلا أن تتصل بجوسبان. أو بسيارة قاطرة.

قال أوليفييه، إنها تسافر بالقطار كما أظن، هذا هذيان. أصلا رسالتها أمس، «هل تتصل بي غدا؟»، كما لو أن شيئا لم يكن، بعد المحادثة التي جرت بيننا، هذا هذيان. هل لاروش سور يون على الطريق القادم من لاروشيل إلى بورنيك؟

أظن. تقريبا. بالقطار، لا أدري.

أتخيل، في الواقع، أنها كانت على الطريق كي تأتي هنا ثم أصيبت سيارتها بعطل. أليس ممكنا، هذا؟

قالت جولييت، ربما. ولكن لماذا؟

كي تراني، بالطبع. تقوم بالفعلة نفسها عشية كل رحيل لنا. تريد أن تلقاني قبل العودة إلى باريس.

تنهد.

لحسن الحظ أننا لن نتناول العشاء في بيت أبيك هذا المساء. أنا واثق أنها ستنتهي إلى الاتصال بالبيت.

حين عادوا مساء بعد المطعم، نظر أوليفييه في جواله. كان لديه تسعة اتصالات غيابية. ورسالة نصية بأسلوب الرسائل السابقة نفسه. يبدو أنها لا تزال في لاروش سور يون.

انفجرت جولييت، ولكن ما هذه القصص؟ وقبل كل شيء كيف يمكن لشخص أن يحاصر وسط الريف حين يستخدم القطار عادة؟ في حال وجود مشكلة ما فإن إدارة السكك الحديدية تلجأ للباصات، أليس كذلك؟

قال أوليفييه، تعود آخر رسالة إلى ما قبل ساعة ونصف.

كان يبدو عليه القلق.

قال، إنه الإرهاب فعلًا. أخشى أن تحضر في كل ثانية.

أناما الطفلين، ثم عادا إلى الصالون.

تقول جولييت، لن تتصل بها، أليس كذلك؟

يقول أوليفييه، لا، لا. ولكن إذا جاءت هذه الليلة، ماذا أفعل؟ هل آخذها إلى مكان ما؟

تقول جولييت، بالتأكيد لا.

هل أجعلها تنام هنا؟

كفى. إن جاءت، سنرى الأمر. سأتكفل بها. لن نجعل أنفسنا مرضى سلفًا.

ذهبا للنوم، عاريين أحدهما فواجة الآخر، وكانت الحرارة مرتفعة بحيث لا يمكن تحمل حتى الشرشف.

يقول أوليفييه، هذه نهاية الإجازات.

تقول جولييت، لم نتقدم كثيرًا منذ البداية. لقد بدأت الإجازات تحت الإرهاب، وهي تنتهي تحت الإرهاب.

يقول أوليفييه، كانت جيدة رغم كل شيء. أو ربما بسبب ذلك.

بقيت جولييت متأملة. كان أوليفييه على حق. عناد ف في رفض القطيعة خلق توترًا مفيدًا ولا شك لهما. مفا، كانا يؤلفان جبهة في وجهها. تساءلت ببعض الخشية كيف ستتم العودة إلى باريس.

باريس، ١١ أغسطس (وكالة الأنباء الفرنسية) رقم قياسي جديد في درجة الحرارة تم تجاوزه بباريس، مع درجة حرارة دنيا قدرها ٥ ر٢٥ درجة خلال ليلة الأحد/ الإثنين، كما علمنا من قبل إدارة الطقس الفرنسية. تلك هي الدرجة الدنيا التي سجلتها محطة طقس فرنسا باريس/مونتسوري والتي هي أعلى درجة منذ بداية القياسات عام ١٨٧٣.

كان الطقس معتدلاً في مكاتب غالاتيا نيتوورك، لكن الحرارة خلال إجازة نهاية الأسبوع كانت من الارتفاع بحيث أن مكيف الهواء قد تعطل في قاعة المعلوماتية. كانت الشبكة قد توقفت، وفي صباح هذا الإثنين، لم يكن هناك أي حاسوب يعمل. وخلال الوقت الذي كان ضروريا لكي يعيد فريق الصيانة الأمور إلى نصابها، كان الموظفون العاطلون عن العمل يتجولون من مكتب إلى مكتب، ويجتمعون أمام آلة القهوة. ماكان لمثل هذا الحدث في وقت عادي أن يفعل أكثر من مفاقمة إرهاق المهندسين، لكن جو غالاتيا عشية ١٥ أغسطس كان أقرب إلى الاسترخاء. وهاهو بيسينياك مشمر الأكمام، بلا ربطة عنق، يقدم إلى جولييت فنجان كابوتشينو وينتهز الفرصة ليعلمها بتعيينه الذي لا يزال غير رسمي بعد في الإدارة التجارية. وتحت تأثير انفعال مفاجئ، تمس جولييت ذراعه. يقفز بيسينياك ويقلب قليلاً من القهوة الحارة على يده وينظر إليها، مذعوزا. تبتسم له. كان فاتنا أن تلمس مثل هذا الانتصار للغرور ولانعدام الكفاءة. كان فاتنا وغامضا في آن واحد. هنأته بإخلاص تقريبا. لم تكن تميل إلى التجارة، ولا كذلك إلى السلطة، وتشعر بنفسها راضية خصوصا من أنها ستتخلص عما قريب منه. ما إن أنهت الكابوتشينو حتى ألقت بالقدح في سلة المهملات وحاولت من جديد الاتصال بأوليفييه.

حتى الدقيقة الأخيرة في بورنيك، كانا يخشيان أن تصل ف إلى بيت جيروم. في الليل، كان أوليفييه قد قرر أن يحول كل اتصالاته إلى جوال جولييت (من أين جاءته هذه الفكرة؟ ليس منها على كل حال). ونتيجة ذلك، كان تلفونها قد بدأ صباح يوم عودتهم في الرنين عند الساعة الثامنة، وكان مستمرا في الرنين بلا انقطاع حتى الظهر. كانت الاتصالات تأتي من أرقام مختلفة، ومنها رقم جوال ف المعتاد.

كان أوليفييه قد قال بابتسامة رقيقة، يوسعك أن ترفعي السماعة إن شئت.

وكانت جولييت قد أجابت، لا، شكرا.

كانت تتخيل بقدر من الفزع ما ستشعر به ف وهي تقع على علبة رسائلها. مرة أخرى، تذهل من عنف أوليفييه اللاواعي، كما يبدو، الذي كان يخفف، بأثر رجعي، العنف الذي مارسه نحوها، في بداية هذه القصة.

كانوا قد عجلوا في الرحيل قلقين من مغادرة بورنيك، وتوقفوا، على طريق العودة، عند بعض الأصدقاء بالقرب من مدينة مان. وبقدر ما كانوا يتقدمون داخل الأراضي، بقدر ما كانت الحرارة تصير عسيرة الاحتمال. وحاولوا بناء على نصيحة ومثل مضيفيهم أن يرطبوا أنفسهم بالنزول إلى مستنقع خرجت منه جولييت على الفور مشمئزة فقد ترك الماء الساكن والفاتر على جلدها بقايا زيتية هرعت للتخلص منها بدعك نفسها بالصابون طويلًا تحت مياه الدش لكنها كانت تشعر باستمرار أنها لا تزال على جلدها طوال بضع ساعات.

كانوا قد وصلوا إلى بيتهم منهكين، وفور تواجدهم في الشقة، كان هناك توتر محسوس قد عاد بينهما. كانت اتصالات ف قد توقفت، لكن أحدًا منهما لم يكن يملك أي وهم حول حقيقة محاولتها القادمة الاتصال بأوليفييه ما إن يعود إلى المجلة.

قال، هناك سأكون محاصرًا. لا يمكنني أن أفلت منها.

قالت جولييت، ومع ذلك سيتوجب أن يتوقف هذا. حتى إزاء رؤسائك، سوف ينتهي ذلك بأن يبدو بعيدًا عن الجدية.

وافق أوليفييه مهمومًا، هذا أكيد.

كان قد بدأ بتصور استراتيجية: يرسل لها رسالة إلكترونية كي يخطرها بأن أي حديث بينهما لن يدوم من الآن فصاعدًا أكثر من ثلاثين ثانية، وهو ما يسمح له أن يجيب على اتصالاتها حين لا يكون وحيدًا وأن يغلق التلفون بسرعة مع حزمة من الجمل المعدة سلفًا لا تثير انتباه الآذان غير المجربة من نوع، جيد جدًا، الآن سوف نتصرف كما قلنا.

حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر، إذن، أرادت جولييت الاتصال بأوليفييه. في المجلة، وقعت على مسجّل الرسائل الخاصة به. حاولت الاتصال به على جواله، الذي رنّ في البداية مشغولًا ثم حولها إلى مسجّل الرسائل. عند المحاولة الثانية، بعد ربع ساعة من ذلك، شعرت بالقلق يجتاحها. عند الساعة الثانية، كانت على حافة الهيستيريا. تركت رسالة موجزة لأوليفييه، تلفونك مغلق اتصل بي أرجوك. ثم بعد نصف ساعة، بصوت مبحوح: لا أفهم كيف تستطيع ألا تتصل بي وتتركني أتخيل أي شيء.

والواقع أنها تتخيل كل شيء. محادثة هاتفية بلا نهاية مع جزيرة دو

ربه. أن فيكتوار قد حضرت إلى المجلة شخصيًا، بل وربما كانت هناك منذ عشية أمس أسفل عمارة بيتهما، وربما عثر عليها أوليفييه هناك حين نزل لإدخال سيارته إلى الكراج. وهو ما يمكن أن يفسر هيئته الغريبة مساء. أو ربما كانت في المستشفى في مكان ما، وذهب لرؤيتها. أو ...

رنّ الهاتف بينما كانت تدخن سيجارة في البهو، لكن الإشارة لم تكن ظاهرة تمامًا وكان من الواضح أن أوليفييه يوشوش. سمعت بصورة غامضة أنه لم يحدث شيء على الإطلاق، ثم أغلق الهاتف قائلًا لها إنه سوف يتصل بها بسرعة من هاتف يستطيع أن يتكلم منه.

وصل شاتيل أثناء ذلك، شديد الاسمرار، واقترح عليها أن تأتي لتناول القهوة في مكتبه. رنّ هاتفها عندما كانت في المصعد، اعتذرت من مديرها العام وتركته بلا أية شكليات ونزلت من المصعد في الطابق الثالث. لم تكن تسمع جيدًا لكنها فهمت أن أوليفييه كان قد عاد إلى البيت لتناول الغداء، وأنه لم ينتبه إلى أن جواله كان مطفأ، وأنه ليس لديه أي خبر بخلاف طرد مرسل يوم مغادرتهما وكان قد تلقاه في المجلة هدية. دفتر. سلعة ورقية. سمعت الكلمات «كان لديها من قبل»، «سيارة»، تخلت عن أن تفهم ما يقوله لها، اعتذرت. قالت، هذا يذكرني بذكريات شديدة السوء.

قال، أفهم. ولكن حقًا، كفى. تركت لك رسالة، هل سمعتها؟

لا، لم تكن قد سمعتها بعد، لكنها فعلت ذلك وهي تتابع صعود السلم فور إغلاقها التليفون.

جولييت، اسمعي، هنا اعتزلت كي أقول لك الأشياء بوضوح، دقيقة بعد دقيقة حول قضاء وقتي، ليس لدي إطلاقًا أي خبر ومن المستحيل، هل تسمعين، من المستحيل أن يحدث أي شيء لن أكلمك عنه. إذن، كفى، أفهم أن هذا يمكن أن يحدث، لكنك في قلب الهذيان، ههنا.

شعرت على الفور بأنها أفضل حالًا بكثير، واجتازت بخفة آخر درجات السلم المؤدي إلى مكتب شاتيل.

في المساء جعلت أوليفييه يشرح لها حكاية الهدية. كانت هدية لإيما، دفتر مع قفل. على كل حال لديها واحد من قبل، أليس كذلك؟ يبدو لي أنني رأيتها تلعب بها في السيارة. كانت جولييت تستمع غير مصدقة. الدفتر بقفل الذي أعطيتها إياه بمناسبة عيد ميلادها، نعم. انتظر. هل اشترت هدية لإيما؟

أجاب بخفة، بالطبع، بما أننا في ذهنها سوف نؤلف أسرة أعيد جمعها، هي وأنا.

تابع بسرعة وقد رأى ردّ فعلها: كنت أعرف أنها كانت قد أرسلت إلي

هدية من أجل إيما، كانت قد قالت لي ذلك على الهاتف. ولكن لا تقلقي، وضعتها في علبة ذهبت لأخذها من البريد، مع كنزة كانت قد أهدتني إياها ذات يوم، ولسوف أعيد لها كل هذا. هذا ما جئت كي أقوم به عند الظهر.

كانت جولييت تهضم المعلومة ببطء.

وقد وضعتْ هذا في البريد غداة يوم مجيئها إلى هنا؟

قال مغتاظًا بعض الشيء، كما يبدو. إسمعي، ليس لهذا حقيقة أية أهمية.

هل كانت مرفقة برسالة؟

لا.

وهل وضعتْ أنتَ رسالة؟

نعم. كتبت: لا يمكنني أن أقبل هذه الهدية لإيما. لقد انتهى كل شيء، وأنت تعلمين ذلك.

ابتلعت فيض الكراهية الذي كان يتصاعد في نفسها كلما اقتربت الأخرى من ولديها، ولم يعودا إلى ذكر الموضوع طوال الأمسية.

كان الجو ليلًا أكثر حرارة من الليلة السابقة، وواجهت صعوبة في أن تنام. لم يكف أوليفييه هو الآخر عن التهوض كانا ينامان عاريين، بلا شرشف، في غرفة مفتوحة الباب والنوافذ.

في الغداة، نامَا باكرًا وطفقت جولييت بتصفح عدد قديم من مجلة ماري كلير كان ملقى عند قدم السرير. كانت نصف ممددة على ظهرها وفي كل مرة تقلب فيها الصفحة كان الورق يمس بصورة ممتعة طرف ثديها.

قال لها أوليفييه وهو يتدحرج بالقرب منها، لديك زوج لا غبار عليه، وطفلين لا بأس بهما، ولكن خصوصًا زوج كامل الأوصاف، إنه أساس جيد، أليس كذلك؟

قبلَ بطنها.

كفى، لن تتمكن من الوفاء بوعودك. أصلًا هذه الحرارة تثيرني.

سأل مهتمًا، هل هذا صحيح؟

طفق في مداعبتها راغبًا.

جعلها تستمتع مطولًا قبل أن يدخلها.

بعد ذلك ذهبا إلى المغطس المملوء بالماء البارد في الحمام. شيء خاص بالزوجين، حنون، حميم، لم يفعلاه من قبل أبدًا. شعرت بنفسها في حالة جيدة ، مرتاحة فجأة. مزحت.

لقد جعلني هذا في مزاج حسن، كما ترى، شيء قليل يكفي.

سرعان مارفعت حرارة جسديهما حرارة ماء المغطس عدة درجات.

ثم نامت مثل بليدة.

كانت جوليبيت تستمر في حماستها لمتابعة مأساة فيلنيوس. كانت تلتهم الصحف كل صباح. بعد عملية الحظ الأخير، توفيت ماري ترنتنيان في باريس. بين التشريح العنف وتعدد الضربات التي وجهها لها كوتنا. كان المغني قد ذكر في إفاداته هيستريا الممثلة التي كانت حسب أقواله قد ألقت بنفسها عليه أولًا صارخة «عد إلى زوجتك». وأنه أراد فقط أن يهدئها. غضبت أسرة الضحية بحق من مثل هذا الدفاع. كانت كريستينا رادي، الزوجة المهجورة، قد ركبت أول طائرة إلى فيلنيوس كي تدعم من كان لا يزال زوجها ووالد أطفالها. وثمة صور تظهرها واضعة يدها في حركة شديدة الحنان على رأس القاتل الظنين، عند خروجه منهالكًا من المحكمة. كانت جوليبيت تجد في هذه القضية، مع أخذ الفروق بعين الاعتبار، أصداء غريبة لما كانت تعيشه، وتدهش من مصادفات غريبة: العشيقة الهستيرية أو لا ، الزوجة المهانة لكنها المخلصة، وشقراء. وفوق ذلك حدثت المأساة مساء ٢٦ يوليو، المساء الذي جاءت خلاله فيكتوار إلى شقتهما حين ألقت جوليبيت بنفسها على أوليفييه، وهي تشبعه لكمًا.

وماذا يعني ذلك؟

لاشيء.

اكتفت بتقرير الوقائع، دون أن تستخلص منها أي نتيجة، أي إشارة أو معنى خفي.

كانت اتهامات كوتنا بالهستيريا ضد ماري ترنتنيان مع ذلك، تقلقها. بعد كل شيء، لم تكن هي نفسها تعرف هيستيريا ف المزعومة إلا من خلال ما كان أوليفييه يقصه عنها. ربما كان يسوّد اللوحة كي يخفي ضروب ضعفه الخاصة به. فكرت جوليبيت، ربما كان الرجال هم من يجعلون النساء مجنونات.

أو العكس.

أو الاثنان معًا.

ربما كان الحب هو الذي يجعل المرء مجنونًا.

أو الرغبة.

أو الاثنان.

بل إن الصحافة نفسها كانت تجهد في استخلاص معنى مأساة فيلنيوس. كانت المجلات تبحر الهويتا بين الهوى السامي، السامي بالضرورة والسلطان المميت، وتبذل كل جهد وهي تحاول أن تشرح كيف

استطاع حب بمثل هذا الجمال بين كائنين بمثل هذا النقاء أن ينتهي إلى حادث يومي بمثل هذه الدناءة. كان ثمة فنانون قد استحوذوا على منبر في صحيفة اللوموند كي يؤكدوا أن كونتا كان على الرغم من كل شيء شخصا مذهلا. وشرح محلل نفسي أنه لا أحد بمنأى عن الجنون، ولا عن نزوة إجرامية ، وإذا لم تفهموا هذا، فأنتم ممن لم يعرف الحب أبدا ، وذكر طبيب نفسي»نساء الشؤم» اللواتي مع كونهن ضحايا، يسيطرن على المعتدي عليهن، مع أنه كانت جمعيات نسوية، على إثر جيزيل حليمي، تصرخ منددة بالجريمة الذكورية جاعلة من ماري راية قضية النساء المضروبات.

وغارت ف، رئيسة هنّ يساوين هم EEE، في الغفرة.

حين علمت جولييت عن طريق الصحافة أنها شاركت، في ساحة كوليت، بمظاهرة الاحتجاج ضد العنف الفارس على النساء، عرفت أن الإجازات قد انتهت، وأن أوليفييه لن يلبث أن يسمع من جديد شيئا عنها.

وصل الاتصال الهاتفي المتوقع بعد عدة أيام، خلال الصباح. كانت المحادثة مع أوليفييه سريعة. بدأت فيكتوار بالاعتذار منه، أجاب طالبا منها أن تكف عن الاتصال به، فطفقت بالبكاء. وصرخت أنه لا يملك أحد الحق في أن يعامل أحدا آخرعلى هذا النحو. وأن لها مع ذلك الحق في أن تكلمه. هل ستفعل كالمرة الماضية وتحيلني على زوجتك؟

تبع هذا الاتصال اتصال ثان، بدأ في رفضه، ثم اتصل بها. هذه المرة كانت بينهما أيضا محادثة على قدر من الإيجاز، لكنها «جيدة»، كما سيحكي فيما بعد لجولييت. وصف أوليفييه لفيكتوار مغادرتهم بورنيك، وكيف أنهى الإجازات بسببها كما كان قد بدأها، في الذعر، وفي الهرب. أجابت أنها لم تكن تستطيع أن تتصور ألا تراه أبدا، وألا تكلمه أبدا. اعترض بأنه «من غير المعقول» التكلم مع شخص ليست لديه من ناحيته أية رغبة في ذلك. وافقت على هذا، وأنهت الحديث بقولها «شكرًا».

كانت قد شرحت له أنها قطار العودة في لاروش سور يون كان قد فاتها ، وأن الفنادق كلها كانت ملأى.

أضاف أوليفييه، لا أدري إن كان ذلك صحيحا.

قالت جولييت، وحتى لو كان ذلك صحيحا. لست زوجها، ولا أباها، ولم تعد عشيقها. ولست كذلك صديقها. إن كان صديقها يعني، مثل تريستان، أن يلمها في كل مرة تقع فيها في الشارع، فلن أتحمل ذلك.

قال، موافق. ربما علي أن أقول لها هذا في المرة القادمة. أنني آخر شخص عليها أن تتصل به عندما تقع في مشكلة من هذا النوع.

فكرت جولييت، حتى ولا آخر شخص.

بعد عدة أيام، اتصلت جولييت بأوليفييه كي تقترح عليه تناول الغذاء معها. سألها: هل حاولتِ الاتصال بي على جوالي؟

لا، لم تكن قد حاولت. لماذا؟

أجاب، لدي عدة اتصالات غيابية بلا رسالة.

ردت، هوذا، عجيب. من يمكن أن يكون هذا؟

بعد الظهر، اتصلت به: وإلا، هل من أخبار؟ لا، أجاب، بخفة، نو نيوز.

في المساء وهو يغسل يديه، قال لها: وإلا، لدي اتصال جديد. تكلمنا خمس دقائق.

ما الذي كانت تريده؟

لا أدري. كما كنت تشعرين ذلك، أظن، هي استراتيجيتها الجديدة. تطبيع علاقاتنا.

وبالتالي؟

لا وجود لشيء خاص، إنها تعد للمدرسة القومية للإدارة، إنها تعمل. كان ذلك عاديًا جدًا. لم يكن لقاؤنا أبدًا موضوع الحديث.

كنتما تفرثران، إن فهمت.

لم تكن لدي رغبة في الشجار. إن اكتفت بالاتصال بي على هذا النحو مرة كل عشرة أيام، بصراحة، لا أرى في ذلك مشكلة.

جولييت ترى المشكلة، لكنها لم تقل شيئًا. تشد ملامح وجهها. يقول لها:

انتبهي. إذا كان هذا يمنعك من النوم في كل مرة تتصل بي، فسوف أكون مدفوعًا إلى ألا أقول لكِ ذلك.

فجأة، تنهرس مثل عجينة، مرهقة.

بعد ذلك بقليل، يضيف: ثم إنني أحتفظ بحق اختيار اللحظة. مثلًا، قبل قليل، حين اتصلتِ بي، كانت قد اتصلتْ هي. لكني كنت في اجتماع تقريبًا، ولم تكن لدي الرغبة في أن أحدثكِ عن ذلك.

إذن قلتَ « نو نيوز». لكن إذا فهمتُ جيدًا، الخطر، قد يحصل أخيرًا، يبدو لي أنه قد حصل، إنه شيء لا تقوله على الفور، بعد ذلك لم تعد اللحظة مناسبة، لم يعد ممكنًا قوله.

لم تغلق عينيها طوال الليل، مفكرة بهذا التهديد: سوف أكون مدفوعًا إلى ألا أقول لك ذلك. وطريقته المرتاحة في قول «نو نيوز» على الهاتف، كما لو أنه يذكرها أنه لا يزال يعرف الكذب جيدًا، هل تريدين رؤية ذلك؟ هوذا، ها أنا أبين لك.

في الصباح كانت منهكة، حاولت إخفاء ذلك، لا ضرورة. انتهت إلى

التصريح: ليس أنها تتصل هو ما يمنعني من النوم، بل هو كونك لا زلت تنوي الكذب علي. طمئني، هل لا زلت تقول لي كل شيء؟

بالتأكيد نعم. غادر ساخطًا.

اتصلت بفلورنس، ووقعت على بول. قل لي ما رأيك، هل هو أمر طبيعي أن تستمر في الاتصال به وأن يغرثران معا، هل هذا طبيعي، هل أنا المجنونة، قل لي، أنت الطبيب النفسي.

قال بقوة، لا، لا أريد أن أقدم لك نصائح، حقًا لا أفضل ذلك، ولكن لا، لست مجنونة، لا، لا يمكنهما أن يكونا صديقين، هذه الفتاة تبدو لي هدامة بصورة خطيرة.

حسنًا، شكرًا. سوف أذهب للصدام هذا المساء مع أوليفييه، كنت أريد فقط أن أتأكد.

انتظرته على الكنبة في المدخل. عاد في الساعة ٢٢، كما هو منتظر.

قالت له، عند الساعة تمامًا.

قال لها قلقًا، ماذا هناك؟

سوف أقول لك ذلك، تعال، أعددت لك ما تأكله.

صحبته إلى المطبخ، وجلس أمام طبق المعكرونة.

أريد أن أقول لك إنني فكرت بذلك طوال النهار وإنني أولًا أجد ذلك مثيرًا للاشمئزاز أن تقول لي بعد كل ما جرى خلال الأسابيع الأخيرة: إذا كان اتصالها يؤلمك، فسوف أكذب عليك مجددًا. ولا حتى «لو وجهت لي اللوم»، أو «إن غضبت»، وهو أمر أستطيع تقريبًا السيطرة عليه، وإن كان سيكون أساسًا مثيرًا للاشمئزاز حين أفكر به، ولكن أن تمنعني من الإحساس، أو أن تقول لي إنه يجب علي أنا أن أكذب حول ما أشعر به، فهذا مقزز. وكما قلت لك هذا الصباح ليس اتصالها هو ما يمنعني من النوم، وإلا بين قوسين لما كنت نمت طوال الصيف، بل هو أنك تهددني هكذا. ثانيًا، وقد تحدثت عن ذلك اليوم مع بول كي أتأكد أنني لست مجنونة، اسأله ما الذي يفكر به حول ذلك، ثانيًا، لا أريد أن تستمر في المرثرة معها، كما تقول «إن اكتفت بالاتصال بي على هذا النحو كل عشرة أيام فلا مشكلة هناك»، بالطبع، وفي نهاية شهرين لم لا نلتقي كرفيقين لا معنى لذلك، طلبت منها ألا تتصل بك الجمعة الماضي، وبعد خمسة أيام تتصل بك وتقول لها إجمالًا، ها، يسرني أن أسمعك، إلخ.. بعد ذلك لم لا تعود إلى الاتصال من جديد؟ كما لو كنت تقول إلى طفل أمنعك من الصعود فوق الطاولة، وفي الغد يصعد عليها، فتتظاهر كما لو أن شيئًا لم يحدث، تداعب شعره وتقوم بتقبيله. في حين أنني لا يهمني إن أصيبت بنوبات، هل تفهم،

في كل نوبة على الأقل يخامرني انطباع بأننا نتقدم، في حين ههنا فجأة نعود ستة أسابيع إلى الوراء.

بالطبع لم تستطع قول كل ذلك دفعة واحدة. عند الجملة الثالثة نهض، ضرب على الطاولة، صرخ أنت تزعجيني، ذهب إلى المكتب، لن أعود للحديث معك، لكنها تبعته، استمرت، وانتهى إلى أن يهدأ ويقول، أفهم ما تقولين في الأساس، لكن اللهجة هي ما لا أتحمله، الجانب الثقيل، أنتظرك في المدخل لدي شيء أريد أن أقوله لك.

أجابت، نعم، أعرف، تأخذ علي غالبًا اللهجة، وتركيب الجملة، حقًا اعذرني، ولكن في هذه الظروف تستطيع ربما أن تتجاوز بعض العيوب الشكلية، وأن تسمع ما أقوله لك.

يهدأ.

قال، في الأساس أنا موافق. لا بل إنني فكرت اليوم أنها إذا اتصلت فسأقول لها إنه حتى محادثات من نمط محادثة الأمس ليست ممكنة. أترين، إننا نلتقي. ولكن هذا صحيح أنه يزعجني أن أواجه مرة أخرى مأساة جديدة.

وأضافت جولييت ما دامت في لب الموضوع: بالنسبة إلى موضوع تأجيل الحقيقة، أفهم حين تكون في اجتماع، إذا استطعت أن تتلافى الكذب علي بقولك لي «نو نيوز» وأن تقول لي ببساطة، قليلًا، سأحكي لك فيما بعد، شخصيًا سأفضل ذلك.

بعد عدة أيام، وكما كانت جولييت قد توقعت، اتصلت فيكتوار بأوليفييه من جديد.

قال، تجاهلت الاتصال، ثم أرسلت لها رسالة إلكترونية كي أقول لها أن عليها أن تكف عن الاتصال بي، وأنه حتى قيامها باتصال مثل الاتصال الذي جرى قبل عشرة أيام يسبب «لنا» المشكلات. أجابتني سائلة أياي ماذا تعني كلمة «لنا». فعلت ذلك عمدًا بالطبع، كي تفهم أننا كنا معًا في هذه القصة الآن، أنت وأنا. لم يعجبها ذلك، كما هو واضح. كتبت لها مرة ثانية لأقول لها إنني سأتصل بها كي أشرح لها مباشرة. ثم ذهبت لمرافقة الطفلين، وكنت مستعجلًا، أرسلت لها رسالة نصية لأقول لها إنني سأتصل بها في الغداة.

نظر إليها، قلقًا.

ماشي الحال؟

ضحكت بغموض، وهزت كتفيها، ماشي الحال، نعم، لا أرى جيدًا ما الذي ستعثر عليه مجددًا كي تشرح لها ولكن حسنًا.

في الغداة، غادرت بعد أن وضعت قبلة على شفتيه، خفيفة: متى ستتصل بها ؟ هذا الصباح، أظن، بعد اجتماع التحرير. هل ستتصل بي بعد ذلك؟ إن شئت. سيكون ذلك حوالي أي ساعة؟ ظهرًا، على وجه التقريب.

عند الثانية عشرة والنصف، اتصل أوليفييه بها.

إذن؟

أصابتها النوبة. كما حدث لها في منطقة فانديه. بكت، وصرخت، ليس لنا الحق في معاملة الناس على هذا النحو. قلت لها إن حالتها تبرهن تمامًا على أنه لم يكن المقصود مجرد خمس دقائق من المحادثة كل خمسة عشر يومًا. ثم لم يعد لدي ما يكفي من طاقة في البطارية في جوالي، قلت لها إنني أود أن نوقف هذه المحادثة ولكن إذا أردت انتظار ألا يعود في جوالي أية بطارية، فمن الممكن ذلك. وانقطع الخط بيننا.

كم من الوقت دام ذلك؟

لم أحسب.

حوالي؟

ممم.

منذ ذلك الحين تلقيت ثلاث رسائل.

رسائل تقول ماذا؟

الشيء نفسه، تقريبًا. كالعادة. حسنًا. سأودعك.

حسنًا. سلام. قبلات.

أخبرها في المساء أن ف لم تكن قد اتصلت.

صدر عن جولييت، مم مم. حسنًا حسنًا. سنرى.

أضاف:

أستطيع فقط أن أقول لك أن الأمر لا يقتصر الآن على أنني لم أعد أشعر بشيء نحوها فحسب، بل لم أعد أفهم كيف استطاعت أن تجذبني. حين أعيد التفكير بهذه القصة أرى إلى أي حدّ كان ذلك أمرًا عنيفًا.

سألت جولييت مساء اليوم التالي، أخبار هناك؟

ولا خبر.

كان يبدو عليه الارتياح.

هل تظن أن من الممكن أن تكف عن الاتصال؟

قال، لا أدري شيئًا عن ذلك. نعم، أظن. هذه هي المرة الأولى التي لا أتلقى رسائل فيها خلال أربع وعشرين ساعة بعد مشهد كهذا. قلت لها مع ذلك إنها حين تتصل بي، حين أرى اسمها على شاشة الجوال، يزعجني ذلك جدًا. لا بل فكرت أن أدعوها ...

توقف.

ماذا؟

ولكن لا، لن أفعلها، بالطبع. لكني فكرت بذلك. أظن أنها تظن أنه لا زالت بيننا أسرار. فكرت أن أدعوها إلى أن ترسل لك كل الرسائل التي كتبتها لها. لقد احتفظت بها، أعرف ذلك، فقد أرسلت لي واحدة منها أمس. سألتني على الهاتف ما الذي يفعله بي قراءتي لها ثانية.

إذن؟

قلت لها إن ذلك يبدو لي ... مثل حالة من الجنون، تقريبًا.

تتأمل جولييت.

أرسلتها لك قبل الاتصال، هذه الرسالة الإلكترونية؟

في الأمس. تعرفين، قلت لك أنني أرسلت لها أولًا رسالة إلكترونية، وأنها أجابتني، إلخ. أرفقت بالرسالة واحدة من رسائلي القديمة.

آه نعم، نعم، نعم.

صمت.

وماذا تقول، هذه الرسالة الإلكترونية؟

لم أعد أتذكر، لا بهم.

أحبك، لم أعرف أبدًا ذلك، كان رائعًا، أشياء من هذا النوع؟

أشياء من هذا النوع، نعم. ما الذي يمكن أن يفعله ذلك؟

إذا كان عليها أن ترسلها لي فمن الأفضل أن أستعد. حتى وإن لم تقل لها أن تفعل ذلك، يمكنها أن تخطر لها الفكرة بدونك. على كل حال، أظن أنه سيكون هناك عمل ختامي، لا تستطيع أن تكف فقط عن الاتصال بك هكذا. آمل أن يكون هناك عمل ختامي، فأنا بحاجة إليه.

كانت هناك رسالتها.

يا له من عمل ختامي: لا أنكر شيئًا من كلمات الحب، نسج علاقة أخرى بيننا... إنه ختامي إلى درجة أنها بعد ثلاثة أيام تخرج من هنا قائلة: «على كل حال، سوف يستأنف ذلك.» لا، أعتقد بالأحرى بشيء من نوع أن ترسل لي كل الرسائل الإلكترونية، بشيء يثير المشكلات بيننا.

قال حالفًا، أو فصل مهني. يمكن أن أفضل الفرضية الأولى في الحقيقة.

تتعجب بصمت من كونه واثقًا إلى هذه الدرجة من رد فعلها هي في هذه الحالة الأولى، إلى هذه الدرجة من الثقة بحيث يمكنها أن تكون قادرة على قبول ذلك مثل الباقي.

بعد عدة أيام من ذلك تسأله:

ماذا قلت لي ذلك المساء بمناسبة شيء يتعلق بالعنف؟

لم يفهم، تشنج.

ماذا، شيء يتعلق بالعنف؟ عن ماذا تتكلمين؟

قلت شيئا ما ولست واثقة من أنني فهمته جيدا، لذلك أسألك ثانية، هذا كل شيء.

عنف، لا أدري، نعم، لابد أنني قلت إنني أفطن كم إن كل ذلك، الذي ظننته خفيفا في البداية، كان عنيفا، بالنسبة إليها، حين أرى أنها لا تزال تتصل بي. بالنسبة لك، بالطبع. بالنسبة إلي، أيضا.

قالت، ليس هذا.

تبحث، وتعود للموضوع بعد خمس دقائق.

قلت لي شيئا ما جعلني أشعر بنفسي أفضل، حول الطريقة التي ترى فيها الآن هذه الحكاية، كنت قد ظننت أنني فهمت أنه كان ثمة في علاقتكما، في بيتها، شيء عنيف.

قال، لا أصدقك. لو أردت أن تعرفي أية نظرة ألقيها على هذه الحكاية الآن، لماذا لا تطلبين هذا مني؟

قلت لي إنك لم تعد تفهم كيف أمكنك أن تفتن بها، أليس كذلك، شيء من هذا القبيل؟

نعم، قلت لك إنني لم أعد أفهم كيف أمكنني أن أفتن بها.

هو ذا، كان ذلك.

شعرت بنفسها مرحة، فجأة. نظر إليها مذهولا.

قلت لك ذلك عشر مرات.

قالت بمرح، لا على الإطلاق. لم تكن قد قلت لي ذلك من قبل أبدا وكنت أريد أن أتأكد من أنني فهمت جيدا. اعذرني لأنني أحملك على تكرار بعض الأشياء، لكنك تعرف لقد سمعت مع ذلك لا أدري كم من المرات جملا من نوع «كان ذلك لقاء حقيقيا»، إلخ.

نعم، ولكن كان بوسعي أن أعاني هذا الشعور بلقاء حقيقي مع أيٍّ كان. كنت بحاجة إلى أن أعيش هذا في تلك اللحظة، هذا كلُّ شيء.

كانت ترغب أن تقول إنه يذهب بعيدا بعض الشيء، «أيًا كان»، هذا زائد عن اللزوم. لنقل تقريبا أيا كان. على كل حال ، إنها أفضل حالا، ويستطيعان الخروج لركوب الدراجات الصغيرة مع الطفلين.

مرت الأيام. وانتهت موجة الحر، وكذلك إضراب الممثلين الموقتين أيضا. كان يجري إحصاء الموتى في بيوت المتقاعدين. وكان برتران كونتا في سجنه الليتواني ينتظر النظر في قضيته أمام المحكمة. كتبت نادين ترنتنيان كتابا عن ابنتها تكلمت فيه عنه قائلة «قاتلك». وكانت جولييت تتحمل بصعوبة متزايدة عملها في غالابيتا نيتووورك. منذ تعيينه الأخير، كان بيسينياك يسير مختالا. فقد استقر في مكتبه الجديد بالدور الخامس، إلى جانب مكتب شاتيل تماما، وكان لا يحتمل أكثر من أي وقت مضى. كانت تفاجئ نفسها وهي تحلم بالاستقالة، وبمغادرة باريس، وبدء حياة أخرى في مكان آخر.

لم يتلق أوليفييه أي خبر من فيكتوار.

قالت جولييت، لحسن الحظ. ولكن مع ذلك أود أن أتلقى رسالة تؤكد الاستلام، شيئا ما. عليها أن تجتاز امتحان المعهد القومي للإدارة هذا الأسبوع. ففي هذا الأسبوع إنما تجري الامتحانات الكتابية لمسابقة الدخول.

أجاب أوليفييه، متفاجئا، آه. أنت أفضل علما مني بذلك.

يوم ٩ أيلول/سبتمبر، اتصلت فيكتوار بأوليفييه حين كان في المطعم. قال لها إنه لا يستطيع أن يتكلم معها. لن تتصل به ثانية. واحتياطا، أرسل لها رسالة إلكترونية بعد ذلك بقليل، مع نسخة منها إلى جولييت:

من: أوليفييه

إلى: فيكتوار .....

نسخة إلى: جولييت

التاريخ: الثلاثاء ٩ سبتمبر ٢٠٠٣ الساعة ٢١:٣٤

حول الاتصال الذي تلقيته حوالي الساعة ١٥

يجب ألا تحاولي الاتصال بي أبدا.

أذكرك بآخر اتصال هاتفي بيننا:

قلت لي ما تفكرين به وفهمته. تحدثت عن العنف، والإذلال، إلخ. لكني من ناحيتي قررت نهائيا ألا يكون لي أي اتصال بك. لا مجال للنقاش ممكنا.

لا تتصلي أبدا. آسف حقا لوجوب أن أجعلك مرة أخرى تتحملين هذه الرسالة.

في المساء، قال أوليفييه لجولييت: لا أدري إن كان هذا الإيميل مفيدا.

أعتقد أنها فهمت هذه المرة.

لم تجب.

في الغداة، نقل لها الجواب.

كانت فيكتوار تقول إنها سعيدة بما كانت قد فعلته في المعهد القومي للإدارة، وأنه إذا سارت الأمور كما تفكر فيمكن أن تذهب لمدة ثلاث سنوات إلى ستراسبورغ، وأن فرص اللقاء بين أوليفييه وبينها ستكون معدومة وليس عليه أن يقلق.

أنهت الرسالة بشكره، دون أن تحدد على ماذا.

قبلته.

قالت جولييت لنفسها، أكرهها.

يوم الثالث من تموز/يوليوكان الرئيس شيراك قد سمى الأعضاء العشرين في لجنة ستازي، مكلفًا إياهم بمهمة التفكير حول تطبيق مبدأ العلمانية في الجمهورية. بانتظار تقريرهم، هدأ السجال حول وضع الحجاب الإسلامي في المدرسة وكانت ف قد عثرت على موضوع آخر تعتمد عليه كي تتواجد في وسائل الإعلام.

فكرت جولييت، المسكينة ماري ترنتينيان، كان قد وقع الأمر عليها.

كانت قضية فيلنيوس قد سلطت الأضواء على مأساة العنف الفقارس ضد النساء. فقد خصصت لها عدة برامج تلفزيونية وكانت ف وهي المخلصة لاستراتيجيتها القائمة على استخدام جمعيتها لزيادة شهرتها واستخدامها وسيلة لخدمة مسيرتها السياسية، تجهد كي تُدعى للمشاركة في كل مكان.

كانت موضوع الحديث في الصحافة، وتشارك في بعض البرامج التلفزيونية.

كفت جولييت عن قراءة الصحف وفتح التلفزيون.

ذات يوم، عاد أوليفييه وقال لها بلهجة خفيفة: لا أدري إن كان هذا يدخل في إطار اتفاقنا بخصوص الشفافية، ولكن هناك لوحة عن شخصيتها على صفحتين في المجلة هذا الأسبوع. تيبري هو من كتب المقال.

ذابت جولييت في الدموع. دهشت، ونرفزت.

قالت، لا أستطيع شيئا إذا بكيت.

كنت أظن أن بوسعنا السخرية من ذلك، لا أن تويخيني.

لا أوبخك، أبكي. وسأبكي حتى لولم تكن هنا، أتفهم؟

فعل أفضل ما بوسعه كي يواسيها.

ضاجعت هذه الفتاة عشر مرات، هذا كل شيء، لن نعذب أنفسنا بهذا عشر سنوات.

بعد ذلك بوقت قليل، عثر على جولييت ثانية وهي تبكي، واقفة في بهو عمارتهم، ونسخة من صحيفة اللوموند بيدها. نظر إليها مذعورًا، وأخذها بين ذراعيه.

حقًا... لو تعلمين كم أنا آسف... حين أراك على هذا النحو. يجب أن تكفي عن أن تكوني حزينة. لا وجود لأي سبب فعلًا لذلك. الشيء الوحيد الهام في نظري هو نحن.

حشرجت.

قل لي إنها ليست شيئًا في نظرك.

لكني قلتُ لكِ ذلك من قبل، ألف مرة، وبصورة عفوية. هذه المقالات، لا تهمني كليًا. كنت رأيتها قبل أيام في مكتب المجلة على قناة ل سي ي، وجدتها بشعة بعض الشيء، لو أردتِ أن تعرفي كل شيء، ولكن حسنًا، لن أضيف شيئًا على ذلك.

اعترفت، أظنني أصبت بإحباط.

سألها مذعورًا، لا، لا تقولي هذا، ما الذي يحدث لكِ في النهاية، ما الذي يجري؟

لا أدري، أرغب في البكاء طوال الوقت، أعيد التفكير بهذه الحكاية، ولديّ انطباع بأن حبنا قد شوّه، ودبس عليه. إني متعبة. أحتاج إلى النوم، فأنا لا أنام ما يكفي من الوقت.

قال، إذن نامي.

تأوّه، ووجهه بين يديه: إنني مرهق.

قالت، لا أريد أن تكون مرهقًا. سيمر الأمر. لابد من مرور الوقت.

تمخطت، ومسحت عينيها.

قالت، يجب أن أخرج من هذا الحزن. صحيح، أتعلم، ربما يجب أن أتخذ عشيقًا أنا الأخرى. أو أن أعود لرؤية طبيب نفساني.

أسرّ أوليفييه بهمومه إلى بول.

سأله هذا الأخير، أين أنت مع هذه الفتاة؟

أجاب أوليفييه، انتهى الأمر. انتهى على الأكثر. قبل أيام رأيتها على شاشة التلفزيون وكابدتُ حتى، كيف يمكنني القول، نوعًا من النفور. الآن، الأمر يحدث في رأس جولييت.

كان تعليق جان كريستوف حين روت له جولييت حديثهما هذا في ختام سردها لأحداث الصيف، ولكن الأمر لا يزال يجري في رأسك بصورة

قصوى، كما هو انطباعي.

كان عائدًا من إجازة طويلة في آسيا، كان شديد الجمال، وقد اسفرّ كليًا. كانت السعادة تبدو عليه. ثمة رجل جديد في حياته دون شك.

هزت جولييت كتفيها.

في نظر بول، نزع المثالية عن الحب خطوة كبيرة نحو السعادة.

يفكر جان كريستوف لحظة، وعيناه نصف مغلقتين.

انتهى إلى ان يجيب، أراني أوافق بقدر ما. دائمًا ما رأيت الهيام موضع إفراط في التقدير بصورة لا تصدق، في ضوء نتيجة الطاقة/الرضا الذي يؤدي إليه.

استنتجت جولييت مع ضحكة مريرة، إذن، فأنا على الطريق الصحيح. بالنسبة لي، نزع المثالية عن الحب سائر إلى الأمام. لا بل أنه تقدم كثيرًا.

في يوم آخر، تناولت جولييت الغذاء مع فلورنس. كانت متعبة، وعيناها تغرورقان بالدموع بلا توقف. كانت فلورنس قد رأت أيضًا فيكتوار على شاشة التلفزيون.

كيف عرفتِ أنها هي؟

في الواقع، كان اسمها مكتوبًا أسفل الشاشة. قولي لي، ليست شديدة الجمال فعلًا. إنها تبدو عجوزًا.

ابتسمت جولييت بصورة بائسة، أنتِ لطيفة.

أقسم لكِ، لديها من التجاعيد أكثر منكِ.

من ناحيتها، كانت فلورنس هي الأخرى مهمومة. فخلال حفلة لدى أصدقاء، كانا قد وقعا بالصدفة على إحدى مريضات بول. كان بول وقد انزعج قد تلافاها طوال السهرة لكنه لم يتبه فلو مبكرًا كي تتلافى الدخول في محادثة معها. ومنذ ذلك الوقت، تقوم هذه المرأة بتحقيق حقيقي حول فلو عند أصدقائهما المشتركين. كانت قد لمحتها أمام مدرسة الأطفال، وتشك في أنها تلاحقها.

سألت جولييت، ما هو مرضها الخاص بها؟

هزت فلورنس كتفيها.

قالت، عصاب عادي. إنها في حالة نقل مشاعر كاملة، فهي تكرهني، هذا كل شيء.

ابتسمت لجولييت.

أترين، أنت محظوظة. وضعي أسوأ من وضعك. بول لا يملك أي خيار، وهو لا يستطيع وقف علاجها النفسي. وهي تقبض عليه.

أحيطت القصة جولييت أكثر. كانت ملاحظة محزنة. نسير نحو عالم

كانت فيه علاقات العلاج أكثر صلابة، أكثر ديمومة، أكثر جوهرية ربما من العلاقات الغرامية.

في اليوم نفسه الذي نشرت فيه نتائج القبول في المدرسة القومية للإدارة، اطلعت على موقع الأنترنيت وأحست بمشاعر مختلطة وهي تلاحظ أن فيكتوار قد أفرطت في تقييم نفسها مرة أخرى. فبوصفها موظفة، وبفضل استفادتها من إلغاء شرط العمر لكونها أمًا عزباء، فقد كانت تتقدم للمسابقة الداخلية المفترضة أكثر سهولة. ومع ذلك فلم تُقبل. سوف تستمر إذن حسب كل الاحتمالات، في العيش بباريس. وعادت جولييت من جديد تأمل بقوة فعلًا حاسمًا، يمكن أن يعني بوضوح القطيعة مع أوليفييه، يسمح لها، هي جولييت، أن تطوي الصفحة أخيرًا.

لم تكن تشك أبدًا في الوقت الحاضر في عزم أوليفييه ولا في صراحته نحوها. كانت علاقتهما، منذ بداية الصيف، قد تغيرت. كان بينهما عذوبة جديدة، شيء ما يشبه الصداقة. لكنهما يختلفان مع ذلك في رأيهما حول أسباب هذا التغير. يقول أوليفييه، لقد مارسنا الحب. تقول جولييت، لقد تحدثنا. ذات مساء، يتشاجران كما في الماضي، لأمر تافه، حماقة، ثم هدأ ذلك وفي الغداة أرسل لها أوليفييه رسالة اعتذار إلكترونية تنتهي بهذه الكلمات: أحبك.

شيئًا فشيئًا طفقت جولييت بالتحسن. بدأت في التفكير بأن زواجهما يمكن أن يستمر، ضمن هذا الخلل الجديد.

ذات مساء، ذهبا إلى السينما. فكرت جولييت من جديد باليوم الذي علمت فيه بوجود فيكتوار وقالت لأوليفييه:

من حسن الحظ أن النوبة انتابتها خلال المساء الذي كان علينا فيه الذهاب إلى السينما. وإلا لكنتما ذهبتما معًا إلى روما وأنا الآن على ثقة أنني ما كنت لأستطيع غفران ذلك لك أبدًا، وأن كل شيء كان سينتهي بيننا.

أجاب، ربما لم يكن في الأساس واردًا أن أذهب معها إلى روما. ربما لم تكن صدفة أنني قصصت عليك كل شيء ذلك اليوم.

أضافت: نهاية نيسان/أبريل، أريد أن نذهب إلى روما، أن تحجز غرفة في فارنيز للاحتفال بمرور ثلاثة عشر سنة على لقائنا.

أو نهاية أيار/مايو من أجل مرور عشر سنوات على لقائنا الثاني.

قالت، لا، عشر سنوات على لقائنا الجديد، سيكون بباريس. سأهتم بذلك.

قال أوليفييه، فرنسا غالية.

نظرت إليه.

أضاف بسرعة شديدة، ولكن موافق. ليلة واحدة. بعد ذلك نذهب إلى بيت ماريا.

أجابته جولييت وهي تبتسم، موافقة.

كانت ماريا قد أنهت علاجها الكيميائي، كانت الأخبار جيدة وكانت تحتفظ برباطة جأشها. كانت جولييت تعجب بشجاعتها وتشعر نحوها خلال هذه الأيام الأخيرة، بدفعة عجيبة من المحبة.

ذلك المساء، حين عادا إلى بيتهما، نامت بين ذراعي أوليفييه. هل تحبني؟

قال، بالتأكيد، أنت حبي، ألا تعرفين ذلك أنك حبي؟

وبالتالي لا زلنا متفقين على أن تطلب السنة القادمة الزواج مني.

وأنت تقبلين أو لا تقبلين.

وأنا أقبل أو لا أقبل.

ابتسم كلٌ منهما للآخر.

قالت، لقد خدمتك مع ذلك خدمة كبيرة حين لم أدفع بك خارج البيت. كنت ستجد نفسك معها، ولا أراهن شيئا على قصتكما. خلال ستة أشهر تقول لك إذا كان الأمر على هذا النحو عد إلى زوجتك، تضربها على وجهها، وتكون فيلتيوس.

حدق في السقف، وفكر بصوت عال:

إذا اتصلت الآن، أعرف ماذا سأقول لها. سأقول لها إنني أحب زوجتي. لن تصدقني ولكن حسنا.

ظننت أنك سبق أن قلت لها هذا. من قبل.

قلت لها هذا. لكن لا بأس في قوله من جديد.

واستعجل في أن يضيف:

على كل حال، لن تتيح لي ولا شك فرصة أن أقول ذلك.

التزما الصمت لحظة، ثم استأنفت جولييت:

إن أعطتك الفرصة لقول ذلك. إن استطعت أن تقول لها بدلًا من أحب زوجتي أحب جولييت. سيكون ذلك أفضل. الشخص، لا الوظيفة، أترى ذلك. أفضّل ذلك. إن استطعت.

سألت، حين تعيد التفكير بكل ذلك، كيف تراه، أنت؟

فكر.

بصورة رئيسية أنا سعيد أن الأمر انتهى، أظن. مرتاح. من ناحية أخرى، لا يمكنني حقًا الأسف على أن ذلك قد حدث كنت بحاجة إلى ذلك كي أعرف أين كنا اثنانا. وفيما عدا ذلك، تبقى لي في الجوهر ذكرى محنة

اجتزناها معًا. قبل ذلك، ما جرى معها، لاشيء.

رسالتها. هل لا تزال لديك؟

نعم، لا بد أنها في مكان ما.

أريد أن تدمرها. لا أريد أن تنساها وأن تقع عليها يوما ما إيما أو يقع عليها يوهان.

سوف يذهب للبحث عنها، يدعكها دون أن يلقي عليها نظرة، ويلقي بها في سلة المهملات.

تفكر أنها كانت تود لو أحرقها.

لكنها صباح الغداة غيرت رأيها، وبحثت في سلة المهملات بعد ذهابه.

لم تعثر عليها، جنت. هل من الممكن أن يكون قد استعادها، من جديد؟

لا. أوف، إنها هنا. بسطتها بعناية، ووضعتها في قعر محفظتها.

قال جان كريستوف: الاحتفاظ بكل الكتابات.

من يدري.

كانت ألكسندرا وهرفيه واقفين أمام مكتب تيبري، وقد دخلا في حديث صاخب مع رئيس التحرير. توقفا عن الحديث حين رأيا أوليفييه داخلا، عائدا من موعد. عادت ألكسندرا بلا مبالاة إلى الجلوس وراء مكتبها في حين توجه هرفيه، مرتبكا، نحو آلة القهوة. تبعه أوليفييه.

ماذا يجري؟

لاشيء أبدا. لماذا؟

كنتم تتحدثون عن ماذا؟

تنهد.

لاشيء ذا أهمية. كان ذلك يتعلق فقط برفيقتك. لا يريد تيبري أن يشركك في ذلك.

كان أستاذ الكلية في الضواحي التي كان يفترض أن تعلم فيها فيكتوار قد أرسل رسالة مفتوحة لهيئات تحرير عدة صحف، يعبر فيها عن دهشته أن زميلتهم التي تقضي إجازة مرضية منذ أكثر من عام قادرة على أن تكون عضوة في مجلس بلدي، وأن ترأس جمعية، وأن تعمل للدعاية لشخصها في البرامج التلفزيونية.

ولكن لا تقلق، لا يريد تيبري نشر الرسالة، ولا كذلك ألكسندرا. تقول إن المشكلات الصحية تتعلق بالمجال الخاص، وأن هذه دعوى مفرقة.

قال أوليفييه، لا يهمني. إفعلوا ما تريدون. إنها ليست رفيقتي.

نظر برأفة إلى هرفيه يبتلع علبة من المادلين وهو يشرب الكابوتشينو. صار المسكين شرها. فزوجته السابقة كانت قد طلبت الحضانة الكاملة للأطفال ووقف حق الزيارة، بدافع أنه يشاهد الأفلام البورنوغرافية وأن ابنتها حين أرادت ذات يوم وضع تسجيل لفيلم بابار وقعت صدفة على مشهد جماع. إلى هذا الحد من الممكن فهم أم الطفلة، حتى وإن كان العقاب في نظر أوليفييه مبالغا فيه، مادام الأمر يتعلق بواقعة فريدة لم تتكرر وأنه علم أن هرفيه المروّع كان قد أقسم أن ذلك أبدا، لا يمكن أبدا أن يحدث ثانية. لكن زوجته السابقة كانت قد تورطت في الأذى وزادت على ذلك، متهمة أب أطفالها بكلمات مراوغة أنه مهووس جنسيا بل وفاسق، فقررت القاضية باحتواس الاستجابة إلى طلبها. كان هرفيه قد جن سخطا لكن ألكسندرا كانت تقول إنها لو كانت مكان زوجته السابقة لفعلت الشيء نفسه. كان أوليفييه ينظر بتفور إلى اية الله التسوية الجديدة هذه التي تغالي في استخدام الفساتين مفتوحة الصدر باتساع.

ولاسيما حين تكون على مواعيد هامة مع نواب أو أعضاء مجلس الشيوخ من الذكور. لم تكن تضاجع ولاشك، ولكن ذلك بمعنى ما كان أسوأ، وكانت تتوصل إلى أن تنتزع منهم أسرارًا لم يكن بوسع أي صحفي سواها أن يتوصل إلى الحصول عليها. وكي يكون صادقًا تمام الصدق كان أوليفييه يحسدها. مثلما كان يحسد إلزا التي كان قد نظر إليها مشدوهًا ، حين غيبت في نهاية دورة تدريبية، وهي تدقق في في عقد عملها في أقل تفاصيله، مهتمة بمعرفة ما إذا كانت فترة تدريبها ستحسب ضمن مدة أقدميتها (أقدميتها!)، وكذلك بالنسبة إلى نقاط تقاعدها (نقاط تقاعدها!).

تنهد أوليفييه.

كان هذا الجيل شديد الاختلاف عن جيلهم. إنه من سكان الكواكب الأخرى. منذ أن فهمت أن أوليفييه يعيش علاقة غرامية، كانت ألكسندرا تثير أعصابه وكانت ملامحها في ادعاء الأخلاق تسخطه. في أي وقت كان الإخلاص في الزواج قد صار مجدذا فضيلة أساسية؟ عبثًا بحث في ذاكرته، لم يكن يتذكر أن جولييت وهو قد أقسما أي شيء حول هذا الموضوع. ولكن من الصحيح أنه لا هي ولا هو قد قرآ ما سيلتزمان به بزواجهما من الواضح أنهما لم يحررا عقدًا. يتذكر حياته ضمن جماعة في بداية سنوات ٨٠، كان يتقاسم شقة مع خمسة أصدقاء، لم يكن أي شخص يختص بغرفة خاصة به وكان الأزواج يجتمعون أو يتفرقون حسب صدف الرغبات. منذ متى تؤرخ عودة الأخلاق؟ وفكر، في تلك الحقبة كان الجوهري هو الحرية، والحقيقة أيضًا. أما الكذب فكان، نعم، بورجوازيًا.

صحيح، كان قد كذب على جولييت.

أن تحقد عليه، هذا شيء. ولكن بأي حق تحكم عليه ألكسندرا، بماذا يعنيها ذلك وما الذي يمكن لهذا أن يزعجها.

ثم إنّ ما أخذته عليه جولييت في البداية لم يكن كذبه عليها بل على العكس، بقوله الحقيقة لها، بعدم حمايته لها. ما الذي كان عليه أن يفعل إذن؟ حين قال مؤخرًا لجولييت إنه كان قد رأى ف بشعة قليلًا، نظرت إليه كما لو كان وحشًا، كانت مع ذلك هي الحقيقة، لو قال إنه يجدها جميلة، لكان الأمر أسوأ. كان أساس المشكلة استحالة إرضاء النساء. حين نقل اتصالات فيكتوار على جوال جولييت، صحيح أن ذلك كان جبنًا بعض الشيء، ولكن ذلك كان خصوصًا، في نظره، برهانًا على حبه لامرأته. وصفته فيكتوار بالنازي. كيف كان الآخرون يفعلون، كل هؤلاء الرجال من حوله الذين كانت لهم علاقات خفيفة، بلا عواقب. هل كان خطؤه هو، أم خطؤهن هن؟ لم يعد يعرف شيئًا عن ذلك، يعرف فقط أنه يجب على

فيكتوار في الوقت الحالي أن تختفي من حياتهما، لم يعد يريد رؤيتها، لقد كانت حقًا تثير الرعب لديه.

مازال على الدوام لا يشعر بالذنب، حقيقة لا، بل بالأسف. وبالقلق، خصوصًا.

صارت ف شرسة أكثر فأكثر، كانت قد أعادت له عدة رسائل هاتفية مثل دائن غاضب، وعما قريب سوف تكون رسائل مسجلة مع إيصال بالاستلام ولم لا مع محضر قضائي كي يذكره بالتزاماته.

هذا الشيء الذي يربط النساء إلى الكلمات. أن يقول أحبك يبدو له رخيصًا جدًا. كان يبدو له أن الحب استمرار مليارات من اللحظات المتجاورة من حب وكراهية ورغبة ورفض ولامبالاة مثل المربعات الحمراء والسوداء على الروليت، مادام الدولاب يدور بأقصى سرعة لا نرى إلا لونًا واحدًا وحين يتوقف الدولاب عند اللحظة الفحدّدة نواجه خطرًا ما،

خطر ألا نقع على المربع الصحيح،

خطر أن نفقد الرهان.

مع فيكتوار كان لديه إحساس غامض بأن الكلمات التي كان يقولها تكتفي بذاتها، بأنها كانت تتضمن واقعها الخاص بها، ولم يكن ثمة أيذا مجال في نظره لأن يفيض هذا الواقع ويغزو حياته، لماذا كانت ترفض أن تفهم ذلك؟ مع جولييت كان الأمر على العكس، كان قد اعتقد أن حبًا بلا كلمات كان ممكنًا. لماذا الكلمات بما أن الحب مع جولييت كان في كل مكان في أثاث الصالون في القمصان التي يلبسها في حلوى الأطفال، في الأطفال خصوصًا الأطفال بالطبع كان مدوخًا مثلما كانت الكلمات مجسدة فيهم أو بالأحرى بالنظر إلى ذلك غياب الكلمات، على كل حال أمام وجود الأطفال كل الكلمات تصير زهيدة. بالطبع، لم يكن الأطفال يبررون كل شيء لكن الحياة بالقرب من جولييت كانت عذبة وصارت كما لو أنها جزء منه أو أنه جزء منها أو بالأحرى كانا قد صارا جزءين من الجسد نفسه.

لو كان فقط يستطيع الرجوع عدة أشهر إلى الوراء.

كان قد انطلق في هذه المغامرة مع فيكتوار مقتنعًا أنه يمكن أن يتكلم عنها يومًا ما لامرأته، وأنها يمكن أن تغفر له. كيف تعايش هذا اليقين مع ما لديه من انطباع غالبًا بأن جولييت لم تعد تحبه، هذا ما لا يعرف عنه شيئًا. لكنه ذات مساء عاد فيه إلى بيتهما، بُعيد اعترافه لها بعلاقته، كانت جولييت قد نظرت إليه مطولًا دون أن تقول شيئًا وكان قد قرأ في هذه النظرة شيئين: الأول أن جولييت لا تزال تحبه. والثاني، أن بوسعها أن

تكف عن حبه، إن استمر في خيانتها.

وعند هذه الفكرة، شعر، حرفيًا، أنه يموت.

كان قد قال لها عندك الموت في عينيك ولم تكن جولييت قد فهمت، كانت قد ظنت أنه يتحدث عن موتها هي وحينئذ استدرك، كان قد قال الموت هو شيء ميلودرامي بعض الشيء، إنه الضيق، بالأحرى، كانت قد ترددت ثم أجابت نعم، أفترض، حين أعتقد أنك لم تعد تحبني أو أن لدي الانطباع بأنني لم أعد أحبك. لكنه في الحقيقة كان يتكلم عن موته هو، عن الاستحالة الكلية والمطلقة التي كان يشعر فيها العيش بدونها، ومنذ ذلك اليوم كان قراره قد اتخذ، ولم يكن الباقي سوى محاولة مؤلمة، ومدمرة ليخرج من هذه القصة وهو يسبب أقل قدر ممكن من الأذى إلى فيكتوار. الآن شيء واحد يستحوذ عليه: ألا يفقد جولييت ألا يفقد جولييت. من دونها من دون طفليهما من دون الأسرة التي أنشآها لنفسيهما لن يكون شيئًا وسيغرق في العدم.

في البداية في مواجهة نوبات ف وابتزازاتها كان قد فكر إلى أي مدى تتألم كي تفعل ذلك وكان قد خاف عليها، وأشفق عليها، بل إنه كان قد قال ذلك لجولييت التي حقدت عليه بسبب ذلك. ثم كان قد غير شيئًا فشيئًا رأيه في شعوره، لم يكن قادرًا على أن يقول لماذا ولا كيف لكنه في الوقت الحاضر حين يراها على شاشة التلفزيون، حين يرى أيضًا ما كانت هذه القصة قد فعلته لجولييت والحالة التي كانت قد وضعتها فيها لم يعد يشعر إلا بالنفور إزاء ف بل وحتى بتفحات الكراهية تستطيع جولييت أن تهدأ لم يعد يريد لقاءها من الأفضل أن لا من الأفضل لها أن تفهم أن تبقى على مسافة أن تتوارى مرة وإلى الأبد أن تخرج من حياتهما وإلا فأنه لن يكون مسؤولًا عن أي شيء.

حين عاد، لاحقًا بهرفيه نحو مكتبه، كان هاتفه يرن. رفع هرفيه سماعة الهاتف أثناء مروره وقدمها له.

قال هرفيه، إنها الوالدة.

هكذا تسمى الزوجات على الدوام في الدائرة السياسية.

أخذ أوليفييه الجهاز. كانت جولييت تريد تذكيره أنهما سيتعشيا في بيت فلورنس وبول. لم تكن تعمل هذا اليوم وستذهب إلى بيتهما مع الطفلين، بعد خروجهما من المدرسة مباشرة. كانت تريد أن تعرف في أي ساعة سينتهي ويستطيع الانضمام إليهم. كان أوليفييه قد نسي كليًا هذا العشاء. نظر في ساعته، وانتبه لتقصيره. الساعة السادسة عشرة ولم يكن قد بدأ كتابة مقاله الذي تنتظره دائرة النشر هذا المساء. من حسن الحظ

أن المقال المقصود مقال قصير جدًا أقل من ورقة. طمأن جولييت، ووعدها أنه سيكون معهم عند الساعة العشرين كحدٍ أقصى وطفق يعمل بلا انقطاع.

عند الساعة ١٩، فتح نظام النشر المعلوماتي في المجلة، وقام بوضع نصه في النافذة المخصصة لهذا الغرض وتنهد مرتاحًا. أطفأ حاسوبه، ورتب أغراضه، وحيا زملاءه، ونزل السلالم أربع درجات على التتالي واتجه نحو مدخل المترو.

عند الساعة ٢٠ و١٩، وصل شارع جوريس. قرر المرور بالبيت كي يأخذ دشًا سريعًا قبل الذهاب إلى بيت فلورنس وبول. تحت الماء الدافئ، كان يصوبن نفسه وهو يصفر. خرج من الحمام بالمنزر حين رن جرس الباب. ظن أن جولييت كانت قد نسيت شيئًا ما ولم تأخذ مفتاحها، ففتح الباب بلا حذر.

كانت فيكتوار. كانت تقف على العتبة مرتعشة، بوجه متشنج، كما هو في أحلك ساعات النوبات خلال حكايتهما القصيرة. قبل أن يستوعب أوليفييه ما جرى، كانت قد دخلت الشقة وطفقت تصرخ. كان أحدهم ينزل السلم. أغلق أوليفييه الباب وراءها بسرعة كي يخنق صراخها، وألقت بنفسها بين ذراعيه باكية. دفعها، مرتعدًا، وفي حركته انفتح منزره غير المغلق جيدًا. أعاد عقد حزامه على عجل، وحاول تهدئتها برعونة، مع الانطباع بأنه يعيش حلمًا رديئًا يتكرر باستمرار، متسائلًا كيف أمكن ذلك، كيف عرفت فيكتوار أنه سيكون وحده في بيته، وما إذا كانت قد لاحقته. لكنها ولاشك صدفة وكان بوسعها أيضًا أن تأتي في الوقت الذي تتواجد خلاله جولييت والطفلان. كانت في الحالة التي تتواجد فيها قادرة على كل شيء. كان يمسك بها من ذراعيها، محاولًا إبقاءها على مسافة منه، مانعًا إياها من الالتصاق به، متلعثمًا لا أفهم ما الذي حلّ بك، قلنا إن كل شيء انتهى كنت أظن أن هذه المرة كانت الأمور واضحة وأنك فهمت أننا لن نبدأ من جديد. وكانت تقول له مجيبة إياه أن ذلك كان مستحيلًا وأن حياتها بدونه لا معنى لها وأنها تغفر له كل شيء إن هجر امرأته الآن كي يأتي ويعيش معها وأنه لا يزال الوقت متاحًا.

فكر أوليفييه، إنها مقفلة كليًا.

مقفلة، كانت هي الكلمة.

لابدّ من شطبها، محوها من حياته.

عند هذه اللحظة بدأ جوال أوليفييه بالرنين رنة جولييت. ثم الهاتف الأرضي في البيت. ثم الجوال من جديد. كان متأخرًا، وكانت جولييت

تسأل عن أخباره. حاول استخدام سلطته، فرفع صوته. يكفي الآن، ستضعي حدًا لمسرحيتك، علي الذهاب على كل حال، فالناس بانتظاري. منحه التفكير بجولييت الشجاعة، وتذكر ما كان قد وعدها به، فتابع القول لا أحبك أتفهمين أتفهمين نعم أم لا إنها جولييت من أحب، جولييت، زوجتي، أنت وأنا انتهت قصتنا. ابتعدت فيكتوار عنه فجأة ونظرت إليه بحقد. كررت باحتقار، زوجتك. أهي التي تتصل بك، الآن؟ أهي المرأة الصالحة التي تصفر لك؟ إذهب إذن، أركض، أيها الكلب الخنوع، أركض، ماذا تنتظر؟ يا إلهي كم كان يكرهها، كان ينظر إلى وجهها المشوه بفعل الغضب، يحسبها المرء ضبعة، كيف كان يسعه تقبيلها، كان قلب أوليفييه يخفق حتى يكاد يتوقف، ويتردد صدى خفقانه في رأسه، كانت غيوم حمراء تمر أمام عينيه. ضم قبضتيه. كانت تتابع. لقد سخرت مني، آمل أن يكون ذلك قد ارتد خيزا عليك، تستطيع الآن التباهي أمام زملائك هذا يثير الرثاء، الرثاء أن تروي في كل مكان أنك ضاجعتني يا مسكين لو تعلم كم أتقيأ حياتك الحقيرة الخرائية أسرتك الخرائية. في المدخل، كان ثمة صورة مؤطرة موضوعة على منضدة لجولييت وله مع طفليهما. وهي تلفظ هذه الكلمات كانت فيكتوار تستحوذ عليها وتقذف بها بكل قواها على الأرض. تحطم زجاج الإطار. كان أوليفييه يبذل جهودًا فوق طاقة البشر كي يسيطر على نفسه، لم يسبق له في حياته أبدًا أن ضرب امرأة، ولن يبدأ اليوم بفعل ذلك، ولكن كيف التخلص منها. لم يعد الهاتف يرن. ربما كانت جولييت وهي تتساءل عما يجري في طريقها إلى البيت. ولمجرد فكرة أن تتمكن من التواجد في مواجهة فيكتوار، جعل الرعب يستحوذ عليه. فجأة، فتح باب المدخل وانتهز فرصة المفاجأة فأمسك بفيكتوار من ذراعها ودفع بها إلى السلم بكل قواه وأغلق الباب وراءها، ثم التصق مرتعدًا بنافذة الباب واستمع.

لم تعد فيكتوار تصرخ.

دام الصمت ثوانٍ عدة.

ثم سمع أوليفييه صوتًا أصم، صوت سقوط على السلم.

على الرغم من أن ألكسندرا لم تعد توجه له الكلام، استمر أوليفييه بالقدوم إلى المجلة. لم يكن لديه الخيار حقًا لكنه حتى لو كان يملكه لفعل كل شيء كي يحاول الاستمرار في حياته الطبيعية، كي يتصرف كما لو أن هذا الحدث المرعب لم يكن له وجود. حضرت الشرطة إلى بيتهم في الصباح الباكر، وصحبوه تحت أنظار طفليه المذهولين والحمد لله أنه أفلت من القيد بفارق بسيط ، وجولييت المرعوبة. قطع المسافة بين شرطيين من بيتهم حتى الدائرة الثالثة عشر، في سيارة عادية والانطباع المفاجئ بكونه ممثلًا في فيلم، في فيلم رديء من سلسلة الأفلام الشعبية. الحبس المؤقت.

لم يكن قد فهم على الفور ما كان يجري. لم يكن قد أراد أن يقبل كون فيكتوار هي من ألقت بنفسها إراديًا على السلم، كان قد قال لنفسه إنها في الحالة التي كانت تتواجد فيها مع كعبي حذائها العاليين، لابد وأن درجة فاتتها، وانحدرت على عدد منها على مؤخرتها. كان قد تردد في الذهاب إلى النافذة المطلة على الشارع لرؤية إن كانت بحاجة للمساعدة، آملًا رؤيتها تخرج من العمارة. أما وأنه لم يرها بعد عدة دقائق، قرر وهو يرتعد خوفًا بينما لا يزال في منزره، أن ينزل السلم. لم تكن كذلك تتواجد فيه. تنفس الصعداء. لا بد أنها ولا شك قد خرجت قبل أن يذهب إلى النافذة، وفي هذه الحالة فقد كان خروجها شديد السرعة، لأنها لم تكن قد تألمت بشدة.

كان قد صعد إلى بيته وجمع شظايا زجاج إطار الصورة المكسور، وارتدى ملابسه، ولحق بجولييت في بيت فلورنس وبول وحكى لها كل شيء.

خلال الأسبوعين التاليين، لم يتلق أي خبر عن فيكتوار، لكنه كان يراقب ظهور اسمها في الصحف حين قال له هرفيه أنه لمحها خلال اجتماع للمكتب السياسي للحزب الاشتراكي فشعر بالاطمئنان. إلى يوم اعتقاله المؤقت حين علم أنها حين خرجت من بيته ذلك اليوم كانت فيكتوار قد ذهبت إلى طبيب كي تجعله يكتب تقريرًا يصف فيه الكدمات قبل أن تقدم شكوى ضده بسبب العنف لدى وكيل النيابة الذي كانت لحسن الحظ تعرفه شخصيًا. فكر أوليفييه وهو يشعر بالمرارة أن عليه ولاشك أن يعتبر نفسه سعيدًا لأنها لم تنتهز الفرصة فتتهمه باعتداء جنسي. يكفي أن يكون أحدهم قد لمحه في منزره يهبط السلم بسرعة وراءها كي تعتبر الشكوى

ثابتة.

تلقت جولييت هي الأخرى الضربة. لكن ما إن مرت الصدمة الأولى، حتى استثارت الشكوى التي أودعتها فيكتوار مرفقة بشهادة صحية بصورة غريبة لديها ارتياحًا شديدًا. لو كانت ف حبلى لأكثر من ثلاثة أشهر الآن فمما لاشك فيه أن هذه الواقعة ستضاف إلى الملف بوصفها ظرفًا مشددًا. كان شبح الأبوة المفروضة على أوليفييه، الذي كانت جولييت طوال هذه الأسابيع قد حافظت عليه على مسافة دون أن تتمكن أبدًا من نسيانه نسيانًا كليًا، يبتعد أخيرًا بصورة نهائية.

كانت منذ اليوم التالي للاعتقال قد اتصلت بفرقة التحقيق حول الاعتداءات على الأشخاص، كي تطلب الإدلاء بإفادتها. كانت المفتشة المكلفة بالملف قد أجابتها بصورة ودية قائلة إن اتصالها جاء في وقته، وإنها كانت تنوي على كل حال استدعاءها. لم يرَ أوليفييه أن من الضرورة أن يسمي محاميًا، واثقًا من أن نيته الصادقة تكفي لإقناع الشرطة. قبل الوصول إلى الوقائع الدقيقة التي أخذت عليه والتي كان قد نفاها بالطبع، كان قد روى حكاية مفصلة لما جرى خلال هذه الأشهر الأخيرة وحاول أن يشرح المشكلات النفسية التي كانت تعاني فيكتوار منها. من سوء الحظ، كان قد محا كل نصوص الرسائل الهاتفية وكذلك الرسائل الإلكترونية، ولم يكن لديه أي برهان مادي على ما كان يؤكده. ومن ناحية أخرى، كان واعيًا تمامًا بأن كون الشاكية منتخبة، لها علاقاتها مع شخصيات هامة في العالم السياسي وتبدو متمتعة بكل صحتها العقلية، لم تكن عناصر تترافع لصالحه. كان قد أعلمهم آنئذ أنها كانت في إجازة مرضية منذ أكثر من سنة، وهو أمر كان من السهل التحقق منه. كانت مخاطبته قد رفعت حواجبها وقد بدت عليها الدهشة كان على يقين أن فيكتوار خلال إفادتها قبل عدة أيام قد نسيت الإشارة إلى هذا التفصيل. كان أوليفييه قد أعطى الشرطة اسم الطبيب النفسي وكذلك رقم هاتف تريستان، وبينما كان يحدد بأن المذكور صديق مقرب من فيكتوار، أكد لهم أن بوسعه إثبات أقواله. وبصورة إجمالية، وعلى الرغم من صدمته العميقة، خرج أوليفييه مطمئنًا بالأحرى وحزًا من اعتقاله المؤقت الذي دام عدة ساعات.

كانت جولييت وهي تخرج من مكتب فرقة التحقيق حول الاعتداءات قبل عدة أيام هي الأخرى مطمئنة. كانت المفتشة قد صرحت لها أنها على وشك إنهاء التحقيق فبعد سماع إفادة جولييت، كانت تعتبر أن الملف قد تم وستحيله إلى النائب العام.

وقد أسرّت إليها بلهجة ودودة، أن كل ما قصته عليها جولييت كان

منسجقا مع ما توصلت إليه من استنتاجات، ودون أن تتمكن من استباق قرار النائب العام، فقد أوحت لجولييت بأن القضية حسب كل الاحتمالات سوف تطوى بلا متابعة لاسيما وأنه لم تكن لأوليفييه أية سوابق وأن الأورام الدموية التي كانت تشكو منها فيكتوار لم يكن لها أي طابع خطر حقيقي. وإذ اطمأنت جولييت قليلًا، فقدعبرت آنئذ عن دهشتها من السرعة والقسوة التي تم بها إعلام أوليفييه باعتقاله. وعبرت المفتشة بإشارة قدرية كانت تعني بها بوضوح أنه لو كانت الشاكية مواطنة عادية لما جرت الأمور على هذا النحو ولكن بما أنها منتخبة فقد طلب النائب العام أن تعنى الشرطة بالقضية على نحو خاص وفكرت جولييت، خسارة أن ألا توضع مثل هذه السرعة بالأحرى في خدمة الضحايا الحقيقيات اللواتي كن ينتظرن خلال هذا الوقت في بيوتهن والخوف يتأكل بطونهن من أن يأتي رفيقهن كي يضربهن.

رغم أكاذيبه الماضية، لم تشك جولييت لحظة واحدة بأوليفييه. كان قد أقسم لها أن عدة ثوان مرت بين اللحظة التي دفع خلالها فيكتوار على السلم وصوت سقوطها، وكانت تصدقه حين قال إنه لم يكن مسؤولًا عن سقوطها. كانت واثقة أن المقصود من قبل فيكتوار كان إخراجًا مسرحيًا.

كان ذلك هو المشهد الختامي الذي كانت تتمنى وقوعه.

كان ذلك انتقام فيكتوار.

قبل أن تجعلها توقع إفادتها، حملتها مخاطبتها على أن تردد أنّ أوليفييه لم يرفع يده عليها أبدًا، ونهائيًا، وأنه كان عاجزًا عن ارتكاب أي عنف مادي وخصوصًا نحو امرأة وشعرت جولييت يتمدد عليها ظلّ كريستينا رادي مع اختلاف طفيف كما رأت، بأن مأساة فيلنيوس كانت تنطوي شئنا أم أبينا على بعد تراجيدي، على الرغم من أن قصتهما تشبه بالأحرى تصفية حساب يرتى له بين وجهاء مدينة صغيرة. عند الدقيقة الأخيرة تذكرت جولييت رسالة فيكتوار التي استعادتها في اللحظة الأخيرة من سلة المهملات وحملتها إلى فرقة التحقيق حول الاعتداءات على الأشخاص لدعم أقوالها. قرأتها المفتشة باهتمام وصورتها كي تضم الصورة إلى الملف. كان واضحًا من قراءتها أن أوليفييه هو الأكثر رعبًا من الإثنين. لاشك أن ذلك لا يستقيم جيدًا مع رواية الوقائع التي أدلت بها فيكتوار إلى المحققين التي لم يكن أوليفييه على علم بها في تفاصيلها لأن جولييت كانت تشعر بأن هذه الرسالة قد انتهت إلى تغيير قناعة المفتشة لصالحهما.

انتهت جلسة الاستماع ووقعت جولييت إفادتها لكن المحققة لم تكن تبدو مستعجلة لاختتام القضية. نظرت إلى جولييت بفضول.

سألت فجأة، لماذا لم تقدمي شكوى ضد الإزعاج؟

تفاجأت جولييت.

أنا؟

حسب روايتك، هذه الإنسانة أزعجتك عبر الهاتف، ولاحقتك حتى بيتك... ثمة قوانين ضد ذلك.

لم تعرف جولييت بماذا تجيب. لم تكن الشكاوي ديدنها، هذا كل شيء. فكرت من جديد باليوم الذي كانت قد قالت لأوليفييه: أحذرك، المرة القادمة التي تضع فيها قدميها هنا سأطلب الشرطة، بنظرة مفعمة بالكراهية التي وجهتها نحوه.

تلعثمت.

لم يكن سهلًا ذلك، فزوجي كان عاشقًا لها...

هزت المفتشة رأسها، غير مقتنعة، وتأملت في جولييت مرة أخرى خلال لحظة، وقد بدت عليها الحيرة.

لابد أنك تحبينه كثيرًا. قليل من النساء يمكن أن يتحملن ذلك.

تشنج وجه جولييت.

لم تلح المفتشة، نهضت ومدت لها يدها بحرارة، وتمنت لها النجاح. وأعلمتها أن قرار النائب العام لن يُعرف قبل عدة أشهر، لكن ليس عليها أن تقلق.

خرجت جولييت إلى شارع شاتو دي رانتييه مضطربة. انتابها هذا الشعور عدة مرات طوال الأشهر التي انقضت أخيرًا لكنه لم يكن أبدًا بمثل هذه القوة. لم يفهم أحد رد فعلها على خيانة أوليفييه، وعلى أكاذيبه، وعلى اعتداءات ف. لم يكن سلوكها مفهومًا. كانت تشعر بنفسها ذليلة بفعل تعاطف المفتشة. شعرت بدموعها تملأ عينيها والثورة تجتاحها في الوقت نفسه. ومرة أخرى فكرت باغتصابها. فكرت، مثلما يملك الناس فكرة شديدة الدقة عن الطريقة التي تتصرف بموجبها امرأة مغتصبة، فهم يملكون أيضًا فكرة شديدة الدقة عن الطريقة التي يجب على المرأة المخدوعة أن تتصرف بموجبها، ما تستطيع أو لا تستطيع أن تتحمله، ما يجب عليها أو لا يجب عليها قبوله، والإجماع كان، باسم كرامة النساء، باسم استقامتهن، على أن عليها واجب الظهور عنيدة، على أن يُطلَب إليها تفضيل عزلة مجيدة على حب ناقص، كان ثمة إجماع شديد القوة حتى يولاند قالته لها أنه ليس عليها قبول كل شيء مع الرجال، حسنًا وبئس ما يقوله الآخرون عن ذلك، انحنت جولييت لكنها لم تقطع، كانت القصبة، ولن تكون مقطوعة، كانت تتمسك بذلك كان ذلك حقها في حبها الناقص، في

حبها الزوجي، في حبها الخرافي كما تقول ف، حتى لو كانت تعرف تمامًا أنه على سلم ضروب الحب يقع في أدنى درجة كليًا، في أدنى درجة كليًا، على مستوى الأرض، بائسًا كما كان وضيعًا وليس كهيام ف الذي كان من ناحيته عظيمًا، متفوقًا بما لا يقاس في كل مجال، الذي كان يقع في أعلى القمم، على رفّ إشعاع الأهواء السامية وعظام الوجه المحطمة والوشايات الكاذبة.

قبل يومين، رأت على التلفزيون برنامجًا حول تيمة العنف الزوجي كانت تشارك فيه ف ولم تطفئه هذه المرة، رغم الاشمئزاز العسير على الفهم الذي كان يغمرها حين ترى ف وقد نصبت نفسها ناطقة باسم النساء المهانات حقًا. فكرت جولييت أن الضحايا المزيفات هن أسوأ أعداء الضحايا الحقيقيات. وبالنسبة إلى شخص كان يفترض أنه كان قد ضرب بشدة قبل أسبوعين، كانت ف تبدو في صحة ممتازة وكانت جولييت تشعر بالافتتان نفسه الذي شعرت به عند تعيين بيسينياك في الإدارة التجارية. كان صعود أناس مثله، مثل ف، يبدو لا يقاوم. ولاشك أبدًا أنّ مستقبلًا عظيمًا ينتظرها.

على أن جولييت لم تكن من ناحيتها على ثقة من أنها ستقترع في الانتخابات المقبلة.

كان لها قبل عدة أيام محادثة طويلة مع بول. وعن سؤال معرفة أي مرض في رأيه تعاني منه ف، وكيف كان من الممكن أن تنجح على الرغم من تجاوزاتها في إدارة مسارها على هذا النحو، كان بول قد هز كتفيه. إذ لم يجازف وهو الذي لم يعرف ف بأي تشخيص، لكن العصاب، بل وحتى الرهاب كما أكد، لم يكونا نادرين في الطبقة السياسية كان قد قال، يتم إقناع الكثيرين بالهيمنة كان الجملة قد أدهشت جولييت. كان قد ذكر الهستيريا، ذات العلاقة مع عقدة أوديب وجعل الأب مثلًا أعلى، غياب الإحباط الفبنين الذي يتحول إلى شعور وهمي بقوة مفرطة، إلى شعور بأن الآخرين في مواجهة المرء ليسوا أبدًا على المستوى. وفي النهاية كان قد تكلم عن جعل الألم إيروتيكيًا.

كان قد أضاف، الانغلاق ضمن رؤية جانب الضحية في الحب، يعني رفض رؤية الطبيعة الصراعية ضمنًا في الزوجين.

وهنا صمت، وابتسامة خفيفة على شفتيه، والعينان براقتان وراء نظارتين مستديرتين. كانت جولييت تنظر إليه، متسائلة إلى أين يريد الوصول. أمسك حينئذ بقلم ورسم على الخوان نسقًا من الأسهم الدائرية.

استأنف، الزوجان يعملان في أغلب الأحيان وفق نموذج ضرورة

مزدوجة متبادلة. إنه مبدأ الأبواب الدائرية. كل واحد يبدو ذاهبًا في اتجاه مختلف، لكن الواقع أن الحركتين تؤديان إلى الأثر نفسه.

سألت جولييت، هذا يعني؟

أن كل واحد من الشريكين يسأل الآخر شيئًا ما لا يتوصل في أعماقه إلى الاعتقاد بإمكانه. مثال ذلك، امرأة تألمت من الهجر سوف تطلب إلى عشيقها «أحبني»، لكنها بطريقة لاواعية، وبما أنها تخاف من أن يكون الحب دومًا متبوعًا بالهجران، سوف تفعل كل شيء كي تدفعه بعيدًا عنها.

تساءلت جولييت إن كان هذا الخطاب يقصدها مباشرة. كانت قد نظرت إلى بول نظرة استجوابية، ابتسم لها دون أن يجيب. الشيء الأول الذي كان قد فعله أوليفييه حين تعارفا كان أن تركها من أجل ماريا. هل كان ذلك هو السبب الذ اقتنعت بفعله بسرعة شديدة أنه كان رجل حياتها؟

وقد رفضت أن تستسلم لتحلل نفسيًا بصورة وحشية، كانت قد أجابت كمهندسة، فحدّدة الدائرة المرسومة على الخوان.

من وجهة نظر ميكانيكية، تحملني مسألتك على التفكير بدولاب دراجة. طالما وجدت الحركة، تبقى متوازنين بفضل الطاقة الحركية. وما إن تتوقف، حتى نسقط.

كان بول قد وافق، نعم، هذا أيضًا.

وقامت جولييت بهجوم مضاد، وأنت، مع فلورنس، ماشي الحال؟

كان بول يبتسم، وقد تسلى.

كانت فلورنس دائمة الانتقاد له. رغم صداقتها معها كانت جولييت تتساءل غالبًا كيف يتحملها. قالت لبول، إنهما كزوجين كانا في نظرها سرًا.

كان قد أجاب دون أن يهتز جفناه، كل الأزواج أسرار إذا ما نظر إليهم من الخارج.

بعد أن تعب من النظرة إليه بوصفه فظًا من قبل ألكسندرا وبعض الآخرين، كان أوليفييه قد طلب ترك الدائرة السياسية. وهو يهتم في الوقت الحالي ببريد القراء وبالمنتديات على الأنترنت. كان بوسعه على هذا النحو أن يشتغل انطلاقًا من بيته، وأن يقضي مزيدًا من الوقت مع طفليه، وأن يتجاهل الشائعة التي جعلت منه ملاكمًا والتي تستمر في الانتشار ضمن الوسط الصحفي الصغير جدًا.

أما جولييت من ناحيتها فقد اقترح عليها على غير انتظار من قبل شاتيل الإدارة التقنية في غالاييتا وانتقلت إلى مكتب في الطابق الخامس، غير بعيد عن بيسبنياك. بالمقابل، كان عليها أن تتخلى عن أربعة أخماس وقتها لكن العمل كان يغير الحماس وكان أوليفييه أكثر حزية من قبل، وهو ما جاء في وقته.

بعد عدة أشهر، وكما كان متوقعًا، طويت شكوى ف بلا ملاحقة وكانا يطبيعة الحال مرتاحين. وهي تعيد التفكير بمحادثتها مع المفتشة، اقترحت جولييت بلا اقتناع على أوليفييه أن يقدم شكوى بدوره ضد ف بسبب التشهير والقذف. كان جواب أوليفييه غير مفاجئ وقاطعًا: لا مجال في نظره «لوضع النقود في الآلة» حسب كلماته تمامًا. مع التخلي عن الملاحقة، كان يقدّر أنه تخلص على نحو ممتاز، حتى ولو كانت كل هذه القضية قد سببت له الأذى بلا خلاف. وكان الشك في نظر أولئك الذين كانوا على علم وكانت ف تعمل على أن يزدادوا عددًا مستمرًا في الحقيقة. كانت ف تفعل أفضل ما بوسعها للمحافظة عليه وتستغل ذلك لتغذية تجارتها عاليًا وبقوة حين تشكو من تراخي العدالة إزاء ضروب العنف التي تمارس على النساء.

فكرت جولييت، بهذه اللعبة، نكسب على الدوام.

رافق فرانك جولييت حتى مدخل عمارتها. كان قد كرر لها عدة مرات وهما يخرجان من المطعم: أنت رائعة. كان ينظر إليها: لديك بعض الشعرات البيض. لقد ضفرت قليلًا. الشعر القصير يناسبك بصورة جيدة.

قال لها أمام منزلها، أود أن أراك ثانية.

أجابت، الأمر سهل. إنه سهل في الوقت الحالي.

خلال الغداء، لم يكونا يتحدثان إلا عن الحاضر والوقت الذي مضى منذ أن التقيا للمرة الأخيرة قبل عشرين سنة، على الأقل.

وها هو فجأة يقول شيئا ما حول الطريقة التي كان يفكر بها، أحيانًا، خلال كل هذه السنوات.

استندت إلى السيارة المركونة وأجابت وقد استدارت عيناها نحو الأرض:

أنا لدي ذكرى (ترددت، ورفعت رأسها ونظرت في عينيه). كم مرة مارسنا الحب معًا، مرة، مرتين، ثلاث مرات؟

ترنح كما لو كانت قد ضربته، واضطرب بعنف إلى درجة أنها اهتزت هي الأخرى أيضًا.

لدي ذكرى... كيف أقول... جسدك... كان قاسيًا.

كانت تريد أن تقول، ولا تزال الذكرى حاضرة عن جسده العاري تحت جسدها، أكان ثالث، رابع عشاقها؟ جسده تحتها، عضلاته، اللسان القاسي في فمها، عضوه.

ضحك قليلًا: قاسي؟ لست واثقًا من أنني أفهم جيدًا.

استمر في النظر إليها، وقد بدا عليه الذهول. كنا في مقتبل الشباب. أنا خاصة. كان لدي اليقين أنك تبحث عن شيء لم أكن أستطيع أن أعطيه.

لو استمر في النظر إليها على هذا النحو، فإنها سوف تبدأ في البكاء.

قال: كنت أشدّ نضجًا مني بكثير. لا بد من القول أنك كنت قد قذفت بنفسك بقدر من القسوة في الحياة.

لم تكن تفهم عن ماذا كان يتكلم، وفكرت فجأة بإجهاضها.

لا أدري إن كنت تعرف ذلك حينئذ، لكني كنت حبلى. وقد أجهضت خلال الامتحانات الشفهية.

اتهمها بعينيه.

بالطبع كنت أعرف. ألا تذكرين ذلك؟ لقد قصصت علي كل شيء، أول ليلة.

ليلتهما الأولى؟ الفجوة السوداء. رمت بنفسها بين ذراعيه، وعانقته.

لاشك أنهما مارسا الحب أكثر من مرتين أو ثلاث مرات. خشيت أن تكون قد جرحته.

كنت عاشقة، مع ذلك، أذكر هذا.

هز كتفيه.

كنا في باكورة الشباب.

حافظ على عينيه مثبتة عليها، وقد بدا أنه لا يزال مذهولًا.

قال اسمها الأول.

أحست بالرغبة تنفجر في بطنها مثل رصاصة أطلقت عن كثب. لم تكن قد أحست بهذا منذ سنوات. هذه الحدة عنف الرغبة هذا. انفصلت عنه، والتقت نظرة يولاند المارة على الرصيف. يا إلهي، لو كان أحد من الحي يراها.

لدى الغداء الثاني تبادلا القبل في سيارته. كان ممتازًا، يقول بالضبط ما يجب قوله: ما الذي يحدث لنا؟ ما الذي يجري؟ انظري إلي، قولي لي، لماذا اتصلت بي؟ تقولين إنك مخلصة منذ عشر سنوات. ما الذي يجري؟

حينئذ قصت عليه القصة، بأوجز ما يمكن.

حين كانت قد انتهت أضافت: لا أريد أن أستخدمك.

قال: لم تتغيري. أنت مزيج لا يصدق.

كنت أراك بهيًا. ولا زلت على الدوام عظيمًا.

فكرت دومًا أنك كنت ذكية إلى أقصى حد. لامعة.

قال: كيف يمكن أن يخون الإنسان امرأة مثلك؟

قال، أحس أنك جاهزة لارتكاب حماقة. لا ترتكبي حماقة. فكري بأطفالك.

قال: هذا غريب، ليس الأمر إطلاقًا كضمّ أحد جديد مجهول بين الذراعين.

قالت: أرغب فيك.

قال، أرغب فيك.

قالت، إنها هذه الرغبة بالذات التي أفتقدها بكثرة، وليس اللذة. أليس كذلك؟

ذهبا كلاهما في إجازة عائلية كلاً من ناحيته. تكالما بسرعة مرتين ولكن غير متأكدين من أنهما وحيدين، كانا متوترين، جافين بعض الشيء.

قالت له: مع ذلك هذا لا يصدق. انتبهت لتوي إلى أي حدّ هذا لا يصدق.

أجاب، انتبهت لتوك فقط؟ أنا انتبهت من فوري. لكنك أنت المسؤولة عن

كل شيء، أليس كذلك؟

إنها تحب صوته. مألوف إلى درجة أنها تقول لنفسها ليس هذا ممكنا، لابد أنني عرفت أحدا له الصوت نفسه خلال هذه السنوات الأخيرة. لم تجد.

تودي باسمها من قبل هذا الصوت، والنظرة التي ترافقه، واجتاحتها رعشة.

كانت قد نسيت أن سماع الهمهمة باسمها يجعل الرعشات تجتاحها.

قال، لا زلتُ مذهولاً بما فيه الكفاية منذ ذلك اليوم.

أجابت، أنا أيضا.

ثلاثة أيام لم يتبادلا خلالها الكلام. تفكر به بلا توقف. وتتخيل، أنها تمارس الحب معه، أو أفضل من ذلك أيضا أنها جالسة إلى جانبه في السيارة وتمارس معه الحب دون أن تمسه، وهي تكلمه.

لو مارسا الحب حقيقة فلاشك أن ذلك كله سينتهي.

فكرت بأوليفييه أيضا بالطبع، بالأذى الذي سوف تسببه له، وبالجحيم الذي أتيا لتوهما على اجتيازه، والذي لا تريد خصوصا أن تعيشه ثانية.

لم تكن تستطيع لذلك شيئا. إنها منهكة.

محادثة خلال دقيقتين يوم عودته. تركت رسالة، وانتظرت ثلاث ساعات أن يتصل بها، وهاهي أصلا تتألم.

سيتوجب التوقف ههنا. إن كان المقصود فهم ماذا أمكن لأوليفييه أن يشعر فهذا حسن. إنها تعرف. لكن من المستحيل التوقف الآن. لقد أطلقت الآلة وهي تسرع في العتمة.

يتصل بها تقول له مضت إجازة نهاية الأسبوع جيدا. يقول نعم... أخيرا... ثلاثة أيام لم أتكلم معك خلالها ثمة شوق بسيط مع ذلك.

لم تجب.

سيلتقيان غدا مساء.